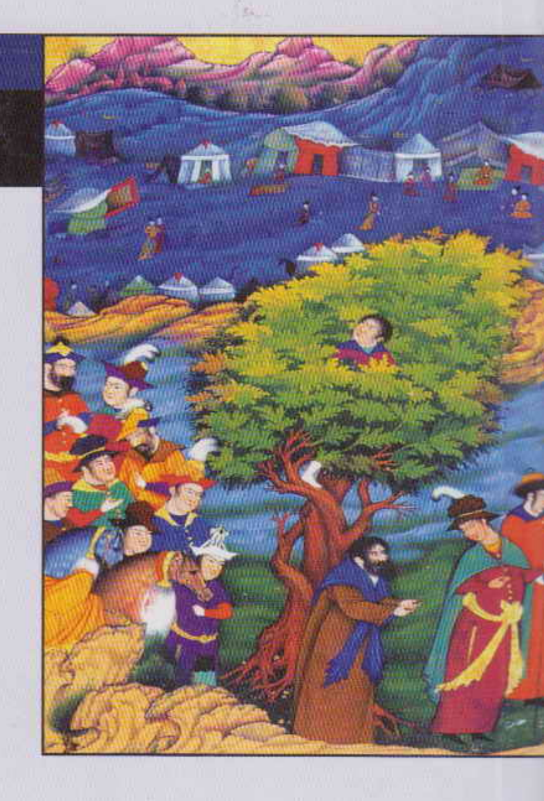
نقد الرواية التاريخية

عصر الرسالة أنموذجاً



الدكتور عبد الجبار ناجي

دار المحجة البيضاء


المركز الأكاديمي للأبحاث


توزيع منشورات الجمل



نقد الرواية التاريخية

الدكتور عبد الجبار ناجي

نقد الرواية التاريخية

عصر الرسالة أنموذجا

الدكتور عبد الجبار ناجي

نقد الرواية التاريخية، عصر الرسالة أنموذجاً

الطبعة الأولى ٢٠١١

كافة حقوق النشر والاقتباس محفوظة للمركز الأكاديمي للأبحاث

http:\\www.academyc2010.com\
E. Mail- Book@academyc 2010.com
نقال: ٠٠٩٦٤٧٨١٠٧٢٦٤٢٩

كافة منشورات المركز تطلب من:

منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١١

ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣، بيروت - لبنان

تلفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠ (٠٠٩٦١)

WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

مقدمة المركز

تبدو معمقة وواعية تلك المقولة التي أطلقها واحد من المشتغلين في ميدان نقد المقولات وتفكيكها حينما اختزل تعريف النقد بأنه «انتقال من نص الحقيقة إلى حقيقة النص»[1]، ففي ضوء هذه الآلية الحاكمة بين النص والحقيقة تتأكد أهمية أعمال النقد وتوظيفه الدائم في مجال القراءة والسبر؛ ذلك لما تكتسيه النصوص من أغشية وأغطية تحول دائماً في استيعابها واستكناه مرادها، بل انه جرت الممارسة في الأعم الأغلب على صناعة النص وإعادة إنتاجه بما يلاءم المقصد والغرض والسياق التاريخي؛ فلذلك يظهر نقد النص بوصفه مقابل نوعياً ووظيفياً لما يطرأ على الأصل من إسقاطات ومتغيرات مستمرة، تكسبه المعنى الذي تروم إثباته أو نفيه.

ومن أجل ذلك، نلحظ إن مع تطور النص وتراكمه المستمر، كانت آليات النقد في تطور ومواكبة ومقابلة. وكأنما أخذت تلك الصورة فعل ورد فعل، للسيطرة على نزوات النص وضبطه، والتحقق من غاياته وما يروم تحصيله والاستحواذ عليه.

ففي الدائرة الإسلامية عندما أخذ الحديث النبوي يشكل رافداً

---

(١) حرب، علي، نقد النص، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥) ص ١٣.

رئيسياً من روافد الشريعة الإسلامية، ومصدراً من مصادر تكوينها واعتمادها، ظهر ما يقابله من وسائل النقد والتمحيص، انضوت جميعها تحت اصطلاح الجريح والتعديل. الذي كانت من وظائفه الرئيسة الفرز والتميز بين الأحاديث على وفق قواعد صارمة متفق عليها بين علماء الحديث، من أجل التثبت من نص الحديث ومصداقيته التاريخية، عبر وسائل متنوعة تشمل القناة الناقلة له «سلسلة السند» ومحتواه الأصلي «المتن» ويبدو إن هذه الطريقة كانت مؤثرة في نمو علم التاريخ الإسلامي وتطوره.

وتعاقبت مع مرور الوقت آليات جديدة في نقد النص التاريخي وقراءته، إذ شكل فيها عنصر النقد، وسيلة من وسائل القراءة والاستنطاق ولم يعد النقد يمارس بصورته السلبية التقليدية في الدحض والرد أو الإفحام والنقض؛ فتأسس في ضوء ذلك علم جديد مع مطلع القرن التاسع عشر اصطلح عليه «النقد التاريخي» وكان من رواده الأوائل (لانجلو اوسينوبوس، وبول ماس، وامانويل كنت)[1]، إذ اعتمد بصورة رئيسة على النقد الباطني والظاهري في التحقق من النص وقراءته. ثم أعقب ذلك مرحلة النقد الكنطي الذي شكل نقلة نوعية بانتقاله من نقد المعارف والمذاهب إلى نقد ملكة الفكر وآلتها، نقد العقل نفسه المنتج للنص والمسئول عن تجديده أو تغيير وجهته، ثم تلاحقت بعد ذلك جملة من المناهج النقدية الحديثة المشتغلة على نقد النص وسبره ربما، كان أكثرها حيوية

---

(١) اوسينوبوس، لانجلو واخرين، النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٧).

وجدة ما دشنه الشكلانيون الروس، ودو سوسير، وكشوفات حلقة براغ واللسانيات الأمريكية والبنيوية التي استقام شانها على اعتماد الأنموذج اللغوي، ومن ثم السيمولوجيا التي أشرت الأزمة الداخلية في أنموذج النقد البنيوي، ثم التفكيكية التي تجاوزت حدود المعلن من النص للبحث عن المسكوت عنه أو المغيب.

يبدو إن هذه المناهج مجتمعة كانت حاضرة أو موظفة في التعاطي مع موضوعة الكتاب التي تعد جريئة في بعض طروحاتها التي ناقشت بمنهج نقدي فعال السيرة النبوية ومطالبها، فأثارت العديد من الإشكاليات والنقود على ما أصبح مستقر وجزءاً من الثقافة المدرسية والعامة، فأظهرت انه مخالف لمجريات التاريخ والمنطق المصاحب، وإن هناك صناعة لرواية السيرة النبوية، قدمت صورة تختلف أحياناً عن واقعها التاريخي، فالمحاولة جادة وقد لايستسيغها البعض لطابعها الممل في العرض او النتائج المتوصل إليها. لكنها تبقى خطوة هامة في إعادة قراءة التاريخ الإسلامي تحتاج إلى من يتابعها ويقتفي أثرها، في مراحل تاريخية لاحقة.

الدكتور نصير الكعبي

مدير المركز الأكاديمي للأبحاث

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

- ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[1].

- ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[2].

صدق الله العلي العظيم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

المقدمة

يقف هذا الكتاب وقفة تحليلية دقيقة في دراسته نصوص المرويات التاريخية التي اعتمدها مؤلفو السيرة النبوية الشريفة وعلماء الصحاح والحديث والتفسير والمؤرخون في التدوين التاريخي لسيرة الرسول الكريم، إلى الحد الذي من المعتقد أن يؤدي إلى إرهاق القارئ الكريم ومللـه، أو ربما يؤدي إلى إثارة التشوق والاندفاع لديه في قراءة النصوص وفقاً للصيغة السنديّة التي دونها العلماء مصنفة تحت هذا العنوان فمن المهم القول في هذه المقدمة، انه يجب أن لا يفهم (العنوان الذي اخترناه للكتاب) هذا الأسلوب والمنهج التفكيكي التحليلي، النقدي لرواية ما هو مقدس في تراثنا الإسلامي بما يعادل انه نقد لرواية السيرة، أو التعريض بها بل حري بنا التوضيح بأنها محاولة موضوعية قدر الإمكان لتشخيص التباينات والتقاطعات إن وجدت، وكذلك التوافقات وعوامل التعديلات والإضافات، أو الانتأحوال التي مَّر بها تدوين هذه الرواية منذ الربع الأخير من القرن الأول الهجري، حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر للميلاد.

وتحت تأثير هذا العامل في الترتيب الزمني التاريخي للمتغيرات التي تعرضت لها رواية السيرة النبوية عموماً ورواية الوحي ونزول أول آيات الذكر الحكيم على رسول الله، خصوصاً. فقد تبنى المؤلف منهجية توظيف النص التاريخي حرفياً في إبراز تلك

المتغيرات والتطورات المهمة التي شهدتها هذه الرواية على يد أقلام المؤرخين والمفسرين عبر السلاسل السندية التي اعتمدوها وذلك بهدف الابتعاد عن تدوين اجتهادي شخصي قبل قراءة النص كما دون أصلاً.

وعلى هذا الاعتبار فقد اضطرّ الباحث أحياناً إلى عدم تفويت الفرصة في الموازنة بين التعبيرات والمصطلحات الواردة في نص الروايات والمداخلة في نصوصها والأحداث التي تتضمنها، إلى إتباع منهج التقاطع والمداخلة المستمرة باستخدام معكفين في داخل النصوص وتضمينها المعلومة التي يراد المُحاججة بها، أو تصحيحها، أو ربطها بالحدث التاريخي، أو الموازنة بينها وبين ما احتوته الروايات التأسيسية، أو التي تليها في أهميتها وشيوع انتشارها. واعتماداً على هذه المنهجية السردية النصيّة حينا والتحليلية النقدية حيناً أخر توجهت الدراسة باتجاه تشخيص أمور قيمة ومثيرة للجدل والنقاش في رواية مبعث الرسول ونزول الملك جبرائيل في غار حراء، أو بين الجبال في أعالي مكة وأول آيات كتاب الله التي نزلت على رسول الأمة، فضلاً عما توصلت إليه الدراسة من آراء وتفسيرات إن قرئت بتمعن واعتدال، وتأن في الموقف وإقصاء لأي موقف متطرف غير مؤسس على مباني فكرية وتاريخية صلدة ستؤدي إلى استشراف نتائج تاريخية نحن بحاجة ماسة إلى تبنيها، وجعلها محلاً لإعادة الموضوعية في كتابة تاريخ السيرة النبوية مثل:-

أولاً: -

لقد شددت الرواية التأسيسية التي صارت المصدر الأساسي في الحديث عن هذه الموضوعات على: -

إن أول ما بدأ الوحي رؤيا (حلم) تأتي على الرسول الكريم في المنام، وهو رأي خطيرإذا ما عمم على جميع أحوال الوحي، لاسيما إذا ما عرفنا ان المستشرقين والكثير من أعداء الإسلام قد استثمروه للوصول إلى غايات وتفسيرات مفادها إن الرسالة الإسلامية، ما هي إلا مجرد أحلام تمّر على الرسول، في أحوال النوم لا اليقظة، لذلك فقد وصف المستشرق لا مانس إن يعرف الرسول بأنه (الحالم العظيم). وهو محض خطأ وافتراء يسعى إلى تهديم الرسالة التي تلقاها الرسول مباشرة من الملك جبرائيل.

فبحسب ما أورده، من انه كان شخصياً يسمع الوحي ويكلمه كما كان يتكلم مع أي من صحابته فضلاً عن أن الملك إسرافيل كان قد تكفله مدة ثلاث سنوات يعلمه ولكن لم ينّزل عليه آيات من القرآن الكريم، وأنه، كان يرى الوحي في اليقظة سواء كان جالساً على عرش أم على درنوك من درانيك الجنة أم غيرها من علامات ودلائل النبوة.

لذلك فالدراسة إنما تهدف في هذه الرواية إلى تنقية الرواية المقدسة من هذه الأوهام التي شجعت الأخر على التطرف في إستثمارها، للوصول إلى تفسيرات مفادها أن الإسلام هو حلم ورؤيا.

ثانياً: -

أكدت الدراسة على ضرورة إلغاء المعتقد السائد الذي عكسته الرواية من أن رسول الله كان مصاباً بعارض نفسي، أو صحي خلال تلقيه الوحي بما عبّرت عنه هذه الروايات من أحوال كونه كان يرتعد خوفاً ورعباً وخشية من الملك جبرائيل إلى حد أنه كان يسقط على الأرض فزعاً مرتجفاً. ووردت ضمن هذه الحال تعبيرات زملوني، أو دثروني نتيجة لما كان يشعر به من حالة صحية بعد رؤيته الملك، وما توصلت إليه هذه الرواية من أن أهله - زوجه وأبناؤه - ولهذه الأسباب في انه كان محموماً، أو مريضاً صبوا عليه (الماء البارد) والمتعارف عليه ان صب الماء البارد عملية كان يقصد بها انه، كان عرضة إلى الحمى. ولا اعرف من أين جاءت به الرواية بإستعمال الماء البارد فهل كان هذا سائداً، أو متعارفاً عليه في الجاهلية وبدء الإسلام أم انه ربما انعكاس للحقبة التاريخية التي أدخلت فيه هذه الرواية التي تمثل مدّة باذخة ومترفة في أيام الأمويين والعباسيين؟، والأهم من ذلك ان الرواية قد استثمرت فقد استثمرت من المستشرقين وغيرهم من المتأثرين بهم الذين قا لوا بأن هذه هي نوع من أنواع الصرع، أو المرض العصبي وانساحوا في تخيلاتهم وتصوراتهم في وصف المرض هذا ان كان مرضاً حقاً. مع العلم ان رسول الله حينما كان يأتيه الوحي - والوحي حمل وأمر ثقيل وعظيم - كان يتمتع بكامل وعيه وصحته سواء في نقل الآيات التي ينزلها عليه جبرائيل، أم في تصرفاته مع عائلته أم في نقله آيات الوحي وتفسيرها إلى صحابته.

ثالثاً: -

كشفت الدراسة عن عدم صحة ما ركّزت عليه الرواية الزبيرية، أو من تأثر بها من الرواة، على الأهمية والدور الذي أداه ورقة بن نوفل، أو غيره من الرهبان النصارى مثل: - بحيرا وعدّاس والراهب الذي ذهبت إليه السيدة خديجة، وكان في خارج مكة، في دعم موقف الرسول، أو توجيهه بالثبات حين كان يتلقى الوحي. والأكثر أهمية تلك التي تتوجه إلى تصوير السيدة خديجة وهي تلجأ إلى هؤلاء الرهبان للاستفسار عن حقيقة جبرائيل واستسلامها إلى تفسيراتهم وتكهناتهم وبضمنها الفكرة التي طرحها ورقة في التشكيك بالملك الذي كان يأتي الرسول، وهل كان ملكاً خيراً أم شيطاناً وهل كان ميكائيل أم جبرائيل؟

ومهما يكن فقد كان ردّ الرسول على طلب السيدة خديجة، بضرورة ملاقاة ورقة وشرحه، له أوصاف الملك، بالممانعة والرفض القاطع لأنه كان متأكداً من أن الملك الذي رآه هو جبرائيل، وردّ الرسول بحد ذاته تأكيداً على ثباته وقوة إرادته وصدق معتقده ورسالته.

والأرجح إن السيدة خديجة قد استجابت لرأي ورقة، أو لاستشارته أنه من بني أسد وابن عمها، ولأنه كان يقرأ العبرانية وربما قرأ ما ورد في التوراة والإنجيل بشأن ترقب إليهود والنصارى لظهور نبي جديد. إلا انه من الخطأ أن تنحرف رواية الوحي عن مقصدها الأساس وهو العلاقة بين الملك ورسول الله إلى ورقة بن نوفل. وهذه المرويات هي الأخرى قد استثمرت استثمار واسعاً من

المستشرقين للتأكيد على أثر الديانتين إليهودية والنصرانية على الإسلام وعلى رسول الله. والواقع ان الوثنيين القريشيين قد وقفوا وراء الإشاعة بأن نصرانياً في مكة كان يعلّم الرسول أموراً دينية وقد نص القرآن الكريم على ذلك مكذبا مزاعمهم. ولهذا نعتقد بالأهمية القصوى لاتخاذ خطوة جريئة في إعادة النظر في هذا الحادث، وتكذيبه، وإقصاء رواية ورقة على وفق ما جاء في الكتاب، ولا سيما وأن هناك عدداً من الروايات تهمل دور ورقة وتقصيه فمثلاً هناك شبه إجماع في الرواية الزبيرية، أو الروايات التي اقتبستها، أو قلدتها، أو كررتها على إن ورقة قد تمنى أن يبقى حياً لكي ينصر الرسول وينصر الدين، غير إن هذه الرواية تسدل الستار مباشرة فتذهب إلى القول بأن ورقة بعد هذا التمني قد مات. وبدأت توجه الأحداث نحو ورقة بعد الموت، فالرواية الزبيرية تذكر كيف أن الرسول الكريم لانشغاله بورقة رآه في المنام وكأنه في الجنة، وأن السيدة خديجة - بعد موت ورقة - سألت رسول الله عن أبن عمها ورقة فأجاب رسول الله أنه رآه في الجنة لابساً ثيابا بيضاء في الجنة لقد استعملت هذه الرواية للمقابلة والموازنة بين ورقة لأنه - بحسب الرواية - كان مؤمناً برسول الله وبين أبي طالب إذ أنه سئل عن وضعه بعد موته فأجاب انه رآه في قعر الجحيم. وانه، لم يفلح في إخراجه تماماً، إنما استطاع سحبه إلى موضع أبعد من قعر الجحيم هكذا أرادت الرواية الدخيلة والمنتحلة. فهذا هو موضوع واحد من بين الموضوعات التي تبين بجلاء، مدى انحياز الرواية الزبيرية الأسدية، ومدى تزويرها الأحداث على وفق انتمائها العشائري.

رابعاً: -

هناك جانب آخر مهم قد سلطت الدراسة الضوء على أحداثه، ألا وهو اختلاف العلماء في أول آيات نزلت على رسول الله تلك التي سادت، كونها آيات من سورة (إقرأ) على الرغم من أن الحديث الذي رواه جابر الأنصاري، يشير إلى آيات من سورة (يا أيها المدثر) هي الآيات الأولى ومع هذا وذاك فإن سورة (ن، والقلم) تتضمن مؤشرات حول مرتبة نزولها.

الذي نعتقده في هذا المجال وبحسب تسلسل أحداث الوحي ونزول القرآن الكريم إن الرسول قد تلقى آيات (اقرأ) وبعد مغادرته الغار، أو المكان الذي التقى فيه بجبرائيل متوجهاً إلى منزله شاعت أخبار الوحي في الوسط الوثني المكي ويحتمل أن هذه الأحداث استغرقت مدة من الزمن إذ بدأ الوثنيون يتناقشون في آيات (أقرأ) وانقسموا إلى رأيين أحدهما يرى إن الرسول كان ساحراً والأخر إنه كان مجنوناً. ولما وصلت هذه الأخبار إلى النبي تفجر كثيراً وحزن من موقف المكيين من الرسالة فاستسلم للنوم، حينئذ جاءه الوحي ليأمره بالإعلان عن رسالة السماء. وهنا أيضاً فإن الإشارة إلى سورة (ن والقلم) ملائمة جداً في الردّ على مزاعم الغار.

ولهذا علينا أن نلفت الأنظار إلى رواية الزهري الوحيدة بشأن فتور الوحي وأن نعيد النظر فيها لأنّها تعكس صورة سلبية عن الرسول، حول اختياره الانتحار وإلقاء نفسه من الجبال الشواهق بسبب فتور الوحي، وأنه قد كرّر محاولاته في الانتحار - بحسب رواية الزهري - وذلك لتكرر أحوال الفتور في نزول الوحي، وهذا

الأمر بعيد عن الصحة ويجب إلغائه لأنه يصور الرسول بهذا الشكل المتردد وغير الموقن برسالة الله لاسيما إن هناك عدداً من الروايات لا تذكر أحوال الفتور والانتحار هذه. ولعل أفضل وصف للمدة بين نزول الوحي وشيوع النبأ وحزن الرسول للإشاعة القرشية ونومه ونزول (يا أيها المدثر) وفي الوقت نفسه آيات (ن والقلم) لدعم الرسول وتثبيت موقفه وإنه ليس مجنون رداً على مزاعم الكفار، كل ذلك يحتمل أن يكون مدّة واحدة متصلة البناء وقد أستغرقت مدة من الوقت وعلى هذا الأساس تفاوتت أراء العلماء في مدة فتور الوحي فمنهم من قال أنها ليلة واحدة وآخرون ليلتان وغيرهم ثلاث ليال. وهناك من جعل الفتور لسنتين لا ليلتين وغيرهم قال إنها سنتان ونصف وهكذا وفي أثناء هذه المدة التي انتشرت فيها أخبار الوحي والرسالة السماوية وتعليم الملك النبي، الصلاة، واعتناق المسلمين الأوائل الإسلام كل هذا من جهة يقابله ردود فعل المكيين الوثنيين التي تركزت على محاولة إيجاد تفسير وتفهم لأحوال الوحي وتلقي الرسول الآيات القليلة تلك التي تندد بالرجس من الأوثان وتأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبل كل شيء الآيات التي تصف أخلاق الرسول الكريم وسلوكه وانه نبي لا ساحر ولا مجنون وتوجيه الأذهان نحو بعض التعاليم الإسلامية المباشرة من جهة أخرى كانت آيات من (إقرأ) و(يا أيها المدثر) و(ن والقلم) و(الأنعام) كما روى حديثها الإمام علي؛ لانها آيات تتطرق إلى التعاليم (قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم) متداولة وقد نزلت على رسول الله.

خامساً: -

قدمت الدراسة معلومات عن مبعث النبي وتباين الروايات بشأنها. ولعل من الصحيح الاتفاق على أن الرسول كان قبل أن ينزل عليه جبرائيل بسنوات يرى من الدلائل والمعجزات ويسمع اصواتاً ويرى في المنام أحلاماً. جميع ذلك بما يعرفه البعض على إن إسرافيل قد وكل من الله تعالى لتهيئة الرسول إلى المرحلة السماوية العظيمة القادمة وانهأ بحسب بعض الروايات - بينما كان يتعبد، أو يرعى الغنم بشّره جبرائيل بالأمر الثقيل فكان رد فعله هادئاً، ايجأبياً إذ اجلسه الملك على بساط من بسط الجنة وحينما عاد إلى منزله كان مستبشراً مسروراً وموقناً تماماً بما شاهده وخبره من تحيات الشجر والحجر الذي مرّ بها أثناء عودته.

فالكتاب، إذن يعرض أفكاراً ربما هي جديدة، أو قديمة لكنها أفكار قابلة للحجاج، وهدفها إعادة النظر في مرويات السيرة النبوية وإعادة بنائها اعتماداً على المرويات الموضوعية الخالية من أي ميل، أو موالاة شخصية، أو عائلية، أو عشائرية عدا الولاء لنبي الأمة الصادق الأمين ورسالته السماوية وهو النبي الذي اختارته العناية الإلهية قبل مبعثه وهو في الأربعين من عمره بسنوات فأعدته وعلمته فلسفة الإسلام وتعاليمه ونبذ الرجس من الأوثان ونبذ القيم والتقاليد الوثنية التي كان يمارسها قومه والتشديد على العمل والمثابرة.

أ.د عبد الجبار ناجي

تشرين الأول ٢٠١٠

الفصل الأول

الرواية العباسية - رواية محمّد بن إسحاق

المبحث الأول:

السيرة النبوية في المصادر الإسلامية

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن هناك تساؤلات محدّدة تفرض نفسها في الكتابة عن هذا الموضوع تلك التي تتعلق بعنوان البحث (نقد الرواية التاريخية لعصر الرسالة) فهل يا ترى إنه عنوان سليم، بما يعني أن هناك شكوكاً، أو تفسيرات متباينة للرواية المألوفة، أو انتقادات لهذه الرواية؟ وهل المقصود مدة عصر الرسالة ذاتها أم المقصود التدوين التاريخي، الذي أَلفناه وتعايشنا معه عن هذه الحقبة الشريفة والأثيرة على قلوبنا ونفوسنا؟ لأنها حقبة تمثل الوعاء الذي انصهرت فيه أنواع التناقضات والتصادمات القبلية والعشائرية والعائلية وبضمنها القيم الجاهلية الاجتماعية منها والسياسية والفكرية بالصيغة الحضارية والحضرية التي أوجدها رسول الأمةفي مستهل الوثيقة، أو دستور المدينة.

إن هذا كتاب من محمد بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة[1]؟ فهذه المحاجحة مع الرواية التاريخية لعصر الرسالة هي

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٥٠١؛ محمد حميد الله. مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١ - ٢.

بالأحرى محاججة وتقييم لها مساس بما صار مألوفاً ومتآلفاً من رواية هي في حقيقة أمرها متماسكة ومتسلسلة ظاهرياً قد اشترك الروّاد من الرواة في تقديمها إلينا، أولئك الروّاد ممن أرسى أُسس رواية عصر الرسالة ثم من بعد ذلك دُوِنت وثُبتت على مرور الأجيال، كمرويات عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد المتوفى سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م، أو مرويات عامر الشعبي المتوفى ١٠٤هـ/ ٧٢٢م، أو مرويات ابن شهاب الزُهريّ المتوفى ١٢٤هـ/ ٧٤١م، أو موسى بن عقبة المتوفى ١٤١هـ/ ٧٥٨م.

والسؤال الأكثر أهمية هو هل كانت عملية جمع المرويات المتعلقة بالسيرة النبوية وعصر الرسالة، وعملية تدوينها، قد سلكت طريقاً واحداً ومتآلفاً، أم أن هناك تضاربات وتعارضات، أو بشكل أكثر تحديداً هناك تنوع وتباين بين متون تلك المرويات وبين سلاسل أسانيدها وطرق روايتها؟ وهل تأثر جمع من هذه المرويات تدوينها، بأية مؤثرات في الزمان والمكان، أو أية مؤثرات شخصية، أو عائلية، أو أسرية، أو قبلية، أو إجتماعية، أو فكرية؟ وأقصد بذلك موضوعاً في غاية الأهمية ذلك الذي له علاقة بمعيار السابقة والأفضلية المعيار الذي أدى دوراً فاعلاً وحيوياً أيام رسول الله ثم بدأ يتصاعد دوره كثيراً بعد ذلك عندما اعتمده خلفاء من بين الخلفاء الراشدين معيارا جدّيا في تطبيق اجراءات توزيع العطاء والأرزاق إما بحسب نظام التسوية وإما بحسب نظام القرابة والإنتماء إلى الأُسر والعوائل القرشية وإما بحسب السابقة إلى الإسلام وبخاصة الأنصار والذين هجروا ديارهم وأموالهم وممتلكاتهم إلى دار الهجرة المدينة.

كذلك بروز مؤثر آخر في عملية التدوين التاريخي وإلى حد ما الحديثي، ألا وهو الحدث الكبير في عمر الرسالة الإسلامية فتح مكة. إذ أُتخذ فتح مكة حداً فأصلاً بين من ينطبق عليه من المسلمين مبدأ الهجرة ومعيار ما بعد الهجرة أي أنه نيّة وجهاد، فقد ورد عن ابن عباس أن رسول الله قال يوم فتح مكة: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة، وإذا استنفرتم فانفروا»(١).

حمداً لله وشكراً له على ما تمّ من إنجاز رائع ذلك الذي تحقق إما في عصر الرسالة وزمن الرسول الكريم، أو في عهد أحد الخليفتين عمر، أو عثمان ذلك الإنجاز هو جمع آيات الذكر الحكيم وسوره من قبل لجنة من الصحابة، مقبولة، ومتفق عليها من قبل الخليفتين. وبالنتيجة فليس هناك أطلاقاً أي تردد في القول بأن ما بين الدفتين هو كتاب الله العزيز بصورةٍ كاملةٍ وموحدةٍ ومتماسكةٍ.

ولولا هذه الخطوة الجريئة لكنّا - نحن المسلمون - نقرأ الآن نسخاً من القرآن الكريم كما هو الحال في الأناجيل عند المسيحيين. أقول ذلك لأن العلماء المسلمين وبالأخص المتكلمين منهم قد صنّفوا المؤلفات الحجاجية والكلامية بأن كتاب الله العزيز على الرغم من وحدته الموضوعية والترتيبية المتفق عليها بالنسبة إلى آياته وسوره. ولاسيما أولئك العلماء الذين رموا بالزندقة والتردد في المذهب مثل أبي عيسى الورّاق المتوفى سنة أما ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، أو

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، (تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة ثانية، ١٤٠٣هـ، بيروت)، ج٣، ص ٧٥.

٢٧١هـ/ ٨٩٧م والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م وأبي الحسين أحمد بن يحيى ابن الراوندي المختلف في سنة وفاته (٢٤هـ، أو ٢٩٨هـ) الذي صنّف كتاباً عنوانه (الزمرذ) يهدف فيه إلى إبطال الرسالة الإسلامية وإلى الطعن في القرآن الكريم. وله كتاب آخر بعنوان (الدامغ في الردّ على القرآن وترتيبه)[١].

فالمتفق عليه عند من صنّف كتباً عن السيرة النبوية المطهّرة، أو عصر الرسالة أن القرآن الكريم يعدُّ مصدراً أساسياً لا يختلف عليه إثنان ولن تتدخل في تدوين آياته تأثيرات الولاءات العائلية والقبلية، ولا المواقف الشخصية، أو إنتماءات ومراجع الشخصيات الإسلامية الأولى (الصحابة) من الأنصار والمهاجرين من قريش وغيرها من العشائر والأعراب. إلا أن المصدر الذي قد خضع لتأثيرات المعايير السابقة هو تفسير القرآن الكريم وتفسير آياته. فهنا نجد تضاربات وتباينات بين مؤلفات التفسير الشيعية والسُنيّة في:-

١ - إشارة الكثير من الآيات القرآنية الكريمة إلى الإمام علي، أو آل البيت، أو أحد الصحابة.

٢ - الاختلاف في السورة الأولى التي نزلت على رسول الله.

---

(١) ينظر: ابن النديم، الفهرست، (طبعة: رضا - تجدد/ طهران)، ص ٢١٦، ٣٣٨؛ النجاشي: رجال، ص ٤٧، ٢٣٦؛ الخياط، عبد الرحيم بن محمد: الإنتصار، ص ٢ - ٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ (Ibn al - Rawandi) in E.I. (2) Vol. III P. 905 by P. Kraus) G. Vajdâ£كراوس: من تاريخ الإلحاد في الإسلام (ترجمة: بدوي، القاهرة، 1945م)؛
Van Ess: Archiv fur geschichte der Philiosophie (1963) XIV (Abu Isa) in EI. (2) Vol. I p. (131) by S.M. Stern..

٣ - هل أن سورة المدثر مثلاً تؤيد الرواية السُنيّة في مسألة ورقة بن نوفل أم لا؟

٤ - سورة المباهلة ومن هم الذي قصدهم الله تعالى في السورة.

٥ - أحداث معارك بدر وأُحد وفتح مكة والعلاقة بين الرسول ويهود المدينة، وغير ذلك من ميادين لا مجال إلى تحديدها.

مع كل ذلك فكتاب الله العزيز يعدُّ المصدر الذي زوّد التدوين التاريخي المتأثر بعلم الحديث بمعلومات وافية عن صفات رسول الله وشمائله وفضائله وعن الدعوة الإسلامية في عهدها السري والعلني وعن التحديات التي واجهها وعانى منها رسول الله والمسلمون الأوائل من القرشيين المشركين والمنافقين واليهود في المدينة.

فضلاً عن ذلك فالكتاب العزيز قد زوّد التدوين التاريخي في عصر الرسالة بمعلومات تتعلق بالجوانب الروحانية والإنسانية التي رافقت الدعوة الإسلامية كالآيات الكريمة التي تصرّح بآدمية الرسول الكريم وبأنه إنسان مثل باقي البشر وقد عمدت هذه الآيات إلى لجم ألسنة كل من يزعم ويحاول أن يفرض نظرية الخلود، أو الألوهية عليه وبأنه لم يَمت، أو أنه سيعود أولئك الذين تأثروا بالكتب اليهودية والمسيحية. والقطع بأنه لم يتكيء في رسالته السماوية على المعجزات سبيلاً في الوصول إلى رصّ صفوف من اعتنق الإسلام والمؤيدين، أو العمل على تحشيدهم. وهناك آيات كريمة كثيرة تصرّح بجلاء عمل الرسول لجدي في وضع القواعد والقوانين والأُسس الإسلامية والأُسرية والاجتماعية الأولى في بناء المجتمع المكّي والمدني الجديد. فضلاً عن الآيات القرآنية التي تشير إلى

تاريخ الأنبياء السابقين والأقوام البائدة وما واجهه الرسل الذين بعثهم الله للناس من مواقف متعنتة ومناوئة من مجتمعاتهم وما حلّ بالأقوام التي لم تتبع الطريق القويم الذي نادى به الأنبياء والرسل من دمار وهلاك شامل.

كما أن هناك آيات قرآنية تتعرض لمواضيع كثيرة وتقدم موقفاً صريحاً وجازماً لا شك فيه ولا مجال للمحاججة والنقد، منها تلك التي تتعرض لتوزيع الغنائم والجهات التي توزع عليها الصدقات وأحداث أخرى شغلت حيزاً في الفكر الإسلامي وفي علمي الكلام والفلسفة. والقرآن الكريم مصدر أساسي بشأن مغازي رسول الله في معركة بدر وفي سورة الأنفال على وجه التحديد، وقد انتفع من كثير من آياته في الردّ على مرويات تاريخية اعتمدها مؤرخو السيرة المعروفين، بخصوص التوزيع الميداني العسكري للمعركة، وموقف المنافقين من الرسول في المعركة والمسألة الخاصة بأسرى معركة بدر. وضمّت سورة آل عمران آيات كثيرة تقدّر بأكثر من خمسين آية تتعلق بمعركة أُحد بدءاً من يوم خروج الرسول وأصحابه من المدينة مروراً بتراجع المنافقين وما له علاقة بالعوامل التي أدت إلى نتيجة المعركة وانتصار القرشيين المشركين وانهزام الكثير من المسلمين تاركين رسول الله مع ثلّة قليلة من الصحابة. ومن الجدير بالذكر أن معركة الخندق قد احتلت حيزاً في كتاب الله فكانت عنواناً لإحدى سوره وهي (سورة الأحزاب). فضلاً عن هذا وذالك هناك الكثير من الآيات الكريمة التي تصف مواقف إليهود من الدعوة الإسلامية وقد اعتمدت أيضاً من قبل كتّاب السيرة القدامى والمُحدثين لتوضيح موقف معين، أو تأكيد موضوع له علاقة بإليهود.

إذن فالقرآن الكريم يزوّد التدوين التاريخي بمعلومات موضوعية ذات مصداقية عالية، وإن كانت بعض الآيات لها مضامين عامة ودلالات شاملة لعصر الرسالة. مع ذلك فإن المصدر الثاني المهم في التدوين التاريخي لعصر الرسالة هو الحديث النبوي الشريف الذي لم يتسع كثيراً لمثل هذه الموضوعية والمصداقية المطلقة. قد يفهم من نقد الرواية التاريخية بأن التعامل سيكون مقصوراً على التدوين التاريخي وليس نقد الرواية الحديثية. ولكن هناك عائق مهم وهو صعوبة بل إستحالة الفصل والعزل بين الروايتين وخصوصاً في هذه المدة، أي بين التدوين، أو تدوين الرواية التاريخية وبين تدوين الحديث الشريف، فقلب الرواية التاريخية في عصر الرسالة النابض هو الحديث الشريف وما مرويات الشمائل والفضائل ومرويات المغازي والسرايا ومرويات أعمال الرسول وإنجازاته سواء أقواله وأفعاله مع مكونات المجتمع المكي والمدني الجديد أم علاقاته بضمنها تلك التي مع أسرته الكريمة ومع آل بيته وأقاربه وأصحابه وكذلك مع المنافقين والمعارضين واليهود والمشركين إلا أحاديث في جوهرها ومادتها وحيثياتها الأساس.

كذلك فإننا حينما نقيّم، أو نوازن بين الروايات التاريخية زمن الرسالة، أو السيرة النبوية المطهرة سنكون بشكلٍ، أو بآخر وبقدر ما مقومين لرواية حديث، أو بصورةٍ مباشرة لحديث من الأحاديث. كيف لا يحدث مثل ذلك؟ وأمامنا خزين من المرويات والأقوال التي تشكك بهذا الحديث، أو ذالك، وكيف لا يكون كذلك وأمامنا خزين لا يعدّ ولا يحصى من الأحاديث المدسوسة والمنتحلة والكاذبة والملفقة والإعلامية. فقد أورد ابن أبي الحديد معلومة عن

موقف الإمام الباقر لها دلالتها في هذا الميدان ما نصه: «ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس...»[1]، وينقل ابن أبي الحديد رواية عن ابن عرفة المعروف بنفطويه معلّقاً أنه كان من أكابر المحدثين وأعلامهم وأن هذا العالم روى خبراً خطيراً في تاريخه هو «إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة أفتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم»[2]. وورد في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال لأبي محمد أحمد بن عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م قوله أنه سأل يحيى بن معين «كم كتبت من الحديث يا أبا زكريا؟ قال كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث، قال أحمد بن حنبل: وإني لأظن أن المحدثين قد كتبوا بأيديهم ستمائة ألف»[3]. ويقول يحيى بن معين في موضع آخر من كتابه: «وأي صاحب حديث لا يكتب عن كذّاب ألف حديث؟»[4]، ويذكر ابن عدي قولاً عن محمد بن إسماعيل البخاري قوله: «أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح»[5]، وفي كتاب وضوء النبي للسيد علي الشهرستاني

---

(١) شرح نهج البلاغة، مجلد ٣، ج١١، ص ١٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، مجلد ٣، ج١١، ص ١٦.
(٣) الكامل، تحقيق: سهيل زكار، طبعة ثالثة، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ١٢٣.
(٤) م. ن. ص ١٢٤.
(٥) الكامل، تحقيق: سهيل زكار. ج١، ص ١٣١.

مرويات متعددة تهدف إلى ما نحن بصدده منها رواية ابن أبي الحديد نقلاً عن جعفر الإسكافي قوله أن عروة بن الزبير - الراوية الأساس لسيرة النبي نقلاً عن آخر حلقة لأسانيده السيدة عائشة أم المؤمنين - كان من الذين أستخدمهم معاوية لرواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه[(١)]، ونقل عن طبقات ابن سعد ومسند الإمام أحمد بن حنبل أن محمود بن لبيد قال: «سمعت عثمان على المنبر يقول: لا يحلّ لأحد أن يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ لم يُسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر...»[(٢)].

ولنأخذ نماذج محددة في أسمائها ودورها الخطير في التحريف والتزييف في مرويات عصر الرسالة لكي تتوضح الصورة أكثر. فاعتماداً على كتاب تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م فإن شرحبيل بن سعد وهو أبو سعد الحطمي المدني مولى الأنصار الذي وصفه سفيان بن عيينة أنه كان يفتي «ولم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه». ودعماً لذلك قال يحيى القطان المعروف بين مؤلفي الرجال قوله: «العجب من رجل يحدّث عن أهل الكتاب ويرغب عن شرحبيل»[(٣)]. وامتدحه سفيان بن عيينة أيضاً بقوله: «لم يكن أحد بالمدينة أعلم بالبدريين منه»[(٤)]، غير أن شرحبيل هذا عندما أحتاج إلى النقود أُتهم، فيقول علماء الرجال أنه عندما أصابته حاجة «فكانوا يخافون إذا جاء إلى

---

(١) م.ن ج١، ص ٢٨٩.
(٢) م. ن. ج ١، ص ٢٠.
(٣) المزي، ج ١٢، ص ٤١٥.
(٤) م. ن. ج ١٢، ص ٤١٥.

الرجل يطلب منه الشيء فلم يعطه أن يقول: لم يشهد أبوك بدراً»[1]. عندها تبدلت مواقف علماء الرجال فيه فيحيى بن معين ذكره بأنه: «ليس بشيء، ضعيف» وفي موضع آخر وصفه بأنه (كذّاب) وقوله أيضاً مشيراً إلى كثرة الوضّاعين والكذأبين في رواية الحديث الشريف «وشرحبيل بن سعد خير من ملأ الأرض مثله» وقوله أيضاً «ضعيف يكتب حديثه». ووصف محمد بن سعد حالة شرحبيل بقوله: «كان شيخاً قديماً روى عن زيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي سعيد (الخدري) وعامة أصحاب رسول الله ﷺ وبقي إلى آخر الزمان،، حتى أختلط واحتاج حاجة شديدة وله أحاديث وليس يحتج به»[2]، وقال عنه مالك بن أنس: «ليس بثقة».

أقول أن شرحبيل هذا من بين أوائل الروّاد في رواية أحاديث المغازي ومعركة بدر وأحاديث أخرى رواها عن طريق جابر ابن عبد الله عن رسول الله قد ضعفها مالك بن أنس، قد توفي في سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م، بمعنى أنه يعدُّ مصدراً أساسياً لرواية مغازي رسول الله وبالأخص رواية من شهد معركة بدر ومن قتل فيها وما إلى ذلك من مواضيع خطيرة فكم أدخل شرحبيل في البدريين زوراً وكذباً من أجل سدِّ حاجته المادية، وكم هو مقدار ما زوّره بأن جعل لفلان ومن لا سابقة له سابقة وكم أدخل من أسماء لم تشهد بدراً فعلياً، أو من قتل في معركة أُحد أو من هاجر إلى الحبشة، أو إلى المدينة ولم يكن منهم؟ إننا أمام مسألة عسيرة الحلّ، وهي عسيرة أكثر في مسألة

---

(١) المزي. ج ١٢، ص ٤١٦.
(٢) م.ن، ج ١٢. ج ١٢، ص ٤١٦.

المصداقية في رواية قوائم أسماء أصحاب السابقة وممن شهد وممن غيّب وممن استشهد على الإسلام وممن قتل من الكفار القرشيين الذين صار لأقاربهم مكانة عالية في مجتمع الدولة الراشدية والأموية وصاروا أصحاب الصولة والجولة.

يذكر محمد بن سعد في الطبقات بحديث جمعي عن صالح بن كيسان وابن شهاب الزهري ورجال من أهل العلم «أن المنذر بن عمرو الساعدي قتل يوم بئر معونة قال ابن شهاب فزعم عروة (ابن الزبير) انه قتل يومئذٍ فلم يوجد جسده حين دفنوا القتلى فقال عروة كانوا يرون أن الملائكة هي دفنته»(١). ومما ذكره العقيلي في كتابه أن محمد بن إسحاق سُئل عن مكانة شرحبيل فقال: «نحن لا نروي عنه شيئاً»، ووصف ابن معين شرحبيل في الرواية فقال إنه ضعيف(٢).

ونقل ابن أبي الحديد من كتاب المدائني المعروف بكتاب (الأحداث) أن معاوية بن أبي سفيان - الذي تزعّم الحركة الفكرية في صناعة الأحاديث والمرويات المزوّرة والملفقة - «كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجهٍ وناحية فإذا جاءكم كتأبي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٥٤.

(٢) العقيلي، محمد بن عمرو العقيلي المكي: الضعفاء الكبير، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٨ج، ص ١٨٨؛ ينظر: كتاب J. Fuck: Muhammad Ibn Ishaq (Franfurt 1925) Pp. 44 - 48 G. Guillaum: "A note on the Sira of Ibn Ishaq" in BSOAS (1956) VOL. XVIII Pp.1 - 4 ; (Ibn Ishak) in E.I.(2) by Jones, J.M.B.

الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقضٍ له في الصحابة مفتعلة فإن هذا أحبُّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد إليهم في مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها...»[١]. والمعروف أن صناعة رواية معاوية هذه قد تمت إما عندما كان حاكماً على بلاد الشام، أو الأكثر صحة عندما تسلط على الحكم بصورةٍ غير شرعية منذ سنة ٤١ هجرية فصاعداً.

تقييم رواية سيرة ابن إسحاق:

ليس هناك من شك بأن ما ألّفه محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار (وقيل كوثان) المدني مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف المتوفى سنة ١٥٠هـ، أو ١٥١هـ/ ٧٦٧م، أو ٧٦٨م، هي أول سيرة للرسول الكريم وأشملها، وأقصد بفروعها الثلاثة المبتدأ - المبعث - المغازي، وأن ما وصلنا بتهذيب ابن هشام وبرواية زياد البكائي ما هو إلا جمع لهذه الحقب. والحقيقة أن هناك تدويناً للمغازي - مغازي رسول الله - قد سبقت مدة محمد بن إسحاق ومن أشهرها تلك التي تم طبع فقرات، أو مرويات منها ليست بهيأة كتاب: - مغازي عروة بن الزبير والمغازي التي جمعها إبان بن عثمان بن عفان (المتوفى إما في سنة ٩٥هـ، أو ١٠٥هـ/ ٧١٣م، أو ٧٢٣م) ومغازي ابن شهاب الزهري والأهم مغازي موسى بن عقبة (المتوفى سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م).

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مجلد ٣، ج ١١، ص ١٥ - ١٦.

غير أن هذه المؤلفات، أو أجزاء منها لا تضاهي عمل ابن إسحاق في السيرة النبوية الأصلية قبل أن تطالها بل وتضرّ بها عملية التهذيب، أو إعادة التصنيع التي تولّى مهمتها عبد الملك ابن هشام (المتوفى إما سنة ٢١٣، أو ٢١٨؟ / ٨٢٨، أو ٨٣٣م) معتمداً على رواية واحد فقط من رواة السيرة ألا وهي رواية زياد بن عبد الله البكائي المتوفى سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م دون الرواة الآخرين وهم كثر منهم: حماد بن سلمة وسلمة بن الفضل الرازي ومحمد بن سلمة الحراني وكاتبه هارون بن أبي عيسى، ويونس بن بكير الشيباني ويزيد بن أبي حبيب المصري وغيرهم. وإلى جانب رواية زياد فقد اعتمد المؤرخون والعلماء على روايتين أخريين هما رواية يونس بن بكير الشيباني ورواية محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الرازي، وقد طبعت نسخة غير كاملة لسيرة ابن إسحاق برواية يونس بن بكير قد عثر عليها في مراكش وطبعت بطبعتين ناهيك عن الاقتباسات التي اقتبسها الطبري والبيهقي في سننه وابن الأثير في كتابه أُسد الغابة.

لا نريد الخوض في تقييم محمد بن إسحاق في مؤلفات الرجال والطبقات، فمنهم من أشاد بعلم الرجل، ، حتى أن الإمام الشافعي قال: «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيّال على محمد بن إسحاق»[1]. ووصفه الخطيب البغدادي بأنه: «كان عالماً بالسير

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٣٥؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٤١٣.

والمغازي وإمام الناس وأخبار المبتدأ وقصص الأنبياء وحدّث عنه أئمة العلماء»[١]. وامتدحه بعضهم بجعله أمير المؤمنين في الحديث، أو أمير المحدثين في حفظه الحديث الشريف بحسب رواية يونس بن بكير[٢]، وذمّه آخرون من أمثال الإمام مالك بن أنس الذي قال فيه: «دجال من الدجاجلة» وحينما سأله ابن إدريس ذاكراً له قيمة كتابه في المغازي (يعني كتاب ابن إسحاق) مشيراً إلى أن ابن إسحاق قال في مالك (أنا بيطارها) أي بيطار علم مالك. أجابه مالك: «نحن نفيناه عن المدينة»[٣].

ونقل الخطيب البغدادي قولاً عن علي بن المديني أنه سمع سفيان بن عيينة يقول: «قال ابن شهاب - ويقصد الزهري - وسئل عن مغازيه - يعني مغازي محمد بن إسحاق - فقال هذا أعلم الناس بها يعني ابن إسحاق»[٤]، ويضيف المزّي إلى هذه الرواية بقوله أن ابن شهاب الزهري قال: «لا يزال بالمدينة علم جمّ ما كان فيهم ابن إسحاق»[٥] وقول الزهري هذا يشابه ما قاله عاصم بن عمر بن قتادة بأنه: «لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق»[٦]. ولعله

---

(١) تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٣١.
(٢) م. ن. ج ١، ص ٢٤٣.
(٣) م. ن. ج ١، ص ٢٣٩.
(٤) م. ن. ج ١، ص ٢٣٥؛ ينظر مقالة: (Ibn Ishak) in EI. (2) Vol.III P. 810 by Jones..
(٥) تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٤١٢؛ كذلك مقالة: ..(Ibn Ishak)
(٦) المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٤١٠.

من المفيد الإشارة إلى رواية المزي عن إبراهيم بن المنذر عن عمر بن عثمان «أن الزهري كان يتلقف المغازي من ابن إسحاق»[1]، وعن إبراهيم بن حمزة أنه «كان عند إبراهيم بن سعد - وهو الراوية المدني الوحيد الذي روى عن ابن إسحاق - عن محمد بن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي، وإبراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثاً»[2].

فالمسألة لا تتعلق بالمكانة العلمية العالية لمحمد بن إسحاق في المدينة في رواية الحديث وفي رواية المغازي، إنما المسألة المهمة المتعلقة بما يأتي:-

١ - عملية ما أسماه ابن هشام تهذيب السيرة النبوية لابن إسحاق، وهي عملية جراحية مشوهة لا تهذيب الكتاب فحسب. ولندع كلمات ابن هشام نفسه تعبّر عن عمليته في تهذيب كتاب السيرة يقول: «وأنا - إن شاء الله - مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل... الخ والاختصار إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه [يلحظ المتتبع التعبيرات العمومية، والعموميات هذه خطيرة جداً وأشدها خطورة عدم تحديدها]؛ لما ذكرت من الاختصار، وإشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها... وأشياءَ [عمومية بالغة الخطورة]

(١) م. ن. ج ٢٤، ص ٤١٦.
(٢) المزي: تهذيب الكمال، . ج ٢٤، ص ٤١٦.

بعضها يشنع الحديث له، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته، ومستقص إن شاء تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به»[1]. فهل في هذه الأقوال الجازمة والمتحدية لكتاب ابن إسحاق من شك بأنه مع راويته البكائي، قد غيّباً من أرادا تغييبه من الروايات والأحداث المهمة، وأقصيا ما أراد أقصاءه من رواية السيرة سواء كانت أحداثاً أم أشخاصاً [وبعض يسوء بعض الناس ذكره] أم غير ذلك بحسب قوله [وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته]. مع أن عمل ابن هشام يكاد أن يكون فنياً ونمطياً وذلك لأنه اختصر الكتاب لا أكثر ولا أقل يقول: «لما ذكرت من الاختصار».

٢ - مدى مصداقية البكائي وعلى الرغم من أن ابن هشام قد عبّر عن ضعفه في أداء رواية السيرة النبوية فإنه أبدى ضعفاً آخر في موثوقيته المطلقة بما سمح له زياد البكائي بروايته من سيرة ابن إسحاق، وما زياد البكائي إلا واحد من الرواة الذين رووا كتاب ابن إسحاق. وان زياداً هذا قد انتفع من مرويات ابن إسحاق كثيراً في مجالات خارج نطاق كتاب السيرة فيتحدث القاسم بن يحيى أنه حدّثه أبو عبد الرحمن الأذرمي أن زياداً حدّث روايات عن النبي[2]، ويعقب على ذلك بقوله: «ولا أعلم يرويه عن إدريس غير زياد»[3]. وان حفص بن عبيد الرحمن الطنافسي «قد روى المغازي عن زياد البكائي عن محمد ابن إسحاق وغيره»[4].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي الدين، ج ١، ص ١٩.
(٢) ابن عدي: الكامل، ج ٢، ص ١٩١.
(٣) م. ن. ص ١٩٢.
(٤) الدارقطني: علل، ج ٩، ص ٢٨٢.

وقد ضعّف البكائي جملة من علماء الجرح والتعديل فذكره العقيلي بأنه سأل يحيى بن معين عن البكائي فقال إنه ضعيف[1]. وفي موضعٍ آخر قال عنه يحيى بن معين ان البكائي «ليس بشيء»، وحدّث عبدُ الله بن الإمام أحمد بن حنبل انه قد سُئل عن عبيدة بن حميد والبكائي فقال: «عبيدة أحبُّ إليّ وأصلح حديثاً منه»[2]. وقال عنه النسائي في كتابه (الضعفاء والمتروكين) ان زياداً (ليس بالقوي)[3]. وأضاف العقيلي في ضعفائه ان علياً المديني قال: «لا أروي عن زياد بن عبد الله البكائي»[4]. وقال الإمام أحمد في كتابه (العِلل) ان «عبيدة بن حميد أصحُّ حديثاً عن منصور من البكائي»[5].

ويروي الخطيب البغدادي قصة العلاقة بين محمد بن إسحاق والبكائي فيما يتعلق برواية الأخير للمغازي فيقول: «ما أحد أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي لأنه أملى عليه مرتين» وأن ابن إسحاق عندما نزل الحيرة «طلبوا كاتباً يكتب لرجل من قريش فجاء زياد فأملى عليه مرتين». وأن يحيى بن معين قد امتدحه في المغازي فقال: «زياد في ابن إسحاق ثقة كأنه يضعفه في غيره» وفي موضعٍ آخر يذكر الخطيب البغدادي أن يحيى بن معين أشار إلى روايةَ منجاب عن إبراهيم بن يوسف عن زياد المغازي قال: «كان زياد ضعيفاً»[6].

---

(١) ضعفاء العقيلي، ص ٨٠.
(٢) تاريخ ابن معين، ج ١، ص ٢٠٥؛ العقيلي، الضعفاء، ص ٨٠.
(٣) تاريخ ابن معين، ج ١، ص ١٨٢.
(٤) تاريخ ابن معين، ج ٢، ص ٧٩.
(٥) أحمد بن حنبل، العلل، ص ٢٤٨.
(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٧٨.

والخلاصة أن هناك مجالاً للشك في رواية البكائي وشك أكثر في تهذيب ابن هشام. ومع ذلك فهناك حقيقة تاريخية أخرى تتعلق بصلة محمد بن إسحاق بالعباسيين وبالأخص بأبي جعفر المنصور. فابن إسحاق كما تعكسه قصة انتقاله إلى العراق لم يكن بعد قد كتب مصنفه وهو في المدينة، وأن مغادرته المدينة كانت لعوامل عدة، فقد روى الخطيب البغدادي أن ابن إسحاق عندما عزم الخروج إلى العراق سأله رجل من أصحابه قائلاً: «إني أحسب السفر غداً، خسيسة يا أبا عبد الله وكان ابن إسحاق قد رقّ فقال ابن إسحاق والله ما أخلاقنا بخسيسة ولربما قصر الدهر باع الكريم»[1]. ويعتقد أن تعبيره يتضمن أموراً عدة ربما يكون العامل المادي من بينها وربما يكون الجانب العلمي وما واجهه ابن إسحاق من حملة معادية من علماء المدينة عاملاً آخر وبحق فأن قصر الدهر قد يؤدي إلى نتائج غير متوقعة.

المهم إن رواية الخطيب البغدادي عن صلة ابن إسحاق بالبلاط العباسي جاءت عن طريق الحسن بن محمد المؤدب انه سمع عماراً يقول إنه دخل على المهدي وبين يديه إبنه فسُئل ابن إسحاق عما إذا كان يعرف الرجل فأجاب بأنه ابن أمير المؤمنين، عندئذٍ قيل له «اذهب فصنّف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا قال فذهب فصنّف له هذا الكتاب»، يقصد السيرة بمحاورها الثلاثة المبتدأ والمبعث والمغازي.

فكتاب ابن إسحاق إذن مدني المادة وعراقي الكتابة. والأكثر

---

(1) م. ن. ج ١، ص ٢٣٦.

أهمية ما أوضحته القصة بعد ذلك. فعند الانتهاء من تصنيفه أن عماراً قال له «لقد طولته يابن إسحاق اذهب فاختصره قال فذهب فاختصره فهو هذا الكتاب المختصر»[١].

فسيرة ابن إسحاق في حقيقتها كتاب مختصر عن الكتاب الأصلي المطوّل، وجاء ابن هشام فاختصر المختصر وهذّبه. وقيل أن الكتاب الكبير قد «ألقي في خزانة أمير المؤمنين». وللجواب على سؤال وارد كيف كتب ابن إسحاق كتابه؟ إنه وبحسب رواية أبي الهيثم عمار صنفه اعتماداً على القراطيس ثم أعطى القراطيس - إما يقصد بها الأوراق المسوّدة، أو الجزازات التي حسبما يبدو حملها معه من المدينة - بعد الانتهاء من الكتاب إلى سلمة بن الفضل الأبرش[٢]. والأكثر أهمية تعليق الخطيب البغدادي بقوله: «فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس»[٣]. ولم يقف أبو بكر الخطيب البغدادي موقف المؤيد لمثل هذا الخطأ التاريخي فيما يتعلق بأن الخليفة الذي رآه هو المهدي وإبنه فقال معقباً: «قال هذا الراوي دخل ابن إسحاق على المهدي وبين يديه إبنه وفي ذلك عندي نظر ولعله أراد أن يقول دخل على المنصور وبين يديه المهدي إبنه، لأن ذلك أشبه بالصواب والله أعلم»[٤].

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٣٧.
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١، ص ٢٣٧.
(٣) م. ن.
(٤) م. ن. ج ١، ص ٢٣٧.

المبحث الثاني:

العباس بن عبد المطلب في الروايات التاريخية

الذي نهدف إليه في سرد قصة علاقة محمد بن إسحاق بالبلاط العباسي زمن المنصور، إثارة موضوع خطير سبق أن طرحه كل من المستشرقين هيروفتز ومرغليوث ألا وهو أن ابن إسحاق بعد أن أوعز إليه الرجل الذي عرّفه بالخليفة المنصور (وهو عمار) أن «اذهب فصنّف له كتاباً. . . الخ» الرواية، فإنه أعاد النظر في كتابه، أو في القراطيس التي كانت معه منذ خروجه من المدينة في الميادين التاريخية التي ورد فيها ذكر العباس بن عبد المطلب جدِّ العباسيين.

فالمعروف أن العباس ظل وثنياً طيلة المدة السرية والعلنية وإلى ما بعد ذلك بكثير ربما، حتى فتح مكة سنة ٨ هجرية، فضلاً عن أنه لم يقدّم أية مساعدة معنوية ومادية للدعوة الإسلامية عامة وللرسول الكريم والمسلمين الأوائل خاصة، فقد كان منشغلاً مع أبي سفيان في التجارة وأن خروجه في معركة بدر لا يمكن فهمه إلا أنه قد خرج محارباً المسلمين مع القريشيين المشركين الوثنيين[١]. فهل هذا الاستنتاج صحيح؟ ربما نعم للأسباب الآتية:

---

(١) ينظر: هيروفيتس، يوسف، المغازي الأولى ومؤلفوها، تعريب: د. حسين نصار، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٨١؛ مرغليوث، د. س: دراسات عن المؤرخين العرب، تعريب: د. حسين نصار، بيروت (بدون تاريخ) ص ٩٦.

١ - إن المنصور ومن بعده هارون الرشيد والمتوكل وغيرهم قد أولوا اهتماماً كبيراً نحو احتضان مؤلفي الفتوح والمغازي الكبار وأغدقوا عليهم الأموال والمناصب الإدارية لكي يقدموا رواية يمكن وصفها رواية عباسية وأمامنا ابن إسحاق والواقدي ومحمد بن سعد والبلاذري من أشهر هذه النماذج.

٢ - فضلاً عن ذلك فإن المنصور كان مولعاً في الاستماع إلى رواة الأخبار ورواة الفتوح والمغازي وكان كما يذكر ابن الفقيه الهمذاني في كتابه البلدان يدني (يقرّب) أهل هذه الأخبار ويجيزهم على أخبارهم إلى درجة أنه لم يبق شيئاً من الأسماء والأخبار إلا وحفظها[١]. ويذكر أنه كان مهتماً في تدأبير الحروب، ، حتى أنه في إحدى المناسبات بخصوص تدبير هشام بن عبد الملك الأُموي أن بعث إلى الشام بطلب رجل من هذه المنطقة كانت له معرفة بتدأبير الحرب زمن الأُمويين[٢].

٣ - ينبغي علينا أن لا نغفل ما كان المنصور يتطلع إلى تأسيسه في فكرة (آل البيت)، التي استثمرها بل استغلها العباسيون أبان تنظيم دعوتهم ثم ما بعد ثورتهم في الكوفة وخراسان. وتفيد المُراسلات الصريحة بين المنصور وذي النفس الزكية على ما ذهبنا إليه من مثابرة المنصور بجدّية لأن يجعل حق أهل البيت في أبيه العباس وإبنه عبد الله وإقصاء أهل البيت الشرعيين.

---

(١) مختصر كتاب البلدان، نسخة مصورة عن طبعة ليدن ١٨٨٤م، بيروت، دار صادر، ص ٢.

(٢) ينظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق: يوسف أسعد داغر، طبعة سادسة، المدينة المنورة، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

إذن كان أمام المنصور عمل مجهد في تنقية تاريخ جدِّ الأسرة العباسية وتطهيره من رجس الوثنية، فعليه، كما فعل قبله معاوية تماماً، صنع رواية جديدة محرّفة، أو معدّلة لتاريخ السيرة النبوية بما له علاقة بالعباس ثم بإبنه عبد الله، وكان الإعلام والإعلان الوسيلة الأساس في إعادة النظر هذه وفي إعادة كتابة تاريخ السيرة بأقلام مؤيدة للبلاط العباسي.

فاستطاع العباسيونَ شراء أقلام روّاد كتابة السيرة النبوية والمغازي والفتوحات. وليس من المستبعد عليهم أن يحتضنوا ابن إسحاق الذي عضّه الدهر فإن قصر الدهر يبيع الكريم كما عبّر عن ذلك ابن إسحاق نفسه. فابن إسحاق قبل أن يدوّن قراطيسه في كتابه المطوّل كان عليه بالفعل أن يقوم بواجب مهم في إما أن يحرّف المرويات المتعلقة بالعباس وإبنه، أو تلطيفها، أو تعديلها، أو دسٍّ جملة، أو جملتين هنا وهناك فيعتدل المعنى لصالح العباس والعباسيين. فيصبح العباس وكأنه الناصح الذي يقدّم المشورة للنبي ويصبح عبد الله بن عباس وهو لم يزل طفلاً صغيراً داهية ونابغة ويؤدي دوراً أكبر بكثير من دور الإمام علي مع أنه ولد قبل ثلاث سنوات، أو أربع من الهجرة إلى المدينة. وهذا ما ستوضحه الأوراق القادمة.

نموذج تحليلي ومُقارن عن رواية العباس في العقبة الثانية:

مما تقدم ذكره يصبح من اليسير علينا أن نصل إلى مسألة الترابط والاجتماع البيّن بين جميع هذه المرويات سواء كان ذلك في الاسناد أم في المحتوى أم في الهدف العام للوصول إلى أتفاق على بيعة الحرب تمييزاً لها عن بيعة النساء في العقبة الأولى. آخذين بنظر الاعتبار أن الطبري في تاريخه يجعل العقبتين وكأنهما بيعة عقبة واحدة. فضلاً عن التوافق شبه الكامل بشأن محتوى ونصّ البيعة. وفي المرويات التي تبتعد عن النص، أو الرواية التأسيسية لإبن إسحاق، نرى أنها تتوافق في أن اللقاء الذي قد تم بين رسول الله والأنصار كان لقاءً مباشراً، دونما وساطة العباس، التي نعتقد أنها رواية قد دسّت وأُقحمت في أصل رواية بيعة العقبة الثانية. وهو الموضوع الذي سنخصص له هذه الدراسة المتواضعة بموازنة الروايات المتوافرة عن بيعة العقبة، وسنلحظ أن محمد بن إسحاق، أو زياد بن عبد الله البكائي قد قاما بإجراء تعديلات وإضافات على الموضوع بإعطاء دور بارز ومهيمن للعباس بن عبد المطلب وأنه كان داعماً ومؤيداً ومستشاراً للرسول الكريم بدءاً من وصول الأنصار من المدينة إلى مكة للالتقاء بالنبي بالعقبة وخطبته التي تكشف عن أنه الوسيط المفوّه أمام الأنصار إذ أعلن فيها تأييده ودعمه، حتى مبايعة الأنصار للرسول.

لقد أظهرت هذه الروايات أنه كان المسؤول عن الأخذ بأيدي الأنصار للمبايعة. وهي معلومات بحسب ما ستظهره الدراسة غير صحيحة وتمثل الرواية العباسية التي أعاد صياغتها محمد بن إسحاق

عندما وجّه لكتابة (السيرة) وتقديمها للمنصور، أو لإبنه، وسنوزع الروايات على وفق أهميتها وأهمية إسنادها إلى:-

١ - الرواية الأساس التي انطلقت منها الروايات الأخرى عند المؤرخين وقد اعتمدت مصدراً واحداً هو معبد بن كعب بن مالك وهو أخو بني سلمة عن أخيه عبد الله بن كعب الذي حدّثه بها. قال ابن إسحاق حدثني معبد بن كعب أن أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار [فإبن إسحاق أراد أن يُظهر علوّ كعب راويته غير المباشر ولكنه لم يبين أنه من أعلم الأنصار بماذا؟، أو بأي علم]. والملاحظ أن هذا الاسناد قد ذكره نصاً الطبري في حديثه عن العقبة غير أن الطبري جعل ابن حميد وساطته في الوصول إلى معلومات محمد بن إسحاق، كما اعتمد المعلومة ابن الأثير في الكامل في حين اعتمدها ابن كثير مباشرةً عن ابن إسحاق عن معبد بن كعب ثم عن كعب بن مالك.

والواقع أن كعباً هذا لم يكن من بين النقباء الذين تم اختيارهم بعد مبايعة الرسول مباشرةً، مع أن العلماء محمد بن إسحاق وابن الأثير وابن شهاب الزُهري والبخاري يختلفون في أول من ضرب على يد الرسول مبايعاً فبنو النجار تزعم أنه أبو أسامة أسعد بن زرارة وبنو سلمة تزعم أن أول من بايع الرسول ليلتئذٍ كعب بن مالك(١). وابن هشام يستشهد بالأبيات الشعرية التي أنشدها كعب بن مالك فيها ذاكرا فيها النقباء، وعلّق ابن هشام على شعره قائلاً: إنه ذكر أبا الهيثم بن التيهان نقيباً ولم يذكر رفاعة بن عبد المنذر الأوسي.

---

(١) ينظر: ابن كثير: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٠٢.

وعقّب ابن كثير ما نصه: «قلت: وذكر - يقصد كعب بن مالك - سعد ابن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة»[1]. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن كعباً لم يكن حافظاً لامعاً لأسماء النقباء وأنه ربما كان كذلك بالنسبة إلى دور العباس بن عبد المطلب.

تذهب رواية البكائي في سيرة ابن إسحاق، التي هذّبها ابن هشام فحذف ما حذف وربما أضاف إلى بدايات البيعة الثانية إلى: - «قال كعب - وهو يُحدِّث ابن أخيه عبد الله - خرجنا في حُجّاج قومنا من المشركين ثم صلينا وفقهنا [نلحظ أنهم صلوا صلاة المسلمين بينما كانوا يرافقون المشركين من حُجّاج المدينة، فضلاً عن ذلك فإن هذا المقطع قد أغفل العنصر الأساسي في تفقيههم وهو الصحأبي مُصعب بن عُمير] ومعنا البراء سيدنا وكبيرنا فلما وجّهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة [يلاحظ أن هذا الحديث ينبغي أن يسبق بدايته قال خرجنا] قال البراء لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ قال: قلنا وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه النية [وفي رواية البنية] مني بظهر، يعني الكعبة، إن أصلي إليها، قال: فقلنا، والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام [يلاحظ أن هذه المعلومة أقرب إلى أن تكون في المدينة بعد هجرة الرسول لا إلى الحقبة المكيّة اللهم إلا أن يكون مبعوثه مصعب بن عُمير قد صلى معهم الصلاة باتجاه بيت المقدس] وما نريد أن نخالفه، قال: فقال: إني لمُصلٍّ إليها، قال: فقلنا له لكنا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلّى إلى

(١) م. ن. ص ٢٠٠.

الكعبة»، حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يا أخي انطلق بنا إلى رسول الله فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه [يلاحظ عدم السريّة والحيطة في تصرفات الأنصار في مكة التي كانت خاضعة في هذه المرحلة وبعد مرحلة الطائف إلى عملية مخابراتية في تشديد القرشيين في متابعة الرسول كما سيتضح بعد قليل في سير أحداث هذه الرواية] قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك [هذه المسألة مهمة في أن الأنصار وهم في مكة وكأنهم لا يدرون ماذا يعملون أإنهم قدموا مكة لمبايعة الرسول أم للحج فقط في الوقت الذي تقطع فيه رواية الطبري عن ابن إسحاق أيضاً أن مبعوث الرسول إلى المدينة مصعب بن عُمير كانت مهمته تفقيه مسلمي المدينة الإسلام وتعليمهم مبادئه وأركانه وكان مصعب على رأس من رجع إلى مكة وقد خرج من خرج معه من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حُجّاج قومهم من أهل الشرك. فلماذا نسي ابن هشام مهذّب سيرة ابن إسحاق هذا الحدث بينما يترك البراء بن معرور يعمل بإستقلالية مخالفاً لمسلمي المدينة المرافقين له. ثم أنه يترك هؤلاء يتساءلون عن موضع رسول الله من أهل مكة المشركين الناقمين على الرسول والإسلام، ويجعل الأنصار الذين إنما قدموا مكة من أجل مبايعة الرسول فكيف يكون ذلك الهدف متسقاً مع عدم معرفتهم للرسول وعدم رؤيتهم له] فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله [وهو أمر يؤشر بوضوح إلى أنها رواية دخيلة تهدف إلى ما سيأتي ذكره، فكيف تجرأ هؤلاء على الإفشاء بسرٍّ مهمتهم التي كانت منذ البداية تتصف بالكتمان،،

حتى عن أهلهم من المشركين الذين قدموا إلى مكة للحج؟] فقال هل تعرفانه؟ [هذه الجملة هي الجملة التمهيدية القادمة للرواية المضافة والدخيلة] فقلنا لا ، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ [هنا بيت القصيد فهو العباس وهو عمٌّ الرسول] قال: قلنا: نعم. قال: وقد كان العباس لا يزال يقدم علينا تاجراً [يلاحظ الإضافة المتعمدة المتناهية في الركاكة اللغوية وفي التشديد للتعريف بالعباس وارتفاع صيته وسمعته، ويلاحظ أن الطبري قد أدرك ضعف الجملة وركاكتها فروى الرواية كالآتي: قلنا: نعم قال: وقد كنا نعرف العباس. . . . الخ]، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس [هنا أيضاً فإن الرجل المكي عرّف الرسول بالعباس لا العكس وكان من المفروض القول أنه الرسول الذي يجلس إليه العباس]. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس [أيضاً التشديد المتعمد على دور العباس] جالس ورسول الله جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا فقال رسول الله للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ [يلاحظ أربعة أمور الأول أهمية العباس ومكانته وثانيهما؛ نه مثّل دوراً أكثر أهمية بمعرفته هؤلاء الرجال و؛ ن الرسول استفسر منه عنهما وثالثهما تسمية الرسول له بكنيته\ لبيان فضله وكبر سنه، بينما لم يكن العباس يكبر الرسول كثيراً سوى سنوات. رابعاً إن إشارة الرسول إليه تدفع إلى الاستنتاج بأن العباس هو المهم وهو المسلم] قال: نعم. هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك [دون طبعاً أن يعرّف صفة كعب بينما تزعم الرواية أن كعباً والد عبد الله من أعلم الأنصار] قال (ربما العباس) فوالله ما أنسى رسول الله الشاعر؟ قال: نعم. قال: فقال له البراء: يا

نبي الله، إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها [يلاحظ هنا أن البراء قد تصرف تصرفاً بمفرده بوجهة القبلة وهو حادث متأخر قليلاً دون أن يكون لمصعب بن عمير أي دور في التعليم والتفقيه] فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع من نفسي من ذلك شيء فما ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على مثله لو صبرت عليها [وهنا يلاحظ أن النبي كان مخططاً على تحويل القبلة إلى مكة قبل هجرته إلى يثرب، وعلاقته بإليهود وهم الذين اضطرّوه إلى عمل ذلك - نتيجة معاداتهم للإسلام - أن يتخذ إجراء تحويل اتجاه القبلة]. قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله وصلى إلى الشام. وإن أهله يزعمون أنه صلى إلى الشام، حتى مات [هنا يأتي دور ابن إسحاق، أو ابن هشام بإدخال رأي مخالف لذلك بقوله] وليس ذلك كما قالوا فنحن أعلم به منهم»[1]. انتهى نص رواية عبد الله بن كعب بن مالك عن أول مرحلة من مراحل بيعة العقبة الثانية ولي ملاحظات توضيحية لما سبق ذكره، هي:-

١ - إن الأنصار الستة الذين اعتنقوا الإسلام وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وعمرو بن سواد وقطبة بن عامر وعفراء بنت عبيد قد ذكروا رسول الله - عندما رجعوا إلى المدينة - إلى قومهم ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا الإسلام فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكرٌ من رسول الله. وهذا إن دل على شيء إنما يدلُ على دور مصعب في انتشار الإسلام في يثرب.

(١) ابن هشام: ج ٢، ص ٣٠٢.

٢ - وبحسب رواية محمد بن إسحاق عن عبادة بن الصامت وليس عن عبد الله بن كعب، إن المسلمين قدموا مع مصعب بن عمير مع حُجّاج قومهم من أهل الشرك بهدف لقاء الرسول ومبايعته فكانوا مخططين ذلك مُسبقاً. إذ تقول الرواية: «قدموا مكة فواعدوا رسول الله العقبة»(١). وبحسب رواية ابن خلدون التي لم يُشر فيها إلى مصدر معلومته أن أهل المدينة أثناء بعثة مصعب قد عرفوا الإسلام»ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها المسلمون رجالاً ونساءً حاشا بني أمية بن زيد... وأن مصعباً حينما خرج إلى الموسم خرج معه جماعة ممن أسلم في جملة قوم منهم لم يسلموا بعد...»(٢) وهذه المعلومة تفنّد رواية البكائي وابن إسحاق والمُهذّب للسيرة ابن هشام بشكلٍ واضح.

أما الشطر الثاني من رواية قصة مجيء الأنصار إلى مكة؛ لمبايعة الرسول بيعة الحرب اعتماداً على رواية البكائي، عند ابن هشام من سيرة ابن إسحاق فهي أيضاً تدخل ضمن الشطر الأول من رواية عبد الله بن كعب عن كعب بن مالك التي تنصّ على الآتي:-

«قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله العقبة من أوسط أيام التشريق قال، فلما فرغنا الحج [وفي رواية أخرى من الحج] وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله فيها [وفي رواية لها] ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا [وشريف من أشرافنا] أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين

---

(١) الطبري، ج ٢، ص ٨٨.

(٢) ابن خلدون: تاريخ، ج ٢، ص ١٣.

أمرنا فكلمناه [يلاحظ أن عبد الله بن كعب قد نسي بداية الرواية بأن المسلمين كانوا يصلون ويتفقهون أثناء خروجهم من المدينة] وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا [كرّر ابن إسحاق هذه الجملة دون أن يدري] وإنّا نرغب بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ثم دعوناه إلى الإسلام، أخبرناه بميعاد رسول الله إيانا العقبة. قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً، قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا [أما رواية الطبري عن ابن إسحاق أيضاً فتذكر بعد إسلام عبد الله بن عمرو مباشرة: خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله] نتسلل تسلل القطا متخفين، حتى اجتمعنا في الشِعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا [أما رواية الطبري عن ابن إسحاق أيضاً فتذكر أن عددهم سبعون رجلاً ومعهم امرأتان من نسائهم، أي بلغة الطبري عددهم ومعهم ونسائهم وليس ونحن ومعنا من نسائنا]، حتى اجتمعنا [رواية الطبري فاجتمعنا] في الشِعب عند العقبة [رواية الطبري فاجتمعنا بالشِعب] ننتظر رسول الله حتى جاءنا [يلاحظ الإضافة هنا] ومعه [عمّه] العباس وهو يومئذٍ على دين قومه إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له [في الشطر الأول من قصة جلوسه مع الرسول لم يرد مثل هذا التعريف إنما ورد كونه تاجراً ويعرف أهل يثرب] فلما جلس [هنا يعني النبي] كان أول متكلم العباس بن عبد المُطّلب فقال: يا معشر الخزرج قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها وأن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده [يتحدث العباس

وكأن الأنصار وهم الوجبة الثالثة من مسلمي المدينة لا يعلمون بما واجهه الرسول من كفار قريش والعباس معهم من المعاناة أدت به إلى الرحيل إلى الطائف ثم العودة منها بعد أن عامله أهل الطائف معاملة قاسية ثم دعوته القبائل قبل أن يتوجه بالدعوة إليهم فخطابه كما يُعتقد مُضافاً؛ لإضفاء صفة الشرعية على حضوره اجتماعا للمسلمين إن كانت الرواية صحيحة، حينما كان وثنيا، فضلاً عن أن حضوره يعدُّ إعلاناً صريحاً بلقاء الرسول مع مسلمي المدينة في الوقت الذي كان فيه الأنصار يتسللون من رحالهم تسلل القطا، وهي إشارة إلى السريّة التامة، والتعتيم الكبير على تحركاتهم، فكيف يحدث ذلك ووثني موجود بينهم؟ وكيف يحدث انه هو الذي يبادر الكلام باسم الرسول؟] وإنه قد أبى إلا الانحياز لكم، واللحاق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن دعوه فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده [وهنا يلاحظ التكرار مع بداية خطبته]، قال: فقلنا له قد سمعنا ما قلت: [ألا ترى أن العباس لم يكن صادقاً في قوله وانه لم يكن ثقة، إن صحّ وجود خطابه هذا الذي من المؤكد انه خطاب مُضاف. أقول انه غير صادق ومُنافق وإلا فهل ذكر له التاريخ أي دور، حتى وإن كان دوراً تافهاً كدور أبي لهب وأبي جهل في إعلانه صراحة عن الوقوف إلى جانب الرسول وهو يعاني ما يعاني من كفار قريش وغطرسة قريش إن كان حقاً قريشياً وهاشمياً في ظروف كان الإباء القبلي والشرف العائلي يعدّ معياراً أساساً للرجولة والشجاعة. في حين يعكس خطابه وكأنه العمدة المرتجى والبطل الذي كان الرسول

يعوّل عليه، ويبدو أن الأنصار قد تجأهلوه لأنهم يريدون خطاب الرسول لا خطاب العباس الوثني إن كان خطابه صحيحاً.

ومرة أخرى أقول إن هناك تعمداً في حشر اسمه وخطابه وذلك لأنهم توجهوا إلى الرسول بقولهم] فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أصبت [وفي رواية أخرى ما أحببت] قال: فتكلم رسول الله فتلا القرآن ودعا إلى الله...»[1].

وعن هذا الشطر من القصة هناك ملاحظتان:-

الأولى: عدم التطابق حرفياً بين نص خطاب العباس في رواية البكائي عند ابن هشام في سيرة ابن إسحاق، وبين نص الخطاب في رواية الطبري عن ابن إسحاق الذي حذف التعريف بالخزرج، كذلك أورد بدلاً من «وقد علمتم»إلى وقد عتم ولعلها خطأ في النسخ، كذلك بدلاً من «إلا الإنحياز إليكم» أوردت رواية الطبري «إلا الإنقطاع لكم». وقد أعاد ابن كثير نص الخطاب حرفياً. أقول ان رواية هذا الخطاب إذا ما قابلناها ووازناها مع ما أورده المؤرخون والعلماء الآخرون ستبرز عدداً من المُحاجَجات، منها :-

أ - ينقل ابن كثير في البداية والنهاية رواية البيهقي في السُنن أن العباس عندما جاء مع الرسول في الموعد الذي حدّده مع الأنصار: «فقال له: يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤوك إني ذو معرفة بأهل يثرب»[2] إنه تناقض عجيب مع ما عرض سابقاً أي في المسجد بالنسبة إلى البراء وكعب بن مالك عندما استفسر الرسول

---

(١) ابن هشام: ص ٣٠٢.

(٢) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٤٤٣.

منه عن الرجلين. وتمضي رواية البيهقي في القول بما نصه: «فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم هؤلاء أحداث»[1]. كيف تتسق هذه المعلومة مع المعلومة السابقة التي حدثت في المسجد في مكة وفي خطابه «يا معشر الخزرج»؟ وهي دلالة على معرفته بهم، وقوله أن البراء سيد قومه.

ب - أورد ابن كثير رواية عن الإمام أحمد بن حنبل في قوله: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عبد الله عن أبي الزبير عن جابر أنه قال: بأن العباس كان آخذاً بيد رسول الله يواثقنا. فلما فرغنا قال رسول الله: «أخذت وأعطيت»[2]. وإذا ما اتفقنا مع رواية خطبة العباس وحضوره أخذ البيعة، فإن دوره بعد هذه الرواية يختفي تماماً وبالكاد نسمع عنه شيئاً لا في أثناء ذلك ولا بعدها من أحداث السيرة النبوية، حتى معركة بدر فكان دوره معروفاً بمحاربته المسلمين ووقوعه في الأسر من بين أسرى المشركين من قريش.

جـ - ولإبن خلدون في تاريخه رواية لا يكشف عن مصدرها وأحسبه قد جمع الروايات في رواية واحدة دون اسناد لأن بعض ما جاء فيها يتفق مع رواية ابن إسحاق برواية البكائي التي عدّلها ابن هشام كقوله عن بعثة مصعب بن عُمير في المدينة قائلاً: «ودعوا إلى الإسلام في المدينة، حتى فشا فيهم ولم تبق دار من دور الأنصار إلا

---

(١) البداية والنهاية. ج ٢، ص ١٩٥.
(٢) م. ن. ج ٣، ص ١٩٥.

وفيها ذكر النبي»[1]. ثم يأتي برواية تصل هذه المعلومة بمعلومة أخرى بشأن إسلام الاثني عشر أنصارياً فيقول: «حتى إذا كان العام القابل قدم مكة من الأنصار أثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الذين ذكرناهم ما عدا جابر بن عبد الله»، وهي معلومة قد استقاها من رواية ابن إسحاق برواية البكائي، ولم ينقلها ابن خلدون من تاريخ الطبري؛ لوجود اختلافات في الكلمات المنقولة مثلاً: (العام المقبل بدلاً من العام القابل) ثم قوله (وأتى الموسم من الأنصار اثني عشر فلقوه... بدلاً من: قدم مكة من الأنصار... الخ)[2]. ويستمر ابن خلدون بعد ذلك مباشرةً إلى القول: «فبايع هؤلاء الرسول عند العقبة بيعة النساء»، أي أنه أراد أن يقطع بأن هذه البيعة هي غير بيعة الحرب إذ قال: «وذلك قبل أن تُفرض الحرب على الطاعة لرسول الله»[3]. ثم يتحدث بعد ذلك عن عودة مصعب بن عُمير إلى مكة للموسم ومعه جماعة من المسلمين الأنصار «للقاء النبي في جملة قوم، منهم من لم يسلم بعد [ويقصد ابن خلدون قافلة حجيج المدينة الذين كان المسلمون يرافقونها] فوافوا مكة وواعدوا رسول الله [ينظر أن ابن خلدون إما أنه أستبعد تعمداً قصة العباس وجلوس الرسول معه في المسجد عندما استفسر البراء وعدد من الأنصار من رجل مكي عن مكان وجوده، وإما أنه أراد تلخيص الرواية، ومهما يكن فإنه يحتمل جداً، أو أن يكون قد أهملها لقوله مباشرة بعد كلامه قوله: «فوافوا مكة وواعدوا رسول الله العقبة [أي

(١) تاريخ العبر، ج ٢، ص ١٢.
(٢) ينظر: رواية الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٨٧.
(٣) تاريخ العبر، مجلد ٢، ص ٨٨.

أنهم كانوا يعرفونه] في أوسط أيام التشريق سراً ممن حضر من كفّار قومهم وحضر معهم عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وأسلم تلك الليلة [يلاحظ في قول ابن خلدون أنه لم يأتِ حرفياً على رواية البكائي ويُحتمل جداً إما أنه اختزلها وعبّر عنها على وفق تعبيراته هو، أو وهو احتمال وارد قد اعتمد رواية غير رواية زياد البكائي كأن تكون رواية يونس بن بكير الراوية الآخر لرواية سيرة ابن إسحاق، إذ أهملت، أو استبعدت هذه الرواية العباس قبل لقاء العقبة لكن ابن خلدون يذكر بعد ذلك ما يأتي] وأسلم تلك الليلة فبايعوا رسول الله على أن يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وآزرهم وأن يرحل إليهم وأصحابه وحضر العباس وكان على دين قومه بعد وإنما توثق للنبي وكان للبراء في تلك الليلة المقام المحمود في الإخلاص والتوثق لرسول الله وكان أول من بايع وكانت عُدّة الذين بايعوا تلك الليلة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتين واختار الرسول أثني عشر نقيباً»[1]. بمعنى أن ابن خلدون قد تجاوز خطبة العباس وما بعد ذلك في أنه كان آخذا بيد الرسول في المبايعة، فهل يا ترى أنه قد أهمل هذه التفصيلات أي أنه اعتمد على رواية أخرى لسيرة ابن إسحاق كأن يكون يونس بن بكير. والأكثر مباشرة أن قارئ رواية ابن خلدون وتسلسلها الموضوعي يجد أن جملة (وحضر العباس) هي جملة مُضافة. واعتماداً على ما أورده ابن كثير عن رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة [أي سلسلة اسناد تختلف عن

---

(١) تاريخ العبر، مجلد ٢، ص ١٣.

سلسلة عبد الله بن كعب عن أبيه مالك التي اعتمدها البكائي في روايته] قوله: «قال: [أي عبادة] بايعنا رسول الله بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويُسرنا ومنشطنا ومكرمنا وأثرة علينا وأن لا نُنازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» [ثم أورد كما سنبين لاحقاً رواية الشيطان وهو يصرخ من على رأس العقبة بحسب رواية معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب].

د - أورد ابن كثير رواية عن البيهقي، بسلسلة اسناد مختلفة ترجع حلقتها الأخيرة إلى عامر الشعبي نصها: «قال: انطلق رسول الله مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار، عند العقبة عند الشجرة» [وهي معلومة جديدة لم ترد في سيرة ابن إسحاق، إذ أن عامرا قطع بأن عددهم سبعين لا ثلاثة وسبعين وامرأتين، كما أنه أبان أن اللقاء وقع عند الشجرة]، والمهم أن الشعبي عند البيهقي لم يتطرق إلى التفصيلات سوى الدور المرافق للعباس، إنما قال مباشرة: «فقال - يعني الرسول لا العباس طبعاً - ليتكلم متكلمكم ولا يطل في الخطبة فإن عليكم من المشركين عيناً [هذه المعلومة تتناقض كلياً مع رواية عبد الله بن مالك التي اعتمدها البكائي بأنها معلومة تبين مسألة السرية المطلقة للقاء بين الأنصار والنبي] وإن يعلموا بكم يفضحوكم» قال قائلهم وهو أبو إمامة سل يا محمد لربك ما شئت [وهنا أيضاً يختلف التعبير عما ورد في رواية عبد الله بن مالك السابقة] قال أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تأونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم؟ قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: لكم الجنة. قالوا فلك ذلك». إن هذه الرواية تُحجم دور العباس كثيراً فلا تجعله أول

متكلم ولا تذكر كلامه ثم لا تبين دوره في أخذ البيعة. لذلك فإنها تدعونا إلى القول إن دور العباس مُضافاً؛ لأن سياق التعبير لا يدل على أن الذين انطلقوا اثنان إنما انطلق رسول الله. . . فقال «ليتكلم» وهو التعبير الصحيح أما (مع العباس عمه) فتكاد تكون مُقحمة.

وقبل أن ننتقل إلى الروايات المعارضة لوجود دور للعباس الأخرى لا مندوحة من الوقوف على رواية ابن إسحاق بحسب قول راويته البكائي في السيرة، التي هذّبها ابن هشام والتي اختفى فيها اسم العباس، وهو الذي كان آخذاً كما تزعم الرواية نفسها بيد الرسول، حينما كان الرسول يواثق الأنصار، تقول الرواية: «فلما بايعنا رسول الله [يلاحظ أن ابن هشام، أو البكائي نسيا، أن أحد الأنصار، أو البراء توجه إلى الرسول بأن يتكلم وقوله: وخُذ لنفسك وربك ما أحببت، فعندما تحدث الرسول بايعه الأنصار بعد أن قال أحدهم (فما لنا إن بايعناك. قال: الجنة. فرواية البكائي قد نسيت ذلك لنصها] فلما بايعنا رسول الله صرح [والأصح صرخ] الشيطان من رأس العقبة بأنفد صوت سمعته [هنا المقصود كعب بن مالك] يا أهل الجباجب [أي المنازل] هل لكم في مذمم [ويقصد مُحمّد حسبما كان الكفار القرشيون يسمون النبي] والصباء معه اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله: «هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب قال ابن هشام ويُقال ابن أزيب أي عدود، أما والله لا تفرغن لك ثم قال رسول الله: «أرمضوا [،أو في رواية ارجعوا] إلى رحالكم» فقال العباس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيافنا [طبعاً الرواية نسيت أيضاً أن هؤلاء يفترض أن يكونوا حُجّاج المدينة قدموا مكة

للحج وهو من أشهر الحُرُم الذي ينبغي أن لا يُحمل فيه سلاح وأن لا يتحاربوا] قال: فقال رسول الله لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم»[١]. وتستمر الرواية تعرض أنه في صباح اليوم التالي لحادث الشيطان جاء جُلّة من قريش إلى منازل الأنصار يخبرونهم أنهم «قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا. وأنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينكم» بمعنى أن الكفار القريشيين وكأنهم قد سمعوا صرخة الشيطان، غير أن الأكثر أهمية ورود اسم العباس ولكنه ليس العباس عمّ النبي إنما العباس بن عبادة بن نضلة. وكنت أحسب أن العباس بن عبد المطلب قد سمع أيضاً صرخة الشيطان لأن الرواية تزعم أنه موجود لكنها في هذا الحدث أغفلته وكأنه كان غائباً، فضلاً عن أن الكفار لم يتوجهوا إلى العباس عمِّ النبي يستنكرون حضوره مع النبي وخطابه المؤيد إنما توجهوا إلى منازل الأنصار، والأصح أن تقول رِحَال الأنصار فالمنازل غير الرِحَال. ولم يرد بعدئذٍ منذ بيعة الحرب إلى هجرته إلى المدينة دور العباس، أو ورود أسمه في حين زعم في خطابه المدوّي أن الرسول في عز في قومه، ومنعة في بلده.

٢ - الرواية التأسيسية الثانية الرواية الثانية بعد رواية محمد بن إسحاق التي تمت مناقشتها من جميع وجوهها هي رواية تلميذ الواقدي العباسي والمعروف أن الواقدي كان عباسياً في ميوله، فالعباسيون قد دعموه مادياً وكان مقرباً منهم، أما تلميذه وإن كان

---

(١) ابن كثير: ج ٣، ص ١٩٩.

حنبلياً وكان من بين قائمة العلماء الذين استجوبوا بشأن محنة القرآن الكريم فإنه كان كشيخه ذي ميول عباسية أيضاً. اعتمد ابن سعد رواية جمعية الاسناد ليزيد بن رومان مولى الزبير بن العوام وعويم بن ساعدة عن أبيه وعبادة بن الصامت وسفيان بن أبي العوجاء. ونص رواية ابن سعد أنه: «لما حضر الحج مشى أصحاب رسول الله الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون السير إلى الحج [لم تقف الرواية على حُجّاج المدينة من المشركين وغير ذلك من المعلومات] وموافاة الرسول والإسلام يومئذٍ فاشٍ بالمدينة. فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلاً، أو رجلين من خمر[؟] الأوس والخزرج وهم خمسمائة، حتى قدموا على رسول الله مكة فسلموا على رسول الله... ثم واعدهم منى أيام التشريق ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل أن يوافوه في الشِعب الأيمن [وهذه تفصيلات لم ترد في رواية ابن إسحاق] فخرج القوم بعد هدأة يتسللون الرجل والرجلان وقد سبقهم رسول الله إلى ذلك الموضع معه العباس بن عبد المطلب ليس معه أحد غيره [يلاحظ التشديد على دور العباس أنه تشديد متعمد] ثم توافى السبعون ومعهم امرأتان، قال أسعد بن زرارة: فكان أول من تكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه ومحمد من أعزِّ الناس في عشيرته لمنعه والله منا من كان على قوله ومن لم يكن منا على قوله يمنعه للحسب والشرف وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم»(١).

---

(١) ابن سعد: الطبقات، دار صادر، بيروت.

ومن الملاحظات المهمة التي نُعقّب فيها على هذه الرواية هي:-

١ - اختلافها مع رواية البكائي عند ابن هشام في بعض التعبيرات. وفي بعضها لا تتواءم مع رواية عبادة بن الصامت التي وردت عن طريق يونس بن بكير راوية سيرة ابن إسحاق الآخر التي سبق ذكرها. كذلك اختلافها في عدد الأنصار الذين جاءوا لمبايعة الرسول. واختلافها في تحديد الموعد في منى وسط أيام التشريق لا كما وردت عند ابن إسحاق (من أوسط أيام التشريق). كما أن رواية ابن سعد حددت مكان منى، وفي ليلة النفر الأول.

٢ - اختلافها في مسألة مهمة وهي أن الأنصار قد أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون السير إلى الحج وموافاة الرسول، أو أنهم حينما قدموا مكة سلّموا على الرسول ثم واعدهم. يلاحظ اختفاء قصة العباس وجلوس الرسول معه في المسجد.

٣ - إن الرسول (سبقهم) إلى موضع الاجتماع، ثم أدخلت كلمة معه العباس، ولزيادة التأكيد ليس معه أحد غيره، وكأن الذي عدّل في الرواية يريد أن يقطع أي قول آخر في أن يكون مع الرسول شخص ثالث - كالإمام علي مثلاً -، أو رابع من أهله فقال ليس معه أحد غيره فجعل من الرواية السابقة للعباس فحسب.

٤ - اختلاف رواية ابن سعد عن رواية ابن إسحاق في خطاب العباس، على الرغم من أنه من المحتمل جداً رجوعه إلى رواية البكائي عند ابن هشام. بالأخص قوله: «وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم» فلم يقل رسول الله ولم يقل النبي إنما أسماه كما يسمي المشركون النبي بأسمه.

٥ - اختلاف رواية ابن سعد راوية خطاب العباس في أنه أسعد بن زرارة وليس عبد الله عن والده كعب بن مالك. والملاحظ أن أسعد بن زرارة هو من بين الستة الأوائل الذين أسلموا، ولم يرد في قائمة الأسماء المتكررة كالبراء وكعب بن مالك من أنه كان ضمن السبعين.

٣ - الروايات المعارضة للروايتين: رواية البكائي عند ابن هشام في سيرة محمد بن إسحاق ورواية ابن سعد في الطبقات التي يُحتمل جداً أنه نقلها عن شيخه محمد بن عمر الواقدي العباسي النزعة. وبالإمكان عرضها كما يأتي:-

أ - رواية اليعقوبي ذي الميول العلوية على الرغم من أنه قد كتب في أثناء العصر العباسي يقول: «فلما كان العام القابل [وهو تعبير قد أستخدمه ابن هشام بينما استخدم الطبري تعبير المقبل] خرج إليه جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج [يلاحظ أن خطاب العباس بدأه بقوله يا معشر الخزرج فقط] فوافى منهم سبعون رجلاً وامرأتان فأسلموا وصدّقوه، وأخذ رسول الله عليهم بيعة النساء فسألوه أن يخرج معهم إلى المدينة وقالوا: إنه لم يصبح قوم في مثل ما نحن فيه فلا يكون أعزّ منا. فقال لهم رسول الله قولاً جميلاً ثم أنصرفوا»(١). ومع أن اليعقوبي قد خلط بين بيعة النساء وبيعة الحرب، غير أن المهم اختفاء اسم العباس نهائياً فلم يرد له أي ذكر.

ب - هناك رواية وردت عن الإمام أحمد بن حنبل وسلسلة

---

(١) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، مجلد ٢، ص ٣٨.

سندها يرجع إلى جابر بن عبد الله، آخر حلقة فيها فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا مُعمّر ابن خيثم عن أبي الزيد عن جابر قال: «فرحل إليه [إلى الرسول] منا سبعون رجلاً، حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شِعب العقبة فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين، حتى توافينا. فقلنا يا رسول الله علامَ نبايعك؟ قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العُسر واليُسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنّة. فقمنا إليه نبايعه»[1]. يقول ابن كثير وقد رواه الإمام أحمد والبيهقي عن طريق داود بن عبد الرحمن بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما ثم عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي إدريس.

ويلاحظ اختفاء اسم العباس نهائياً، ثم أن نص البيعة يتوافق مع ما ورد في رواية البيهقي عن حنبل بن إسحاق عن عامر الشعبي من أن أبا إمامة قال للرسول سل يا مُحمّد لربك ما شئت. قال أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تأونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم؟ قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: لكم الجنّة، قالوا: فلك ذلك[2]. وما ورد على لسان الصحأبي عبادة بن الصامت رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: «حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه

---

(١) عن ابن كثير، ج ٣، ص ١٩٤.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١٩٩.

عن جده عبادة قال: بايعنا رسول الله بيعة الحرب على السمع والطاعة في عُسرنا ويُسرنا. ومنشطنا ومكرمنا وأثرة علينا وأن لا نُنازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»[1].

ج - وأورد البيهقي رواية تصل إلى عبد الله بن عثمان بن الخيثم عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه قال: «قدمت روايا خمر فأتاه عبادة بن الصامت فخرقها وقال إنّا بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العُسر واليُسر وعلى الأمر بالمعروف... إلى نهاية القول القول، ثم قال: فهذه بيعة رسول الله التي بايعناه عليها. ويعقّب ابن كثير قائلاً: وهذا الاسناد قوي ولم يخرجوه [ولعل الأصح لم يجرحوه].

ومما يثير الاستغراب أن رواية ابن كثير بشأن بيعة العقبة الثانية في كتابه البداية والنهاية التي أتينا على ذكر تفصيلاتها في الصفحات السابقة لا توافق روايته في كتاب السيرة النبوية. كما سنبينه آنفاً. والاختلافات بينهما تؤكد أنه قد دوّن إحداهما قبل الأخرى، وأعتقد بأنه كتب السيرة النبوية بعد تاريخه الطويل البداية والنهاية ولذلك إما أنه عثر على معلومات جديدة، أو إنه اضطرّ إلى إعادة النظر في روايته فصححها وأضاف إليها.

اعتمد ابن كثير في البداية والنهاية في روايته عن بيعة العقبة الثانية على:

١ - رواية عن الإمام أحمد بن حنبل تصل حلقة إسنادها الأخير

---

(١) عن ابن كثير، ج ٣، ص ١٩٩.

إلى الصحأبي جابر بن عبد الله عن رسول الله، والرواية تتعلق ببيعة السبعين رجلاً في العقبة، ويختفي فيها دور العباس بن عبدالمطلب.

كذلك أورد رواية أخرى رواها أحمد بن حنبل أيضاً والبيهقي عن داود بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي إدريس بشأن بيعة الأنصار تلك. وقد تطابق نص البيعة مع النص الذي أتى به ابن كثير عن طريق ثالث وهو رواية البيهقي عن حنبل بن إسحاق عن عامر الشعبي وفيها يروي الشعبي أن أبا إمامة أسعد بن زرارة من بني مالك ابن النجار هو الشخص الذي قال لرسول الله: «سل يا مُحمّد لربك ما شئت» بخصوص شروط البيعة. وأدلى برواية رابعة على لسان عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده حول بيعة الحرب وبنودها، وأتبعها برواية البيهقي عن عبد الله بن عثمان بن الخيثم عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه تتعلق بما قام به عبادة بن الصامت من خرقٍ روايا خمر قدمت إلى المدينة تطبيقاً لبنود المُبايعة «على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العُسر واليُسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر» وهي الرواية التي علّق ابن كثير على إسنادها بأنه إسناد قوي لم يجرحه العلماء[١]. غير أنه في كتاب السيرة النبوية يعتمد رواية محمد بن إسحاق في إسلام الستة من الخزرج ويعتمد رواية أبي نعيم الأصفهاني في أن الهيثم بن التيهان، أو رافع بن مالك، أو معاذ بن عفراء أول من أسلم من الأنصار ويأتي على رواية الشعبي والزُهريّ وموسى بن

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٩٩.

عقبة عن الستة نفر، أو الثمانية نفر الذين أسلموا[1]. ثم يعود مرةً أخرى لاستكمال رواية ابن إسحاق ويفضّلها على رواية موسى بن عقبة أنه لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ، ورواية الاثني عشر أنصارياً وفدوا الموسم. هنا يذكر ابن كثير ابن هشام في تعريفه بالأنصاري ذكوان بن عبد قيس[2]. ومرةً أخرى يعتمد رواية ابن إسحاق على أن هؤلاء الأنصار عزموا على الاجتماع برسول الله فلقوه في العقبة فكانت بيعة النساء في العقبة الأولى، وقدَّم معلومات عن بنودها معتمداً على رواية ابن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب وعن أبي نعيم مؤكداً هذه الرواية بأنها مقبولة عند البخاري ومسلم[3].

أما في رواية العقبة الثانية فيعتمد ابن كثير رواية ابن إسحاق الموجودة فعلاً في تهذيب ابن هشام حرفياً تقريباً، بضمنها قصة البراء بن معرور وصلاته باتجاه مكة، ثم انطلاقه مع كعب بن مالك للبحث عن الرسول، وقصة المكي الذي دلهما على أنه الشخص الجالس مع العباس. . . إلى نهاية القصة، وبضمنها أن العباس كان أول متكلم في الاجتماع بحسب رواية كعب بن مالك عند ابن إسحاق. ثم مبايعة الأنصار واختيار النقباء من قبل الأنصار أنفسهم. وعند تسمية النقباء عن ابن إسحاق يذكر رأي ابن هشام على أن أبا الهيثم كان من بينهم بدلاً من رفاعة بن عبد المنذر ويشير إلى رواية

(١) السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، ١٩٧١م)، ص١٧٧.
(٢) السيرة النبوية. ص ١٧٨.
(٣) م. ن. ص ١٧٩.

يونس بن بكير الراوية الآخر لرواية كتاب ابن إسحاق بأن أبا التيهان كان نقيباً لا رفاعة. ويعتمد ابن كثير هنا لتأييد اختيار أبي الهيثم على السهيلي في الروض الآنف وابن الأثير في أُسد الغابة. وفي ختام حديثه عن النقباء يشير ابن كثير ما نصّه: «وحدثني شيخ من الأنصار أن جبرائيل كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة»[1]. وبعدئذٍ يعتمد ابن كثير على ما رواه البيهقي وما قاله ابن إسحاق أن الرسول وصف النقباء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم. ثم يُدلي ابن كثير بمعلومة عن خطاب العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري قبل المبايعة بحسب رواية عاصم بن عمر بن قتادة. ويقدم ابن كثير رواية ثانية عن اجتماع الأنصار بالرسول معتمداً البيهقي الذي تنتهي سلسلة إسناده إلى عامر الشعبي والتي نصها: «انطلق رسول الله ﷺ مع العباس عمّه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة» وبحسب هذه الرواية فإن الرسول قال للأنصار: «ليتكلم متكلمكم ولا يُطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عيناً...»[2]. دون أن تشير هذه الرواية إلى أن العباس كان أول متكلم، كذلك يختفي اسم العباس عند مبايعة الأنصار ثم ما أعقب ذلك من صرخة الشيطان من رأس العقبة مع أن ابن كثير قد اعتمد ابن إسحاق في رواية معبد بن كعب عن أخيه عبد الله[3].

وقد راجعنا رواية البيهقي في سُننهِ التي اعتمد في إسناده الصحابي جابر بن عبد الله منذ أن ضرب الرسول للأنصار موعداً في

---

(١) السيرة النبوية، ص ٢٠٠.

(٢) السيرة النبوية، ص ٢٠٢.

(٣) م. ن. ص ٢٠٤.

شِعب العقبة ومبايعتهم له على السمع والطاعة. . . إلى نهاية البنود مع إضافة بند «وعلى أن تنصروني إن قدمت عليكم يثرب وتمنعوني مما تمنعون أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنّة»[1]. المهم أن اسم العباس لم يرد نهائياً في رواية البيهقي في السُنن بخلاف ما ذكره ابن كثير في(السيرة النبوية) وهو يشير إلى البيهقي.

د - ولعل من المناسب ذكر رواية ابن الأثير في الكامل فإنها تمثل أيضاً مرحلة الدمج بين المرويات دون التمييز بين التعديلات، أو الإضافات على الرواية التأسيسية ألا وهي رواية محمد بن إسحاق كما رواها البكائي لإبن هشام.

يقول ابن الأثير في موضوع بيعة العقبة الثانية أنه عندما فشى الإسلام بين الأنصار: «اتفق جماعة منهم على المسير إلى النبي ﷺ مستخفين لا يشعر بهم أحد فساروا إلى مكة في الموسم في ذي الحجة مع كفّار قومهم واجتمعوا به ﷺ وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة. فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثه مستخفين يتسللون، حتى اجتمعوا به ﷺ بالعقبة وهم سبعون رجلاً معهم امرأتان نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء أم عمرو بن عدي من بني سلمة» والرواية هذه محاولة من ابن الأثير إلى دمج معلوماتها بشكل موضوعي إلى أن يأتي إلى النقطة المحددة فيقول: «وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمّهُ العباس بن عبد المطلب وهو كافر [يكاد ابن الأثير ينفرد في تعبيره هذا عن التعبير الأصلي في الرواية التأسيسية لإبن إسحاق من أن العباس كان على دين قومه] أحب أن يتوثق لإبن أخيه

---

(١) ينظر: البيهقي: سنن، ج ٩، ص ٩.

فكان العباس أول متكلم [وابن الأثير هنا يتابع رواية ابن هشام والطبري ولعله اعتمد على الأكثر رواية الطبري لأنه أورد كلمة (الإنقطاع) عندما أشار العباس إلى أن الرسول في عزٍّ ومنعة وأنه أبى إلا الإنقطاع إليكم]. ويستمر ابن الأثير في عرضه رواية الطبري بضمنها كلمة العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري وصرخة الشيطان[1].

هـ - إن رواية ابن الجوزي في المُنتظم - مع أنها تسبق رواية ابن الأثير بما له علاقة بوفاة ابن الجوزي التي سبقت سنة وفاة ابن الأثير -، تمثل خطأً جديداً في التصريح باسناد مُخالف. والمعروف أن ابن الجوزي حنبليّ المذهب غير أنه قد يختلف عن الآخرين فيذكر في سنة ١١هـ من النبوة (بدء إسلام الأنصار) رواية عن أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري عن ابن عباس قال حدثنا علي بن أبي طالب قال: «لما أمر الله تعالى رسول الله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلّم ووقفت أنا مع رسول الله. قال علي وكان أبو بكر مقدماً في كل خبر وكان رجلاً نسّابة[2]». نلحظ أن ابن الجوزي يهدف إلى الجمع بين الاثنين مع تقديم المفضول. أما بالنسبة إلى رواية ابن الجوزي في العقبة الثانية فيبدو أنه عاد فاعتمد على رواية ابن هشام نصاً فيما عدا المعلومة

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (طبعة ثانية، بيروت، ١٤٦٥ج / ١٩٩٥م) ج١، ص ٦١٢.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، طبعة أولى، بيروت، ١٤١٢ج / ١٩٩٢م، ج ٣، ص ٣٠٥.

الخاصة بالاجتماع بين القوم ورسول الله في الشِعب بقوله: «فاجتمعنا بالشِعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا عمّه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذٍ على دين قومه» [فمن الملاحظ أن الصحيح ينبغي أن يكون، حتى جاءنا مع عمّهِ. . . الخ] ويستمر ابن الجوزي في نقل رواية ابن هشام نصاً[1].

٤ - رواية شيعيّة مُعارضة للمرويات السابقة:

لسوء الحظ فإن الرواية التي كُنّا نتطلع إلى الحصول عليها ألا وهي رواية أبان بن عثمان البجلي، الذي كان يعتمد رواية الإمام الصادق عليه السلام قد ضاعت، وبقي منها مرويات موجودة في تاريخ اليعقوبي، وفي أعلام الورى للطبرسي، وبحار الأنوار وغيرها. ورواية أبان مهمة جداً لأنه ألّف كتاباً في السيرة بعد ابن إسحاق بحوالي عشرين عاماً، إذ أنه توفي حوالي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. وكتاب أبان أوسع وأشمل من سيرة ابن إسحاق المختصرة لأنها ضمت خمسة محاور: - المبتدأ، المبعث، المغازي، السقيفة، الردّة[2].

والرواية الشيعية التي أشرنا إليها هي رواية علي بن إبراهيم بن هاشم أبي الحسن القمي المتوفى سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م. وقد أمتدحه النجاشي في رجاله بقوله إنه ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع وأكثر وصنّف كتباً، وقد أُضِرَّ في وسط عمره. وألف

---

(١) المنتظم، ج ٣، ص ٣٠٥.

(٢) ينظر: د. رسول جعفريان: سيرة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، تعريب: د. علي هاشم الأسدي، الطبعة الأولى، مشهد، ١٤٢٧ قمري، ص ٩٣ - ١٠٠.

كتاب المغازي وكتاباً آخر عنوانه (الأنبياء)[1]، وله كتاب ثالث بعنوان (تفسير أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي طبع طبعة ثالثة في قم سنة ١٤٠٤هـ بمجلدين، وصححه السيد طيب الجزائري. وامتدحه ابن داود معتمداً ترجمة النجاشي نصاً لقوله ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب[2].

ورواية علي بن إبراهيم مهمة جداً ننقل منها ما يتعلق بخروج وفد الأنصار إلى مكة. قال علي: - «قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس [وهي معلومة تختلف عن معلومة ابن إسحاق ومن تبعه] في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج. وكان بين الأوس والخزرج حرب. فخرج أسعد وذكوان إلى مكة في عُمرة رجب يسألون الحلف على الأوس. وأن أسعد بن زرارة كانت تجمعه صداقة مع عتبة بن قيس القرشي المشرك فنزل عليه وقال له: «إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم.. قال عتبة بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء، قال (أسعد) وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال (يعني عتبة): خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، فسفه أحلامنا، وسبّ آلهتنا وأفسد شبابنا وفرّق جماعتنا. فقال أسعد: من هو منكم، قال (يقصد عتبة) ابن عبد الله بن عبد المطلب من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً». ويشير علي بن إبراهيم إلى أن أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج اعتادوا على أن يسمعوا من اليهود في يثرب وهم بنو النضير وبنو قريظة وبنو

---

(١) النجاشي، رجال، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني، طبعة الخامسة، قُم، ١٤١٦ج.

(٢) رجال ابن داود الحلي (النجف الأشرف، ١٢٩٢ج) رقم ١٠١٨، ص ١٣٥.

قينقاع خبراً بأن هذا»، أو أن نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلكم به يا معشر العرب» لذلك عندما سمع أسعد ذلك «وقع في قلبه ما كان يسمع من اليهود» فسأل عتبة عن مكان النبي فدلّه على أنه جالس في الحجر»وأنهم - أي بنو هاشم - لا يخرجون من شِعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنه ساحر يسحرك بكلامه»[1]. وإشارة عتبة هذه تقودنا إلى زمن حصار بني هاشم في الشِعب. وتستمر الرواية، رواية علي بن إبراهيم، في سرد القصة إذ جاء نصها: «فلما قدمت الأوس والخزرج مكة جاءهم رسول الله ﷺ فقال لهم: تمنعون لي جانبي، حتى أتلوا عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟ قالوا نعم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما شئت، فقال: موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق»[2]. فلما أنهى الأنصار الحج عادوا إلى منى «وكان فيه ممن قد أسلم كثير، وكان أكثرهم مشركين على دينهم وعبد الله بن أبي فيهم فقال لهم رسول الله ﷺ في اليوم الثاني من أيام التشريق فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة ولا تنبهوا نائماً وليتسلل واحد فواحد». وكان الرسول يقيم في دار عبد المطلب بعد انتهاء إجارته إثر عودته من الطائف. وكان معه حمزة وعلي والعباس، فجاء الأنصار وهم سبعون رجلاً من الأوس والخزرج ودخلوا الدار. ولما اجتمعوا بالرسول ﷺ قال لهم رسول الله ﷺ: «تمنعون لي جانبي، حتى أتلوا عليكم كتاب ربي وثوابكم على الله الجنة؟

(١) الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى، (تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٧ج، مجلدان)، ج ١، ص ١٣٧ - ١٣٨.
(٢) م. ن. ج ١، ص ١٤٢.

فقال أسعد والبراء وعبد الله بن حرام: نعم يا رسول الله فاشترط لنفسك ولربك» [يبدو عليه التكرار فقد بدأت الرواية به كما سبق ذكره قبل قليل] فقال رسول الله: «تمنعوني مما تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي مما تمنعون أهليكم وأولادكم. فقال (أسعد) فما لنا على ذلك؟ قال: «الجنّة تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً. فقالوا: قد رضينا». وهنا تقدم الرواية شيئاً ملفت للأنظار حين تقول: «فقام العباس بن عبادة بن نضلة [وليس العباس بن عبد المطلب] وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج [تشابه بداية خطاب العباس في رواية ابن إسحاق] تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأبيض والأحمر، وعلى حرب ملوك الدنيا، فاعلمتم انه إذا أصابتكم مصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغووه [وهنا أيضاً فإن العباس أستخدم هذا التعبير في رواية ابن إسحاق ومن أيدها من المؤرخين] فإن رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عزٍّ ومنعة [تماماً كما نسبت هذه الأفكار والكلمات إلى العباس بن عبد المطلب] فقال له عبد الله بن حرام وأسعد وأبو الهيثم بن التيهان. مالك وللكلام يا رسول الله؟ بل دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك فاشترط لربك ولنفسك ما شئت»[1].

عندئذٍ قال الرسول لهم أن يُخرجوا أثني عشر نقيباً منهم يكفلونهم [كما أخذ موسى من بني إسرائيل أثني عشر نقيباً] فقال الأنصار: «اختر من شئت فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم» فاختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد، البراء، عبد الله بن حرام أبو جابر، رافع

---

(١) الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى، . ج ١، ص ١٤٣.

بن مالك، سعد بن عبادة، المنذر بن عمرو، عبد الله بن رواحة، سعد بن الربيع، عبادة بن الصامت. واختار ثلاثة من الأوس وهم: أبو الهيثم بن التيهان وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف، وأُسيد بن حُضير، وسعد بن خيثمة[1].

فلما بايعوا الرسول صاح إبليس: «يا معشر قريش والعرب هذا مُحمّد والصباة من الأوس والخزرج على جمرة العقبة يبايعون على حربكم». فلما سمع أهل منى الصيحة هاجت قريش وشهروا السلاح. لكن رسول الله عند سماعه النداء قال للأنصار أن يتفرقوا. فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا. فقال الرسول: «لم أؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم» وعرضوا عليه أن يخرج معهم إلى يثرب أجاب الرسول: «أنتظر أمر الله».

وتعرض رواية علي بن إبراهيم مسألة لم يتعرض لها التدوين التاريخي لبيعة العقبة السابق. يقول علي بن إبراهيم: «فتوجهت قريش على بكرةِ أبيها شاهرةً السلاح متوجهة نحو محاربة الرسول والأنصار في العقبة، فنهض إليهم حمزة ومعه السيف ووقف ومعه علي بن أبي طالب على العقبة. فلما رأى المشركون حمزة قالوا: «ما هذا الذي اجتمعتم عليه» فقال (حمزة): ما اجتمعنا وما هاهنا أحد. والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي فرجعوا»[2].

تكشف هذه الرواية أنه لم يكن للعباس بن عبد المطلب أي دور

---

(١) الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى، . ج ١، . ص ١٤٣.
(٢) م.ن.، مجلد ١، ص ١٤٤.

مهم في اللقاء بين الرسول والأنصار سواء كان ذلك الدور في رواية مسجد مكة أم في العقبة الثانية. كذلك أماطت هذه الرواية اللثام عن عملية التعديل والتكييف التي قام بها: - محمد بن إسحاق بعد أن أعاد النظر في قراطيسه قبل كتابة الكتاب، ثم أهداه لأبي جعفر المنصور، أو لابنه المهدي، أو من قبل راوية ابن إسحاق الذي لم يكتسب ثقة علماء الرجال الكاملة والذي منع ابن هشام أن يتدخل في روايته ولاسيما أي معلومة «تسوء بعض الناس» على حدِّ قول ابن هشام، أو من قبل ابن هشام نفسه إذ أنه صرّح علانيةً بأنه «تارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب... لما ذكرت من الاختصار» بحسب كلمات ابن هشام نفسه(1). وبخاصة الكلمات التي أُدخلت في الرواية المدسوسة رواية العباس وخطابه الموجه إلى الأنصار، والاستشهاد به وكأنه الناصح الأمين الذي أراد أن يقوي ويدعم جانب ابن أخيه رسول الله، وأن الراوية الذي أقحم العباس اضطرّ فقط إلى إضافة بن عبد المطلب بدلاً من العباس بن نضلة، إنها عملية سهلة جداً في التغيير والتحوير لتعطي نتائج شرعية كبيرة للمنصور والعباسيين في مُحاججتهم أئمة أهل البيت الحقيقيين.

ففي رواية لمُحمد بن سليمان الكوفي القاضي المتوفّى سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م أن قاضي الريّ عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه سمع أمير المؤمنين علياً يقول: «اجتمعت أنا وفاطمة والعباس وزيد بن حارثة عند النبي فقال عباس: يا رسول الله كبرت سنّي ودقّ عظمي

---

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة، ج ١، ص ١٩.

وكثرت مؤنتي فإن رأيت يا رسول الله أن تأمر لي بكذا وكذا وسقا من الطعام فافعل»[1]. وفي حادثة أخرى وقعت في خلافة عمر في آخر سنة من خلافته أتاه مال كثير» فعزل حقنا - بحسب كلمات الإمام علي - ثم أرسل إليَّ فقال: يا علي هذا حقكم فخذه. فقلت يا أمير المؤمنين لنا (الآن) عنه غنى وبالمسلمين إليه حاجة فردّه عليهم. فلقيني العباس فقال: يا علي نزعت منّا اليوم شيئاً لا يُردّ علينا فردّه عمر عليهم تلك السنة ولم يدعني أحد بعد عمر، حتى قمت مقامي هذا»[2]. وقد كان للعباس الدور الحاسم في التوسط لأبي سفيان عند النبي قبيل فتح مكة بقليل لأن لهما مصالح تجارية ومالية مشتركة.

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين، (طبعة أولى، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢ج)، ج ١، ص ٤٤٦.
(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين. ص ٤٤٧.

الفصل الثاني

العباس بن عبد المطلب
وإبنه عبد الله عند المستشرقين

أصل هذه الأوراق القليلة المتواضعة كان مساهمةً في المؤتمر الذي عُقد في جامعة الكوفة إحياءً لذكرى وفاة آية الله العلامة السيد محمد تقي الحكيم رحمه الله تعالى برحمته الواسعة. فمن بين مؤلفات المرحوم الكثيرة وفي ميادين مهمة جداً في إحياء تراث النبوّة الإسلامي والريادي وفي إحياء تراث الأئمة الأطهار عليهم السلام. ذلك التراث الثر الذي نحن الآن بأشد الحاجة إليه وإلى أن نرى شذرات منه فقط وليس ذلك التراث برمته شذرات من نموذج الإمام علي، مطبقة في الفكر والسياسة والإدارة والاجتماع والاقتصاد وفي التنمية البشرية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني - المصطلحات التي غدت رائجة اليوم وتنسب إلى النتاج الفكري والسياسي النظري الغربي والأمريكي دون معرفة بأن نبينا محمد وأئمة أهل البيت قد ألفوها وطبقوها عملياً ونظرياً بدءً من الدستور، أو الوثيقة التي وضعها الرسول مروراً بصلح الحديبية ووصاياه إلى عماله وصحابته رضوان الله عليهم ومروراً بالرسائل التي كان الإمام علي يضعها عند تعيينه عمّاله في الأمصار ومن بين أهمها رسالته إلى عامله في مصر مالك بن الأشتر وتطبيقاته عليه السلام العملية الإنسانية في ميادين القتال وفي الجدال السياسي والفكري مع أعدائه وبالأخص معاوية بن أبي سفيان، وفي متابعاته المستمرة ضد المقصرين من عماله وإن كان ذلك الشخص يمت إليه نسباً وعشيرةً مثل موقفه من أخيه ومن عبد

الله بن عباس عامله على البصرة حينما استغل منصبه في فساد إداري وماليّ.

كلنا نتطلع إلى مثل هذه الشخصيات النادرة في التاريخ ونتابع أفكارهم وسياساتهم ونقتدي بها مع أنفسنا ومع الآخرين، وجميعنا يتطلع إلى أن نولي اهتماماً إلى المستضعفين الذين يطبقون الواجبات ولكن لا يرون وميضاً من حقوقهم.

كان الكتاب الذي صار موضوعاً للبحث هو (عبد الله بن عباس) المؤلف الضخم الذي وضعته أنامل آية الله السيد محمد تقي الحكيم رحمه الله. وقد جهد المرحوم أيما جهد في متابعة هذه الشخصية الإسلامية (حبر الله) من جميع وجوهها الأسرية والنسبية والاجتماعية والعلمية. تلك الشخصية التي يعكسها تراثنا الإسلامي ومصادرنا الإسلامية إنها شخصية شاملة جامعة ومتنوعة المعارف والثقافات منذ أن كان في سنيه العشر الأولى. وقد سمّاه المستشرق الأسكتلندي المعروف مونتغمري وات Watt بأنه: (أبو تفسير القرآن) مع أن وصفه هذا يكاد يكون متواضعاً فإبن عباس هو أبو التاريخ وأبو الحديث الشريف وأبو الفتوى وأبو الدواوين الشعرية الجاهلية كما تمتدحه مؤلفات التاريخ والتراجم والصحابة.

وعبد الله بن عباس فوق كل هذا هو أبو الخلفاء العباسيين الذين نهضوا بجديّة لاحتضان مؤرخي السيرة والمغازي ورواة الأخبار والتاريخ والأنساب الروّاد والمؤرخين الروّاد. فإلى أبي جعفر المنصور وإلى ابنه المهدي أهدى محمد بن إسحاق رائد التدوين التاريخي للسيرة النبوية الشريفة كتابه الذائع الصيت (السيرة النبوية بمحاورها الثلاثة المبتدأ والمبعث والمغازي). وعلى اعتبار أن ابن

إسحاق قد جمع معلوماته وقراطيسه في المدينة المنورة قبل أن يغادرها إلى العراق فإنه اضطرّ أن يعيد النظر بما سطّره من معلومات بشأن جدّ العباسيين العباس بن عبد المطلب. فضلاً عن أن العباسيين احتضنوا مؤرخ المغازي والطبقات محمد بن عمر الواقدي وتلميذه العالم المعروف محمد بن سعد البصري وأبي معشر والبلاذري وغيرهم كثر.

كيف حلّل المستشرقون مواقف العباس وابنه؟ وهل قدّموا تفسيرات مفيدة، أو قابلة للمحاججة وإبداء الرأي؟ فالمستشرقون لم يدرسوا العباس دراسة منفردة ولم يدرسوا مكانة ابنه دراسة مُسهبة ومنفردة أيضاً. مما لا شك فيه أنهم قد تابعوا نتاجات الحَبر عبد الله بن عباس في ميادين متنوعة، ففي الفقه والحديث الشريف والتفسير كان للمستشرقين المهتمين بهذه الحقول إسهامات من أمثال المستشرق شاخت وجولد تسيهر، وهنري لامانس، ونولدكه، وتيان، ومرغليوث، وبهل وشبرنجر، وفلهاوزن وبروكلمان، وليفي، وغيرهم، كذلك فإن هناك مستشرقين قد وقفوا على أدواره السياسية والتاريخية لا سيما خلال العصر الراشدي عامّةً وإبّان خلافة الإمام علي وما حدث من أحداث سياسية مهمة وإبّان حكم معاوية ومنهم مونتغمري وات وبروكلمان وبهل في دراسته عن خلافة الإمام علي وجولد تسيهر وهنري لامانس وهورفتز وبيترسن وفاجيلري وكبرييلي وآخرين.

ولعلنا نوزع آراء المستشرقين عن العباس بن عبد المطلب وإبنه عبد الله إلى قسمين، آراء المستشرقين الذين يمثلون الجيل الأول منهم الذين ألفوا دراساتهم وكتبهم في القرن التاسع عشر الميلادي

وأولئك الذين يمثلون الجيل الثاني الحديث والمعاصر. فمن بين المستشرقين القدامى كان المستشرق كايتاني L. Caelani في كتابه المشهور (حوليّات الإسلام) بعشرة أجزاء (طبع في ميلان من 1905 - 1926م)، وكتابه الآخر (كرونوغرافيا إسلاميكا) وهنري لامانس في دراساته عن معاوية وإبنه يزيد ودراسته التي وقف فيها على العباس بن عبد المطلب (فاطمة وأبناء مُحمّد)، ووقف شبرنجر المستشرق الألماني على الموضوع ولا سيما علاقة العباس بالنبي في دراسته (حياة مُحمّد وعقيدته) طبعها سنة. وكذلك بالنسبة إلى فلهاوزن الألماني في دراسته (الدولة العربية وسقوطها) وجولد تسيهر في دراسته عن القرآن الكريم المطبوعة سنة 1920م، ونولدكه الألماني عن دراسته عن تاريخ القرآن الكريم وبروكلمان في دراسته عن (تاريخ الشعوب الإسلامية) ودراسته (الشيعة والخوارج) وفريدلاندر الدانمركي في دراسته المفصّلة عن (عبد الله بن سبأ). ووليم ميور البريطاني في كتابه (حياة مُحمّد اعتماداً على سيرة ابن هشام).

ومن مستشرقي الجيل الثاني اهتمت المستشرقة الإيطالية فينشيا فاجيلري بعبد الله بن عباس، وكذلك في دراساتها عن الصراع بين الإمام علي ومعاوية، وانشقاق الخوارج. كذلك وقف المستشرق الإيطالي فرانشيسكو گبرييلي على العباس وابنه في دراسته (مُحمّد والفتوحات الإسلامية) ودراسته عن الخوارج، وكما أن ديللا فيدا الإيطالي قد درس الخليفة الإمام علي في كتاب الأنساب للبلاذري. ولديللا فيدا والمستشرق الإيطالي بنتو دراسة عن معاوية بن أبي سفيان في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري. وفي كلتا الدراستين

وقفة على عبد الله بن عباس. وللمستشرق البريطاني مونتغمري وات دراسة عن العباس بن عبد المطلب في كتأبيه المترجمين المشهورين (مُحمّد في مكة) (مُحمّد في المدينة) وفي كتابه الثالث (مُحمّد النبي ورجل الدولة) وله دراسة منفصلة عن العباس. كما أن الإستشراق الدانمركي قد أهتم بدراسة النزاع بين الإمام علي ومعاوية وقد وقف المستشرقون الدانمركيون على مواقف العباس وإبنه في هذه الدراسات ودراسات أخرى عن الإمام علي وعبد الله بن العباس، ودراسات عن معارك الجمل، وصفين ودراسة عن الإمام الحسن والصلح الذي عقد مع معاوية وموقف عبد الله بن عباس من ذلك. ومن بين هؤلاء المستشرقين فريدلاندر وبهل وبيترسن.

آراء المستشرقين في العباس بن عبد المطلب

لعل من المفيد تشخيص النقاط المتعلقة بالعباس بن عبد المطلب عمّ النبي بالآتي:-

١ - ركّز المستشرقون، كيتاني ولامانس ونولدكه ومونتغمري وات على مسألة منهج التدوين التاريخي الإسلامي. وأنه قد وضع زمن العباسيين، وأن الخلفاء العباسيين قد شجعوا المؤرخين الأوائل مادياً. ومن ثم فإن هذا التدوين قد عمد ألى إتباع نهج التمجيد والتعظيم للجدِّ الأعلى للعباسيين وإظهار دوره ونشاطاته الاجتماعية والأسرية والسياسية إزاء دعوة الرسول الكريم. ويرون أن اتخاذ العباسيين العباس أسماً لدولتهم، وأن الخلفاء العباسيين منحدرون نسبياً من سلالته (أي من سلالة رجل ذكر) يعني أنهم أرادوا أن يتباروا مع العلويين في نسبتهم إلى فاطمة.

٢ - وبناءً على تلك النقطة المهمة فإنه من الصعب جداً - بحسب رأيهم - تصديق المرويات التي تسير في اتجاه تمجيد دور العباس في الدعوة الإسلامية بدءً من تلقي رسول الله الوحي ثم مروراً بإعلان الدعوة على عشيرته: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]. وأنهم يشددون على هذه المسألة على أساس أن اسم العباس لم يظهر أبداً وبشكل أيجابي مع الإسلام خلال مرحلة الدعوة السرية

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

مع العلم أن عمره - بحسب رأيهم - كان مقارباً لعمر الرسول الكريم إذ أن ولادته كانت قبل سنتين، أو ثلاث سنوات من ولادة رسول الله. ويضيفون إلى ذلك موضوعاً مهماً بأن عبد المطلب كان غنياً ومترفاً في الجاهلية على عكس عمّ النبي الآخر أبي طالب. وكان للعباس دور في الجاهلية في موضوع السقاية وعمارة الكعبة وممن له الزعامة في بني هاشم وقريش.

٣ - ويشددون على أن هناك صعوبة وعقبة كبيرة في مسألة أخبار العباس والتمييز بين ما هو حقيقي في المرويات وبين ما هو قصصي وخيالي between fact and fiction لذلك يصعب تقييم دوره، أو تصديق المرويات بشأنه.

٤ - يظهر من التاريخ أن العباس كان تاجراً ومتمولاً رأسمالياً بحدود الإمكانات المالية والاقتصادية لتلك الحقبة. وكان أكثر رخاءً وغنىً من أبي طالب، وأن أبا طالب بسبب مشاكله المالية تنازل عن حقه في السقاية وربما في الرِفادة وهما من المناصب الاجتماعية والدينية السامية والكبيرة في الجاهلية فقد سلّم السقاية إلى العباس. وكان العباس وأبو سفيان من التجّار والمتمولين الكبار وتجمعهما علاقات اقتصادية تجارية حميمة. لذلك وبحسب ما يرى بعضهم أن لهذه العلاقة أسبابها في بقاء العباس وثني إلى جانب أبي سفيان، وأنه كان الوسيط الداعم لأبي سفيان عند الرسول قُبيل فتح مكة.

٥ - يرى المستشرقون أنه ليس هناك من دليل تاريخي بيّن يعكس أي تقارب وصلة، أو علاقة ودّية تجمع بين النبي وعمّه العباس قبل سنة ٧هـ / ٦٢٩م. ويشير البعض منهم أن العباس قد زوّج ميمونة أخت زوجه لبابه للنبي قبل أعتناقه الإسلام. ورواية

الزواج هذه جاءت عن طريق إبنه عبد الله بن العباس في الطبري بقوله أنه رأى خالته ميمونة يزفها العباس إلى الرسول في مكة، على الرغم من وجود رواية أخرى تذكر أن عكرمة راوية ابن عباس هو الذي قام بتلك المهمة.

٦ - ويُشكّك مستشرقون أمثال نولدكَه ولامانس ومونتغمري وات بالروايات المتعلقة بالعباس ويرون أنها مجرد قصص، لا سيما تلك المرويات التي تعكس دعم العباس وتأييده للدعوة الإسلامية ولرسول الله قبل سنة ٧هجرية. ويشككون بدور العباس الحامي والناصح للرسول، أو أنه اتخذ مواقف في حماية الرسول، حتى ظهور أسمه في بيعة العقبة الثانية، مع العلم بأنهم يقفون موقف الشك في دوره (الذي ناقشناه في بحثٍ سابق) في العقبة وأن فلهاوزن وشبرنجر ونولدكه يؤيدون الرأي القائل بأن العباس ربما قام بدور ما في حماية الرسول في آخر سنة، أو سنتين له في مكة.

٧ - يرى بعض المستشرقين أن بني هاشم عموماً لم تكن تنظر إلى العباس بن عبد المطلب كشخصية بارزة كما هو الحال في نظرتهم إلى أبي لهب. فإن بني هاشم قد رفضوا مواقف أبي لهب في عدم موافقته حماية الرسول.

٨ - والمستشرقون يتفقون على أن العباس لم يلتحق برسول الله إلا حين توجهه لفتح مكة سنة ٨ هجرية/ ٦٣٠م. ومع ذلك فإن اعتناقه للإسلام لم يكن مؤثراً موازنةً مع اعتناق أبي سفيان الإسلام. وكان العباس الواسطة الفعّالة في تقريب أبي سفيان للرسول وفي تعليمه الشهادتين.

٩ - أما المرويات التي تشير إلى مشاركة العباس بحماس في

معركة حُنَين فإنها مشكوك فيها وغامضة، وهناك شكّ أيضاً في الرواية التي تعكس بطولة العباس وصرخته المدويّة التي غيرت من ميزان مجريات أحداث المعركة. ويشير هؤلاء إلى أنه من اللازم تحليل وتفحص أسانيد هذه المرويات وأن سند رواية معركة حُنَين ضعيف وهو سند مقصود. كذلك فإن الرواية التي تؤكد مساعدته المالية في تمويل حملة تبوك لا تعني أنه شارك في الحملة في سوريا التي - بحسب رأيهم - تظهره المصادر الإسلامية.

١٠ - كذلك يقفون على موضوع مطالبة العباس الرسول تخصيص رزق له، فمنحه رزقاً سنوياً من ريع خيبر في الوقت الذي كان العباس تنطبق عليه ما ورد في سورة الفتح وفي الحديث الشريف أنه لا هجرة بعد الفتح إنما هو جهاد ونيّة. وأن الخليفة عمر خصص له رزقاً وساواه مع البدريين في الرزق.

١١ - مع ذلك فإن الرسول والخلفاء من بعده لم يعينوا العباس في أي منصب إداري. بمعنى أنهم لم يعطوه حقّه وحق قرابته من الرسول وعدّوه ذلك بالموقف غير الإيجابي.

المستشرقون وعبد الله بن العباس

أما بصدد مواقف المستشرقين الذين ألّفوا مؤلفاتهم عن السيرة النبوية ومدّة الخلافة الراشدة ومعاوية، من عبد الله بن عباس، فتكاد تقف على موضوعات مهمة جداً تلك التي تتعلق بمصادر المعلومات عنه وبالمرويات التاريخية التي قدمت صوراً إيجأبية جداً عن ابن عباس ونشاطاته العلمية والسياسية وبالأخص علاقاته مع الإمام علي ومعاوية. وإنها أيضاً تتباين في تفسيراتها ومواقفها في جوانب أخرى لا سيما العلمية منها تلك التي اتفقت عليها الرواية التاريخية الإسلامية. وكما هو الحال في دراسة العباس فإنه من الأوفق تناول آراء المستشرقين ومواقفهم بحسب النقاط الآتية: ١ - هناك أتفاق على التسمية فهو عبد الله بن عباس وأحياناً يشار إليه من قبلهم بابن عباس دون أن يسمونه بكنيته أبو العباس. كذلك فقد لقبوه باللقب المشهور به (الحَبر) وبعضهم سمّاه بـ(البحر Sea) إشارة إلى مكانته العلمية السامية. وأن المستشرقين الإيطاليين كبريبلي وفاجيلري أضافا إليه تعريف آخر وهو Doctor. وهو مصطلح ليس بالضرورة يفهم منه حامل شهادة الدكتوراه. فالتعبير في المعاجم الأجنبية يتضمن عدة تعريفات عدة منها ما له علاقة مباشرة بتعبير الحَبر وهي :-

1 - A Learned and an authorities teacher

أي الأستاذ، أو المعلم المتعلم والموثوق به.

2 - An eminent theologian declared a sound expounder of doctrine

وهو التعريف الأنسب وترجمته: (أي فقيه بارز ولامع أظهر تفسيراً أصيلاً وصحيحاً للمذهب).

وكما أشرت إن هذا أقرب المعاني للقب الحَبر غير أن هذا المعنى - الأخير - قد خصص - في الواقع - في المعاجم اللغوية الأجنبية لرجال الدين البارزين ضمن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لذلك فربما أنه معنى له دلالته بالنسبة للكنيسة وبالنسبة للفقيه عند اليهود (حَبر جمعها أحبار المذكورة في القرآن الكريم).

والمستشرقون يصفون عالميته وبأنه يعدّ واحداً من أعظم العلماء إن لم يكن أعظمهم ضمن الجيل الإسلامي الأول. فهو أبو التفسير - تفسير القرآن، في الوقت الذي صار فيه مفسراً مجدداً وفي رأيه أن التفسير عليه أن يواكب متطلبات المجتمع الجديد في التحولات الجذرية التي شهدها، فتتغير دلالاته بناءً على هذه المتغيرات. ويصف المستشرق ابن عباس أنه كان ذكياً جداً في إنجاز هذه المهمة في تفسير القرآن الكريم.

٢ - يميل المستشرقون إلى الرواية التي تفيد بأنه قد ولد قبل ثلاث سنوات من الهجرة إلى يثرب، وعندما كان بنو هاشم محاصرين من قبل المشركين القريشيين في الشِعب. وقد اعتنقت أمه الإسلام ويبدو أن ابن عباس قد اعتنقه أيضاً. وكان منذ نعومة أظفاره يميل إلى جمع المعلومات عن النبي وذلك عن طريق أستفساراته المستمرة من الصحابة. وقد طوّرت هذه العملية ابن عباس فكرياً وعقيدياً وهو لم يزل صبياً لم يتجاوز العشر سنوات من عمره، حتى أصبح بمثابة Master أستاذاً تحلّق حوله حشد من

الصحابة والناس الراغبين في العلم. لذلك فإنه كان كثيراً ما يفتخر جداً بمعرفته التي استندت إلى عامل الحفظ بالدرجة الأساس وإلى مجموعة كبيرة من المدونات التي كان يكتبها. وكانت له محاضرات محددة بحسب أيام الأسبوع في مختلف الميادين كتفسير القرآن والمسائل الفقهية والمغازي وتاريخ العرب قبل الإسلام والشعر الجاهلي. وكان هناك أتفاق على فتاواه الفقهية، وهم يشيرون إلى فتواه في تحليل زواج المتعة في بداية الأمر، مع أنه اضطرّ في أواخر حياته إلى تغيير موقفه ومحاولة تسويغ فتواه بذلك.

٣ - وترى فاجيلري أن تفاسيره للآيات القرآنية متعددة وقد جمعت في مجاميع خاصة ترجع أسانيدها الرئيسة إلى أحد تلامذته. كذلك الحال بالنسبة إلى فتاواه فهي أيضاً متعددة وقد جمعت. وتقول المستشرقة أنه لدينا اليوم عدد من المخطوطات المنسوبة إليه سواء كانت هذه النسبة حقيقة أم خطأ، إنه أمر لا تستطيع المستشرقة - بحسب رأيها - البتّ فيه، أو التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مزيف ومنسوب إليه. أما بالنسبة إلى مستشرقين آخرين كهنري لامانس وجولد تسيهر وبروكلمان فإنهم يشككون في تفاسيره المجموعة مستندين إلى أنه ليس هناك دراسة علمية حول هذا الموضوع.

٤ - فالموقف من علميّة ابن عباس كما رأينا مختلف في الاستنتاج الإستشراقي المبني على الشك في تلك المرجعية التي تمّ اعتمادها في المباني الفكرية الفقهية لابن عباس.

والمستشرقون بصورةٍ عامة يركزون على دور ابن عباس السياسي، ذلك الدور الذي أداه طيلة حياته. فيرى جولد تسيهر،

وبروكلمان، وفاجيلري ان دوره مبالغ فيه كثيراً، ويرجعون سبب هذه المبالغة إلى أن علماء الرجال والطبقات كانوا واقعين تحت تأثير سياسي ذلك أنه أبو الخلافة العباسية وعليهم أن يصورونه تصويراً بطولياً وأن يظهروه ليس بمظهر العالم والحَبر فحسب إنما بمظهر القائد العسكري الذي أسهم في ميادين القتال، فإنه أسهم في حملة فتح مصر سنة ١٨ هجرية، أو ٢١ هجرية وفي الحملة في شمال أفريقيا سنة ٢٧ هجرية والحملة ضد جرجان وطبرستان وفتحهما سنة ٣٠ هجرية وأنه اشترك سنة ٤٩ هجرية في حملة تحت أمرة وقيادة يزيد بن معاوية الذي كان آنذاك شاباً يافعاً ضد القسطنطينية، واشترك في معركة الجمل سنة ٣٦ هجرية وفي معركة صفين سنة ٣٧ هجرية وفي معركة النهروان، وكان قائد أحد ألوية الإمام علي في صفّين. فضلاً عن مواقفه الإستشارية والتفاوضية في تلك الأحداث.

وفي رأي المستشرقين أن علماء الرجال دأبوا على تقديم ابن عباس بهيأة المستشار الذي ليس بالإمكان تجأهل مشوراته ونصائحه زمن كل من الخليفتين عمر وعثمان إذ كانا يستثمران أرشاداته ونصائحه السياسية والعلمية. كذلك فإن أولئك العلماء قد صوروه بأنه المستشار الناصح والداعم الأساس للإمام علي علماً - كما يرون - أن الإمام لم يوله اهتماماً كبيراً.

ويرى بعض المستشرقين أن دوره السياسي هذا مبالغ فيه، وواقع الحال - بالنسبة إليهم - أنه لم يدخل فعلياً المعترك السياسي إلا عندما تسنّم الإمام علي الخلافة، وأنه قد أدى دوراً في هذا الميدان لثلاث، أو أربع سنوات لا أكثر.

٥ - ويلاحظ المستشرقون أن ابن عباس على الرغم من مؤهلاته

التي أطنب في ذكرها مؤلفو التراجم والرجال إلا أن الخلفاء الراشدين لم يعهدوا إليه بأية مهمة إدارية. وأن الخليفة عثمان قد ولاّه إمامة الحج إلى مكة في تلك السنة التي حوصر فيها الخليفة من قبل ثوار الأمصار، وعند عودته وجد الإمام خليفة. وبعد أن تفرغ من حربه في الجمل، فقد ولاّه الإمام ولاية البصرة سنة ٣٦ هجرية.

٦ - ويقف المستشرقون على العلاقة بين ابن عباس والخليفة الإمام علي فيرون أنها سرعان ما تدهورت بصورةٍ مفاجئة. مما أدى به إلى الانسحاب إلى مكة والتخلي عن ولايته في البصرة. وعند انسحابه من البصرة لم يعد الإمام علي مرتبطاً به ومعترفاً بأنه ممثله في البصرة. ووقفوا على السنة التي ظهر فيها هذا التدهور في العلاقات، أو الجفوة بينهما - التي أطلق عليها البعض منهم الردة defection، أو الارتداد - وتراوحت الاختلافات بين سنة 38هـ، أو 39هـ، أو 40هـ. ويميل كل من بروكلمان وجولد تسيهر وفاجيلري أنها وقعت سنة 38هـ، اعتماداً على التحركات السياسية التي أداها ابن عباس في هذه السنة واعتماداً على اختفاء تحركاته ونشاطاته في السنوات اللاحقة.

ويناقش هؤلاء العوامل التي دعت إلى هذه الجفوة والارتداد فيتفقون على أنها ترجع إلى إدانة الإمام علي لابن عباس لسوء تصرفه وللفساد الإداري أيام ولايته على البصرة. مع أن بعضهم لا يحسب لهذا العامل حساباً كبيراً ويستنتج بوجود أسباب أخرى منها :-

أ - إن ابن عباس وقف ضد اجراءات الحرب ضد الخوارج في النهروان وما تعرض له هؤلاء من مذبحة، فإنه - اعتماداً على عدد من الرواة - أعلن عن معارضته لحرب النهروان.

ب - إن ابن عباس أبدى موقفه من أن خلافة الإمام بعد التحكيم في صفين لم تعد شرعية، أي أن هناك خلافاً سياسياً.

جـ - ولم يتغافل هؤلاء عن إجراء ابن عباس بحمل أموال بيت المال من البصرة وارتداده عن الخليفة.

٧ - وإن هذه الأعمال من جانب ابن عباس تعدّ اتجاهاً دنيوياً ولكنها لم تعمل على التقليل من مكانته الاجتماعية وإن هناك احتمالية شرعيتها نسبياً.

٨ - أما عن نشاطاته بعد مقتل (استشهاد) الإمام علي فهي غامضة تماماً، وإن الإمام الحسن قد أولى إليه مسؤولية قيادة جنده. ولكن ابن عباس كان يسعى بالخفاء إلى بناء وتأسيس علاقات ودّية وطيبة مع معاوية.

ويطرح فاجيلري سؤالاً هو هل كان لابن عباس دور في أقناع الإمام الحسن في مبادرة الصلح، أو الهدنة مع معاوية؟ ويجيب أن معاوية قد دفع لابن عباس مكافأة نقدية عن الدور الذي أداه في الوصول إلى الصلح، كما أن معاوية أعترف بمشروعية استلابه أموال بيت المال على أساس أنها جزء من حصته في بيت المال.

ومع ذلك فإن هؤلاء يرون أن هذه المكائد machinations التي قام بها ابن عباس قد بدت بالنسبة إلى بعض الرواة والمؤرخين لا تتفق ولا تتوافق مع مكانته المرموقة. لذلك عمل هؤلاء الرواة على تزويرها وتضعيفها فنقلوا المسؤولية إلى أخيه، عبيد الله، وهي عملية تزوير وتحريف للرواية التاريخية ترجع مسؤوليتها إلى الإعلام العباسي.

ظل ابن عباس باستمرار يرتاد البلاط الأموي في دمشق، وظل يقطن الحجاز. وقد علّل بعض المستشرقين زياراته المتكررة إلى البلاط الأموي على أنها سعياً وراء مصالحه المادية.

٩ - وعلينا أن لا نغفل الإشارة إلى الموقف المتطرف ضد ابن عباس، ذلك الذي تبناه المستشرق الإيطالي كيتاني والمستشرق لامانس وشبرنجر. فقد اتهموه بالكذب والوضع في الحديث الشريف وكذلك الوضع في رواية المغازي بما يتلاءم مع إظهار دور العباس ودوره في أحداث عصر الرسالة والعصر الراشدي. وإنه كأبي هريرة كان كثير الرواية، حتى بلغت الآلاف في الوقت الذي لم يؤهله عمره إلى مثل هذا العمل العلمي الضخم، فإنه عند وفاة الرسول لم يتجاوز عمره الأربع عشرة سنة. وإن ابن عباس قد نقل كثيراً من الإسرائيليات من النصوص التوراتية.

١٠ - ويرى المستشرقون أن المصادر والمعلومات عن ابن عباس كثيرة جداً ولكنها معلومات مكررة لا جديد فيها وبالأخص تلك التي تتعلق بنشاطاته العلمية.

١١ - والمستشرقون الدانمركيون مثل نيبرج، وبدرسن، وبيترسن، قد درسوا بعناية العلاقة بين الإمام علي ومعاوية، كما درسوا الرواية التاريخية الكوفية الأصلية عند مؤرخي السيرة والمغازي، كابن إسحاق والواقدي وابن سعد والبلاذري. ويرون أن العباسيين قد لعبوا دوراً فاعلاً في تزييف وتحريف المرويات. وذلك بصنع رواية خاصة بهم وهي رواية المعتزلة ورواية أرثوذكسية (السنيّة) بهدف تفخيم وتضخيم دور ابن عباس. وبحسب رأي بيترسن فإن العباسيين في عهد المنصور - بشكلٍ خاص - كان

عليهم أن يحجموا دور الإعلام الشيعي، وذلك باستخدام واصطناع رواية مخالفة. لذلك نجد أن الرواية السنيّة - بحسب رأيه - قد دافعت بشدة عن فضائل ابن عباس الدينية وعن دور العباسيين في قتال الأمويين تحت شعار ديني. وقد وضعت الرواية السنيّة الثورة ضد الأمويين على أنها أولاً وآخراً من تدبير العائلة العباسية سنة ١٠٠ هجرية.

ولم يكتفِ الإعلام العباسي في إخراج هذه الروايات المؤيدة لهم إنما رحّبوا برواة الرواية الكوفية في البلاط العباسي ولكن بصياغة جديدة مضادة للرواية الشيعية وللتشيع وهذا واضح - كما يرون - برواية محمد بن السائب الكلبي وإبنه هشام و، حتى رواية أبي مخنف. والمستشرق بيترسن يقدم أدلة كثيرة على أن العباسيين هم الذين توجهوا إلى إعطاء رواية ابن عباس ودوره في التاريخ الدور الرئيس، وذلك لشرعية خلافتهم التي استلبوها من أصحابها الأصليين أنصار شعار (آل البيت).

المصـــــادر

1 - Caetani , L.: Annali dell Islam (Milano 1905 - 26) Vol. I pp. 517 - 518 , II pp. 120 - 21.

2 - Caetani , L. Chronographic Islaimica.

3 - Friedlander , l."Abdallah ibn Saba und seine judiche Ursprung"in ZA (XXIII/XXIV)

4 - goldziher , l.: Muhammedanische Studien Vol. II pp. 108 - 9. وقد تُرجم إلى اللغة الإنكليزية

5 - goldziher , l.: Richtunger der Islamischen Koranuslegung (Leiden 1920) pp. 65 - 81.

6 - Hodgson , M.C.S."How did the early Shia become sectarian" in JAOS (IXXX/1955).

7 - Lammens , H. , Etudes sur le regne du calif Omayade Moawia Ier (Beyrouth 1908).

8 - Madelung , W."The Hashimiyat of al - Kumayt and Hashimi Shi,ism"in SI (IXX/1980).

9 - Madelung , W. (Shi,a) in EI.

10 - Montgomery Watt , W: (al - Abbas ibn Abd al - Mutaleb) In E.I. (2) vol. I pp 8 - 9.

11 - Noldeke , th."Zur tendentosen gestaltung der Urgeschichte Islam"in ZDMG (1898) pp. 16 - 33.

12 - Petersen , E.L. Ali and Mu,awiyain early Arabic Tradition (Copenhagen 1964). 13 - Sharon , M. Black banners from the

East (1982). القدس.

14 - Sprenger , A. Das leben und lehre des Mohammed (Berlin 1860) vol. I p. 27 , III p. 50.

15 - Vaglieri , L. Veccia: ºIL conflitto Ali - Mu, awiya e La Secessions Kharigita riesaminali alla luce eli fonte ibadite "in AIQUN (1952).

16 - Vaglievi , L. Veccia: (Abd allah b. Abbas) in E.I. (2). Vol I pp. 40 - 41.

17 - Wellhausen , J: Die religios - politischen oppostionsparteien In alten Islam (Berlin 1901). وقد تُرجم إلى العربية.

18 - Wellhausen , J. Das arabische Reich (Berlin 1902) p. 69 - 70 وقد تُرجم إلى الإنجليزية والعربية.

الفصل الثالث

الرواية الزبيرية أنموذجاً

المبحث الأول:

دور مدرسة المدينة في التدوين التاريخي
ـــ الرواية الزبيرية ـــ

من نافلة القول إن هناك القليل، أو الكثير من المواضيع والميادين في حقبة عصر الرسالة الشريفة قد أضحت في حكم الموضوعات الثابتة والمقبولة بل الراسخة في أذهاننا وفي كتاباتنا ومناهج طلبتنا وبحوثنا سواء كان ذلك في محتواها أم فحواها وأزمنة أحداثها. يخيل ان ثبوت هذه وثباتها واستقرارها موازنة بميادين أخرى قد خضت للنقد والتدقيق والتوثيق يرجع إلى تكرار منوالها وتدوينها المنسجم عموماً وبنيتها منذ عقود ولعله منذ قرون، حتى صار من الصعب بل من المستحيل إعادة التدقيق، حتى في بنائها اللغوي الداخلي والمعرفي ناهيك عن استحالة تعديلها، أو تصحيحها، أو إعادة تشكيلها، أو إعادة قراءتها.

وأسباب هذا القصور، أو العجز والاستحالة يعود بشكل أساس إلى أنها تتعلق بالموروث الفكري والثقافي المقدس المتلقي الذي امتزج واتحد هو الأخر بالموروث السياسي المقدس، وبالرواية التي أورثت قداسة عنصر، أو عناصر في صياغة تلك الميادين إذ إنها إما تتعلق بالبعثة النبوية الشريفة، أو بالدعوة الإسلامية في مكة

والمدينة، أو بهذا الصحأبي الجليل، أو ذاك من صحابة رسول الله ﷺ المؤمنين الذين كرسوا حياتهم وضحوا بكل ما يملكون من مال وضياع ومتاع خدمة للعقيدة وتآزراً وتعاوناً مع رسول الأمة.

فالصحابة هم وليس غيرهم ممن رافق الرسول الكريم بعد مبعثه الشريف مروراً بسنوات المحن والمشاق والمعاناة في حقبة النضال السري وبعد ذلك في أثناء الدعوة العلنية ثم الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة، كذلك عندما توسعت قاعدة الصحابة لتضم بين كنفها ما أطلق عليهم الرسول بالأنصار لنصرتهم ومؤازرتهم ووقوفهم إلى جانبه، في الشدائد والانتصارات وهم الذين تعهدوا بالغالي والنفيس من أجل ذلك. فجميع هؤلاء من المهاجرين والأنصار كانوا صحابته، وأسهموا، جميعهم، أو بعضهم، أو نفر منهم، في نشاطات الرسول الكريم وإعماله وانجازاته الدينية والاجتماعية والعمرانية في المدينة منذ بدايات تكوين مجتمع الأمة والدولة إلى حين رسوخ دعائم الدولة الإسلامية وتوسعها عبر فتح مكة والمناطق المحيطة وعبر وفود القبائل من شتى أطراف الجزيرة العربية. فضلاً عن ان الصحابة ضموا من أدعى دوراً، أو نال شرف المشاركة في جميع غزوات الرسول وسراياه، أو في جزء منها، أو في واحدة فقط من فعالياته، وضم أيضاً من أسهم في فتح مكة، أو حتى من اسلم بعد فتح مكة.

جميع ذلك وغيره كثير، كان يمثل عصر الرسالة والسيرة النبوية المطهرة، آخذين بنظر الاعتبار أن هناك درجات ومراتب ومنازل بينهم، قد انسحبت وربما ألقت بضلالها ومؤثرها، حتى على الشأن المادي في توزيع الأرزاق والعطاء والغنائم. فعندما نصل إلى فتح

مكة نفكر قطعاً بان هناك خطا فأصلاً بين المسلمين والمؤمنين القدامى الحقيقيين الذين ناضلوا وبين الجدد بعد الفتح ممن ثابر وكابر واستمر على معاداة الإسلام ومقاتلة الرسول، فيكون هذا الخط الفأصل على الوفق الآتي :-

ما كان قبل فتح مكة فهو الهجرة حقا له مزاياه وامتيازاته وما كان بعد الفتح فهو جهاد ونية امتثالاً بالحديث الشريف (لا هجرة بعد الفتح).

فالعناصر الإيمانية السابقة المتعلقة ببعثة الرسول ودعوته وكذلك معاناته التي جسدها ومارسها عليه القرشيون سادة ووجهاء وشعراء وأفراد عاديين أدت إلى هجرته واضطرّاره إلى الدفاع عن الإسلام ودولة المدينة الجديدة سواء من إليهود والمنافقين في المدينة أم من الأعراب أولئك الذين كانوا متآلفين ومتعاونين في هدفهم الأساسي في ضرب الإسلام وقتال الرسول من جانب بينما كانوا في الواقع متنافرين ومتباغضين في سرائرهم وفيما بينهم من الجانب الأخر يعد أساساً في استحداث معيار مهم إلا وهو السابقة، أو الأسبقية، أو الأفضلية ورفعه إلى مستوى سام في الحجاج والمجادلة بين المسلمين القدامى والجدد. وبعد ذلك الوقت فان هذا المعيار قد اتخذ طريقة في التدوين التاريخي والحديثي والفقهي وفي تسجيل وكتابة تاريخ السيرة النبوية. وسعى السياسيون منهم ممن تولى الحكم وأمر الأمة بعد وفاة الرسول في التشديد على فاعلية هذا المعيار وأعمامه وهو أمر في غاية الأهمية من جانب وفي غاية الخطورة من الجانب الأخر لاسيما وانه صار وسيلة في تشجيع المدلسين والكذأبين والمزورين على ألتدخل في إدخال، أو زج من

يريدونه ان يكون في هذه السابقة والأفضلية، أو ضداً في إبعاد وإقصاء من لا يريدونه ان يكون في لائحة الأسبقية. والسابقة هي سابقة إلى كل شيء إلى اعتناق الإسلام وإلى الجهاد في سبيل الله وإلى حمل الرايات وإلى الشجاعة والإقدام في المبارزات الفردية وإلى حفظ القرآن الكريم وإلى التبحر في الفتيا والفقه والقضاء وغير ذلك من المراتب والدرجات الأولوية الدينية والعلمية. فهل هناك من دليل يؤيد هذه الاستنتاجات؟

أقول إن هذه الأسبقية هي التي جعلت شيخا عالماً بمغازي رسول الله اعتماداً على رواية سفيان بن عيينة يقدم على عملية الدس والتخريب، انه شرحبيل بن سعد. فقد أقدم هذا الشيخ على التزوير في هذا الباب فجعل من لا سابقة له في أحداث السيرة النبوية له هذه السابقة سواء كان ذلك في إدخال أسماء ممن لم يشهدوا فعلاً معركة بدر، أو أُحد، أو الهجرة إلى ارض الحبشة، أو إلى المدينة مقابل منفعة مادية شخصية.

وخطورة هذا التزوير وغيره من أعمال الدس والتشويه الكثيرة في الربع الأول من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد لا تندرج فقط تحت باب المنفعة المادية فحسب بمعنى أننا إذا ما سحبنا هذه العملية إلى الأيام التي كان يوزع فيها العطاء على وفق هذه السابقة والأفضلية بين العوائل والعشائر القريشية ذكوراً واناثاً انما الخطورة الأشد اثراً تلك التي ربما أفضت إلى استحداث أحداث ومناسبات ووقائع دخلت التدوين التاريخي في كتابة السيرة النبوية ومن ثم ترسخت وتثبتت وخطورتها الأخرى الأكثر وقعاً هي إدخال مرويات لعلها تعكر من سمو الصفوة المؤمنة لمجتمع الصحابة رضوان الله

عليهم أولئك الذين قدّموا أرواحهم على الأكف بدافع صيانة العقيدة الإسلامية الحقة والدفاع عنها وفي بناء مجتمع امة مجاهدة وعاملة في الميادين كافة. وخطورتها الثالثة، أو الرابعة المهمة الأخرى هي ما تضفي على زعامات الأسر والدولة، التي توارثت الحكم خلال العهدين الأموي والعباسي. فالمعروف ان الأمويين والعباسيين قد استولوا على الخلافة عن طريق الاستحواذ والمراوغة والترهيب والترغيب بهدف استعادة أمجاد الماضي كالذي استخدمه معاوية في إثارة المتاعب والمشاكل على الخليفة الإمام الحسن مستغلاً البعض ممن كانت له مكانة عند الإمام مثل عبد الله بن عباس، حبر الأمة، للوصول إلى هدفه مقابل منافع مادية أسرعت إلى إتمام صفقة الصلح وهذه أدت بالفعل إلى تشويه تلك الهالة العلمية والفقهية لان معاوية سرعان ما عمل على حرق الصلح والاستئثار بالحكم لعائلته وعشيرته.

كذلك الحال بالنسبة إلى العباسيين الذين سعوا إلى تزييف شعارهم السياسي الأساس مستثمرين شعار الثأر لآل البيت وأتباع كتاب الله وسنة الرسول في اللعب على هذا الشعار لمصلحة آل البيت العباسي ثم استئثارهم بالسلطة والحكم. وبعد ان توطد نفوذ كل من الأسرتين في الحكم اعتماداً على هذه الأساليب غير الشرعية انقلبوا على أولئك الذين فتحوا لهم باب المسالمة والصلح والعمل المشترك واخذوا يسومون آل البيت (بيت الإمام علي) صنوفاً من التعنت والأذى والقتل والحرمان، والاهم من تلك الأساليب التعسفية انهم راحوا يزيفون الكتابة التاريخية وصناعة رواية أموية وعباسية ترفع من مكانة أجدادهم وتطمس من دور ومكانة الذين

يبغضونهم بغضاً وحقداً وحسداً. وبذلوا جهوداً كبيرة في تقريب واحتضان الرواة والمؤرخين والعلماء في الرواية والأخبار مشجعين إياهم في هذه العملية التي شوهت من تاريخ السيرة النبوية الشريفة.

مدرسة المدينة في التدوين التاريخي

لعل من الصواب القول أن هناك خطوطا مميزة في اتجاهات الكتابة التاريخية بشأن عصر الرسالة منها :-

١ - أدت المدينة المنورة دوراً رائداً بأهإليها الأنصار ومواقفهم وإخلاصهم الحقيقي للإسلام منذ بيعتا العقبة الأولى والثانية، وإلى حين وفاة رسول الأمة واستمروا على ذلك، حتى سنة ٣٦هـ/ ٦٥٥م، وظلت المدينة تتمتع بكونها مدينة رسول الله والحاضنة الأساس والكبيرة لسنة الرسول المعظمة ونزول القرآن الكريم بآياته المدنية ذات الخصائص والتوجيهات المتميزة عن الآيات المكية وبأنها مدرسة حفظت أقوال الرسول، وأعماله وأفعاله وعلاقاته مع المجتمع المدني وعلمه وفقهه وفتاواه وقيمه وعاداته وتصرفاته وخطبه وأحاديثه مع المسلمين والمؤمنين وإليهود والمنافقين والكفار. وكانت المدرسة التي هيأت حلوله، للمسائل الشخصية والعائلية. وبإيجاز فان المدينة هي الإرث الحضاري الفقهي للإسلام يقف على رأسه رسول الله والصحابة من الأنصار والمهاجرين القاعدة الواسعة والفاعلة لهذا المجتمع الذي أنتج من بين صفوفه مدارس لنقل الرواية لجميع التطورات المذكورة آنفاً، بغية نقلها إلى كل من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين والرواد من رواة الحديث الشريف ورواة السنة النبوية ورواة السيرة المطهرة ورواة المغازي ورواة علوم المدينة من فقه وحديث وتفسير إلى غيرذلك من علوم.

٢ - الذي تقدم في الفقرة السابقة يؤدي إلى القول بأنه من اليسير الاستنتاج بان الكتابة التاريخية عن عصر الرسالة وعن السيرة النبوية إن هي إلا مدنية في أصلها وفي شحتمها وسداها سواء كان ذلك ما يتعلق بسوارد ومصادر ومنابع معلوماتها أم في أدوات نقلها. وبمجرد نظرة إلى اللامعين من أسماء العلماء الذين شهروا في كتابة السيرة والمغازي، تدل على ان هؤلاء هم مدنيون أمثال عروة بن الزبير وإفراد عائلته من أبنائه وأقاربه ومواليه وإبّان بن عثمان بن عفان وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وابن شهاب الزهري وصالح بن كيسان وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وعاصم بن عمر بن قتادة والأئمة الأطهار علي بن الحسين والباقر والصادق. إن هؤلاء الأئمة كانوا معنيين برواية أحاديث النبي، عن طريق حلقة الإمام علي عن النبي.

وعلى الرغم من هذا فانه بينما كانت المدينة هي الحاضنة الأساس للتدوين التاريخي لعصر الرسالة، فضلاً عن دورها أيضاً في تدوين أخبار ومروريات السيرة النبوية، والمغازي، فان ابرز هؤلاء العلماء مثل: - محمد بن إسحق، وأبو معشر، ومحمد بن عمر الواقدي، واحمد بن يحيى البلاذري، قد وضعوا بل وظفوا مادتهم ومروياتهم وقراطيسهم (على حد قول ابن إسحق) عن السيرة في تأليف مصنفاتهم المهمة، والضخمة في العراق، في الحيرة، أو الكوفة، أو في بغداد، أو في سامراء. وواقع الحال ليس هناك من تفسير مؤكد لهذا الاتجاه في التدوين التاريخي انه ربما يتعلق بأسباب مادية كما هو الحال بالنسبة إلى الواقدي والبلاذري، أو أأنه يرجع إلى أسباب علمية مثلما هو الحال في موقف بعض علماء وفقهاء المدينة وبخاصة علماء السيرة منهم أمثال مالك بن انس وهشام بن

عروة بن الزبير من محمد بن اسحق. فكان مالك مثلاً يبغض ابن إسحاق ويقول: «لا تأخذوا بسيرة ابن إسحاق انه دجال من الدجاجلة»، وبالضد من هذا الموقف كان محمد بن إسحاق بدوره يشكك في فقه مالك وعلميته فيقول: «أنا بيطار علم مالك»[1].

وهكذا بإمكاننا القول ان التدوين التاريخي للسيرة النبوية والمغازي كان مديني الأصل في المادة والجمع والمرويات وعباسي، أو عراقي في الإنتاج والتأليف والنشر بحسب الرواة الذين كان مسموح لهم بنشر كتاب السيرة الرائد السيرة النبوية لابن إسحاق عن طريق رواته الثلاث. زياد بن عبد الله البكائي وهي الرواية التي أخرجت لنا السيرة النبوية بهذا الإخراج الذي نتداوله ونعتمده ورواية محمد بن حميد الرازي عن سلمه بن الفضل الابرش التي لم يرشحها بل لم يعتمدها ابن هشام. وانه قد أهمل اعتمادها بناءً على نصيحة البكائي لكنها رواية قد اعتمدها الطبري في تاريخه في مواطن كثيرة من السيرة وهي رواية تلقي ضوءاً على تباينات واختلافات كثيرة وواضحة. ورواية يونس بن بكير التي هي الأخرى قد أهملها ابن هشام في الوقت الذي اعتمدها ابن الأثير والبيهقي.

ومما هو جدير بالذكر ان اثنين من هؤلاء الرواة الثلاثة من الكوفة[2].

---

(١) الذهبي تذكرة الحفاظ (تحقيق زكريا عميران/ بيروت ١٩٩٨) جا ص١٧٣.

(٢) يونس بن بكير مولى بني شيبان وهو صاحب محمد بن اسحق، توفي بالكوفة سنة ١٩٩هـ، ٨١٤ زمن المأمون ضعّفه ابن سعد: طبقات ابن سعد جـ ٦ ص ٣٩٩ وسلمة الابرش بن الفضل ثقة صدوق صاحب محمد بن إسحق روى عنه المغازي والمبتدأ توفي في الري وكان من اخشع الناس في صلاته يقول=

٣ - والراجح ان جمعاً من المهاجرين القريشيين ممن قد استوطنوا المدينة بعد وفاة رسول الأمة باعتبارها مدينة القرار المركزي السياسي عندما اقتطفت قريش ثانية أي بعد ان كانت مكة الوثنية صاحبة القرار قبل الإسلام ثمار العقيدة الجديدة التي اختار الله تعالى محمد بن عبد الله، نبياً لنشرها بين العرب كافة، وانه على اثر خذلان قريش عشيرته له ومعارضة الإسلام معارضة شرسة وعاتية، توجهت - قريش - بذكاء ودهاء إلى أن تتحول إلى دور صاحبة القرار الفكري والثقافي فضلاً عن تفردها وتنفذها في الشأن السياسي وفي أهم القضايا المركزية والحيوية ألا وهي خلافة الأمة الإسلامية. وتنفيذاً لهذا الدور فقد أقصت قريش بالدهاء والترهيب والقوة الحاضنين الفعليين للإسلام ولنبي الأمة، الأنصار اقصاءً ملحوظاً من السياسة والإدارة - وربما أيضاً كالأحوال التي وقف منها الخلفاء الأول من عملية تدوين رواية السيرة النبوية - وكذلك فكرياً وثقافياً.

فاعتماداً على رواية أوردها ابن أبي شيبة في كتابه (المصنف) كان مروان بن الحكم الأموي مرة في خلافته وهو في بلاطه ومعه عدد من الصحابة وهم زيد بن ثابت ورافع بن خديج والأنصاري أبو سعيد الخدري. والرواية تعكس ان مرواناً أراد الانتفاع من وجود

= اسعد ليس به بأس. ينظر ابن سعد الطبقات ج ٧ ص ٣٨١، ويقول انه كان يتشيع ابن سعد العقيلي، ضعفاء العقيلي، تحقيق د. عبد المعطي امين طبعة ثانية ١٤١٨هـ بيروت ج ٢ ص ١٥٠، ابا حاتم الرازي الجرح والتعديل ج ٤ ص ١٦٩ ويقول أبو حاتم ان مغازيه تعّد من أتم المغازي، وليس في الكتب أتم من كتابه.

هذه النخبة وبالأخص زيد ورافع فأثار مسألة شمول بني أمية بعد إسلام أبي سفيان المتأخر جداً بقائمة السابقة للهجرة وبذلك يكونوا عندئذ قد أحرزوا ونالوا الحسنتين الخلافة سياسياً والهجرة دينياً وعقدياً ومادياً. غير ان أبا سعيد الخدري اعترض على ذلك مشيراً إلى ان رسول الله قد قال على اثر نزول سورة الفتح: - بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾(١). بأنه لا هجرة بعد نزول الفتح ولكنه جهاد ونّية، ويعُّد هذا موقفاً متحدياً قد وجه ضربة قوية لمروان لأنه يعني استثناء أبي سفيان من سابقة الهجرة فما كان من مروان إلا استخدام وسيلة الترهيب والعنف وهي الأسس التي بنى عليها الأمويين سطوتهم وسلطتهم بتكذيبه هذا الصحأبي فقال: «كذبت». والمهم ان أيا من الصحأبيين الاثنين زيد وخديج إذ كانا من المتنعمين بنعيم ورضى الدنيا برضى مروان في الجاه والمال لم يردا على موقف هذا العاتي وهو يكذب أحد صحابة الرسول، انما سكتا. وكأنهما كانا يؤيدان مروان وموقفه أما خوفاً والأصح طمعاً لكن ألخدري تحداهما قائلاً ان هذين يستطيعان ان يحدثاه بالحديث الشريف لكنهما سكتا عندئذ تمادى مروان في عنفه فرفع درته يريد ضرب الصحابي هنا وفي هذا الوقت، اضطرّ الاثنان إلى الإفصاح والإجابة بصحة ما أورده الخدري، وانه كان صادقاً في حديثه(٢).

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ١، ٢.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف جـ ٧ ص ٤٠٧ ثم د. رسول جعفر يان، سيرة الأنام ص١١٦.

وهناك مرويات تبين بجلاء عداء الأمويين وربما الكثير من القريشيين للأنصار منذ أيام سقيفة بني ساعدة واتضح أكثر من ذلك زمن الأمويين وهم على سدة الحكم، في الوقت الذي أدى فيه عدد من الأنصار دوراً مهماً في رواية السيرة أمثال: - سعيد بن سعد بن عبادة وعاصم بن عمر بن قتادة وسهل بن أبي حثمة وعبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري. وعند الموازنة بين هؤلاء الرواة الأنصار ممن نالوا شرف الصحبة وبين رواة وكتاب السيرة من القريشيين الذين تبنوا ان أبان بن عثمان بن عفان المتوفى سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م هو رائد الكتابة عن سيرة المصطفى وان عروة بن الزبير (المتوفى سنة ٩٤هـ هو كذلك من روّاد المغازي والسيرة النبوية. والواقع ان عروة قد أدى دوراً لا يضاهيه أي دور لأحد غيره في تدوين رواية السيرة النبوية نقلاً عن خالته أم المؤمنين السيدة عائشة ومباشرة عن الرسول الكريم. وقد لا نغالي القول ان رواية مبعث الرسول ورواية الوحي والدعوة السرية والعلنية في مكة جاءت بالدرجة الأولى عن طريق رواية عروة كما يوضحه الجرد الذي سنذكره لاحقاً معتمداُ كتب الصحاح والسيرة والمساند والتاريخ. ولهذا السبب أيضاً فان رائد التدوين عن المغازي وهو موسى بن عقبة (المتوفى ١٤١هـ) نراه يهتم برواية عروة في تدوينه قوائم من له السابقة في مغازي رسول الله ومن رفع الرايات ومن استشهد في معركة أحد وغير ذلك من المفاخر التي سجلت لصالح انتصار الإسلام.

عوامل انتشار الرواية القريشية

والراجح إن العامل الحاسم الذي عمل على ذيوع وانتشار رواية قريش في المدينة يرجع إلى التأثير الواسع لمحمد بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي (المتوفّى ١٢٤هـ) فقد وصف بأنه رائد التدوين التاريخي لمدرسة السيرة والمغازي المدينية الذي اعتمده عمر بن عبد العزيز ووالده كأداة أساس في رصد وجمع الأحاديث الشريفة. وابن شهاب الزهري هو الذي اعتمده البلاط الأموي والولاة الأمويين الطغاة أمثال خالد بن عبد الله القسري في كتابة السيرة والأنساب والمغازي. وكان للزهري صلات وعلاقات مع عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد وهشام بن عبد الملك. ونال ابن شهاب على حظوة وحفاوة علميتين عند عمر بن عبد العزيز إلى درجة ان هذا الخليفة قد كتب كتاباً إلى عماله في الأفاق نصه :-

«عليكم بابن شهاب هذا، فإنكم والله لا تلقون أحدا اعلم بسنة ماضية منه»[(١)] . ولإبراز مدى الصدقية التي نالها وتمتع بها ابن شهاب في هذا الميدان عند الأمويين يذكر ان خالدا القسري عامل

---

(١) ابن أبي حاتم الرازي ٣٢٧هـ الجرح والتعديل، بيروت ١٩٥٢، جـ٨ ص ٧٢، وينظر ص٤، ابن خلكان: وفيات الاعيان جـ ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩، الذهبي: سيرة أعلام النبلاء جـ ٥ ص ٣٢٦ - ٣٥٠.

العراق عام ١٢٦هـ طلب منه ان يكتب مروياته عن السيرة النبوية، فسأل الزهري خالداً قائلاً: «أأكتب، أو أقول رواية علي بن أبي طالب؟ فأجابه خالد» كلا إلا ان تراه في قعر الجحيم». وتنقطع سلسلة رواية هذا الخبر فلا نعرف فيما إذا نفذ الزهري رغبة وطلب خالد القسري أم لا؟ كذلك لا تتوفر لنا معلومات عما إذا كان الزهري قد زور، أو زيف، أو تلاعب بالصيغة التي وصفها خالد القسري التي لا تختلف كثيراً عن رغبة معاوية بن أبي سفيان قبله.

٤ - من هذا كله يبدو ان المهاجرين، أو لنقل قريش تحديداً عملت على تسيير الرواية التاريخية لعصر الرسالة وعصر الخلافة الراشدة على وفق سياستها الإعلامية والإعلانية، بمعنى تفخيم وتضخيم أداء المهاجرين في المدينة وأداء القريشيين بخاصة ليكون لها، أو لأعضائها البارزين، أو لوجهائها الأولوية في أحداث السيرة، أو الأحداث الإسلامية الكبرى السياسية منها، أو الاجتماعية، أو الفكرية على حساب العناصر المهمة والأساس في نجاح الدولة الإسلامية من أهالي المدينة، الأنصار، ومن الذين كان الرسول، دائماً يرشحهم، أو يختارهم للمهمات الصعبة. ومع العلم بان هذه العوامل كانت ضاغطة وصعبة فان الأنصار لم ينأوا بأنفسهم جانباً من رواية المهاجرين من قريش إنما عمدوا على تطوير رواية خاصة بهم في كثير من المواقف والأحداث. وهو أمر يحثنا على المتابعة والبحث والتفتيش عن استشهادات ومعلومات تؤكد هذه المسالة، أو تنفيها. وهناك بالفعل روايات هنا وهناك تبرز هذه الاستقلالية في رواية الأنصار للسيرة النبوية عند عاصم بن عمر بن قتادة وقيس بن سعد بن عبادة.

الرواية الزبيرية

عنوان هذا الفصل قد يثير إشكاليات من بين أهمها انه ضرب من المبالغة في التوصيف، وفي كيفية عرض معلوماته. فليس هناك رواية بحسب الانتماءات العائلية والقبلية لاسيما وان الإسلام قد ألغى هذه المسميات والو لاءات، وان هناك صعوبة بل تعسفاً في توزيع المرويات المتعلقة بالسيرة النبوية وحقبة الخلفاء الراشدين مثل هذا التوزيع العائلي مثل الرواية الزبيرية، أو الرواية الأموية، أو الرواية العباسية، أو الرواية الشيعية وما إلى ذلك من محددات ضيقة ومحدودة. وعلى الرغم من وجأهلة هذه الإشكاليات غير إنها لا تعدم الرأي القائل إن هناك خصائص وسمات تساعد على توجيه منهج المتتبع إلى رصد المشترك من المرويات والأسانيد ثم موضعته في إطار هذه المفهومية ومن بين هذه المحددات المشتركة :-

١ - الكثرة العددية للأسماء الواردة ضمن سلاسل الاسناد التي ترجع انتماءاتها الاجتماعية والعائلية وولاءاتها إلى هذه العشيرة، أو تلك بضمنهم الموالي بمعنى مولى الزبير، أو مولى عروة بن الزبير وغير ذلك.

٢ - تردد أسماء هذه الأعلام، أو الشخصيات في سلاسل أسانيد ومرويات يجمعها بالفعل ميدان، أو موضوع واحد ومتشابه، أو مترابط في أحداثه.

٣ - والملاحظ وجود أسماء لرواة آخرين يعتقد لأول وهلة أنهم

بعيدون عن هذا التوصيف وعن هذه الأسرة، أو تلك، إلا انه وبعد دراسة تراجم هذه الإعلام يتكشف من خلالها إن لها علاقة وطيدة بهذه الأسرة، أو العائلة، أو العشيرة. كأن يكون هذا العلم، أو الراوي من الأقارب، أو كما مر ذكره من الموالي للأسانيد الأساس في الرواية. ولنكن أكثر مباشرة فالأكثرية العظمى مثلاً في سند رواية عروة بن الزبير من العائلة الزبيرية وتنتهي حلقتها الرئيسة بخالته أم المؤمنين السيدة عائشة. وكان عروة يطلق عليها تعبير (أمي)، وهي دلالة روحانية، أو لكونه أحد المؤمنين بالسيدة عائشة أمه، أو في أحيان يكون وهب بن كيسان حلقته الأساس وهو مولى آل الزبير يصل سنده إلى أم المؤمنين، أو ان يكون إسناده عن أفراد آل الزبير ثم عن أسماء بنت أبي بكر.

٤ - هناك اتفاق ان لم يكن إجماع لرواة أسانيد هذه المرويات في المنبع، أو المورد الأساسي بمعنى المصدر المباشر للحلقة الموصلة إلى حديث رسول الأمة، فضلاً عن إجماعها واتفاقها في الوقت نفسه على النسيج الداخلي والنواة المركزية لمتن الرواية، أولإحداث هذه الرواية، أوتلك.

٥ - ويفهم المتتبع في أكثر من مناسبة بان الرواية المتفق على إسنادها تميل، أو تناصر هذه العائلة إما بصيغة من صيغ الدعم، أو امتداح موقف، أو مواقف أدتها عناصر هذه الأسرة، أو القبيلة التي تنتمي إليها.

وبغية تطبيق وجهات النظر، أو الخصائص هذه على الرواية التي عّبرنا عنها في العنوان (الرواية الزبيرية) هناك الكثير من أسماء أعلام هذه العائلة التي يرجع نسبها إلى بني أسد، ويقف عروة بن الزبير بن

العوام بن خويلد بن أسد على رأس قائمتها . إذ أشارت مؤلفات الرجال، أو الطبقات إلى انه كان مشهوراً ومتميزاً في علم المغازي، ونشر له الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه (نشأة علم التاريخ) مقاطع من روايته عن مغازي رسول الله، كذلك فقد حققت هذه المقاطع ونشرت مع مقاطع أخرى عن المغازي صدر بعنوان مغازي عروة بن الزبير.

ويذكر إن إبنه هشام من تلامذة ابن شهاب الزهري هو الآخر قد تتلمذ على عروة بن الزبير في المغازي وكان الآخر مهتماً برواية السيرة النبوية بسنده الموصول مباشرة بأبيه عروة، وان ابن عروة الآخر عثمان كان أيضاً من رواة السيرة وله ابن ثالث هو عبد الله الذي يكنى به كان راوية لرواية السيرة عن أبيه وان محمداً هو أيضاً قد روى عن أبيه هذه الرواية. إما الحديث عن غير أبناء عروة فهناك محمد بن جعفر وهو ابن أخ عروة بن الزبير، وهناك جعفر بن الزبير اخو عروة، وعّباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ويحيى بن عباد بن حمزة كذلك علينا ان لا ننسى ذكر عبد الله بن الزبير ومصعب الزبيري عم الزبير بن بكار مؤلف الموفقيات الكتاب المعروف الذي تضمن أخباراً كثيرة عن السيرة. وهناك عمر بن عبد الله ابن أخ عروة، وعاصم بن المنذر بن الزبير وقد سمع عن عروة وروى عنه. وهناك المنذر بن عبيد الله بن المنذر بن الزبير الذي روى عن هشام بن عروة ومن موالي آل الزبير نذكر وهب بن كيسان المعروف بوهب القرشي المدني المعلم وقد روى عن أسماء بنت أبي بكر وروى أيضاً عن عروة وان هشاماً بن عروة قد روى عنه. وهناك يزيد بن رومان مولى عروة وروى عن عروة وعن عبد الله بن الزبير وروى عنه

هشام بن عروة. وليزيد اخ، هو عبد الله رومان كان يروي عن عروة وقد قدّم محمد بن سعد في الطبقات الكبرى وصفاً عاماً لنفر من موالي آل الزبير في عدة أخبار تتعلق بالسيرة النبوية(١).

هذه المعلومات الأولية عن الرواة الزبيريين الذين تولوا رواية أخبار السيرة والعصر الراشدي، لابد من إن تدفع المتتبع إلى إثارة تساؤل واستفهام، فهل بالإمكان القول إن عروة بن الزبير كان معنياً بإعداد، أو تأسيس ما يمكن مقاربته بمدرسة تضم أفراد عائلته، والمقربين، ومواليهم؟ اتسعت هذه المدرسة. فيما بعد لتشمل أفراد الأسرة؟ فالقائمة السابقة قائمة متكاملة وحسب ما سنتحدث عنه لاحقاً إن عروة كان يدعو أبناءه جميعاً للتعلم والتفقه، فهل تعد هذه القائمة آية واضحة للاهتمام المركزي، أو بالأحرى للتخصص في رواية السيرة وعصر الراشدين، وإلى نسبة ما زمن الأمويين؟ هل كان عروة يهدف من بين ما يهدف اليه أن يكون المرجع الأساسي والمهيمن على رواية السيرة وبذلك يكون حاضراً دوماً في إبداء المشورة والدليل لمن يطلبها من الخلفاء الأمويين؟

وحقيقة الأمر هناك مؤرخون قد أبانوا عن سعة الدائرة المعرفية لمدرسة الرواية الزبيرية ضمن نطاق أفراد العائلة ومواليهم فابن سعد يعدد أسماء الرواة الذين رووا عن عبد الله بن الزبير وهم: - عروة بن الزبير والمنذر بن الزبير، وخالد بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وجعفر بن الزبير، وعبيدة بن الزبير وعمر بن الزبير وحمزة بن الزبير(٢). ويذكر خليفة بن خياط في طبقاته أفراد بني أسد بن عبد

---

(١) ينظر الطبقات جزء ٣ ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) ينظر الطبقات جـ ٥ ص ١٧٥.

العزى ومنهم: - عروة بن الزبير وعبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب (ويتردد ذكره في الأسانيد) وهشام بن عروة وعبد الله بن عروة وعثمان بن عروة ومحمد بن عروة، ويحيى بن عروة، وعمر بن عبد الله بن عروة، وعبد الله بن عروة وصالح بن عبد الله بن عروة والحكم بن يحيى بن عروة، والمنذر بن عبد الله بن المنذر بن عروة[١]. ويذكر البخاري في تاريخه الكبير فعالية بعض آل عروة بن الزبير في الرواية ومنهم: - هشام بن عروة، أو المنذر بأنه سمع ابن عمرو وابن الزبير والزهري ووهب بن كيسان[٢]، ويشير إلى هشام بن حمزة بن عروة على انه روى الرواية عن هشام بن عروة[٣] ويقف محمد بن حبيب في المحبر على يحيى بن عروة على إن أمه بنت الحكم بن أبي العاص وان خاله هو مروان بن الحكم[٤] ويشير ابن حبيب في كتابه المنمق إلى عثمان بن عبد الله بن عروة بن الزبير[٥]. كذلك ذكر عمر بن عبد الله ابن أخي عروة ومحمد بن جعفر ابن أخي عروة أيضا، ويحيى بن عّباد بن عبد الله بن الزبير، وعّباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير[٦]، وعاصم بن المنذر بن الزبير الذي

---

(١) ينظر طبقات خليفة بن خياط (تحقيق د. سهيل زكار ص ٩٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٥، كذلك تاريخ خليفة بن خياط (تحقيق د. سهيل زكار بيروت ١٤١٤هـ) ص ٩٥، ١٠٣، ٢١٥.

(٢) ينظر التاريخ الكبير حـ ٨ ص١٩٣.

(٣) (جـ٨ ص١٩٣).

(٤) ينظر المحقق في اخبار قريش مجلد ١ ص١٨، كذلك ينظر المحبر لابن حبيب مجلد ١ ص ٢٦٢، ٤٤٨.

(٥) جـ ١ ص ١٨٠، ١٨٦.

(٦) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص٦٤، ٦٦.

يقول عنه البخاري انه سمع عروة وروى عنه هشام[1] ومنذر بن عبيد الله بن المنذر بن الزبير وقد روى عن هشام بن عروة وروى عنه قتيبة[2] وأبو لهيعة عبد الله بن عقبة أبو عبد الرحمن المصري[3].

ومن بين أفراد الأسرة الزبيرية الذين وردت أسماؤهم في الحديث عن رسول الله، حكيم بن حزام بن خويلد (ورد خطأ عند البعض خويلف) بن أسد بن عبد العزى الأسدي. كانت السيدة خديجة عمته، وكان من المعمرين عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وعدّ من سادات قريش وتجارها ووجوهها في الجاهلية. واسلم يوم الفتح. وقد وصف انه أحد علماء قريش في النسب توفي سنة ٥٤ هجرية، أو ٦٠ هجرية وله أبناء شهروا برواية السيرة أيضاً وهم هشام الذي روى عن أبيه عن الرسول، وكان من صحابة الرسول. وحزام بن حكيم وقد روى أيضاً عن أبيه. وعبد الله بن حكيم الذي شارك في معركة الجمل وكان حامل لواء طلحة والزبير. وإلى حكيم بن حزام (الأب) ترجع مرويات حول عمر السيدة خديجة وهل كانت أسنّ من الرسول أم العكس، ورواية عن وفاتها ودفنها من قبل الرسول، ولم تكن سنة الصلاة على الجنازة يقول حكيم فحرمت الصلاة على عمتي، وإليه ترجع رواية شراء حكيم زيد بن حارثة لعمته خديجة بأربعمائة درهم[4]، وقد اتسعت

---

(١) التاريخ الكبير جـ ٦ ص ٤٩٢.

(٢) م. ن. جـ٧ ص٢٥٨.

(٣) البستي مشاهير علماء الأمصار ص ٣١.

(٤) ينظر ابن سعد: طبقات جـ ٣ ص ٤٠، جـ ٤ ص١١ جـ٥ ص١٧ جـ ٨ ص١٨ طبقات خليفة بن خياط ص٤٤، تاريخ خليفة بن خياط ص١٣٨، ١٤٠ =

الدائرة هذه لتشمل عدد من النساء من أمثال فاطمة بنت قيس بن المطلب بن أسد بن عبد العزى التي روت عن النبي، حديث الاستحاضة وروى عنها عروة[(١)] وفاطمة بنت المنذر زوجة هشام بن عروة، وكان محمد بن إسحاق مؤلف السيرة قد أخذ عنها روايات[(٢)] فضلاً عن ذلك فقد انضم إلى هذه الدائرة النسبية في تدوين رواية السيرة النبوية بشكل خاص عدد من موالي آل الزبير كما ذكرنا آنفا أمثال زميل بن عباس مولى آل الزبير وأحد الموالي وكان يتيم عروة، ويزيد بن رومان مولى آل الزبير وهو من أهل المدينة روى عن عروة وأخيه عبد الله المتوفى سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م[(٣)]. وقد روى عبد الله عن عروة وروى عنه محمد بن إسحق[(٤)]. ويلاحظ ان يزيداً قد سمع عبد الله بن الزبير[(٥)] ويذكر الرازي انه كان مولى الزبير بن العوام[(٦)] ووصف بأنه كان من قراء أهل المدينة[(٧)]. وأشار ابن حجر العسقلاني إلى ان يزيد بن رومان قد أرسل في روايته عن أبي

= العجلي: معرفة الثقات جـ ١ ص ٣١٦، المزي: تهذيب الكمال جـ ٥ ص ٥٨٧، جـ ٧ ص١٧٢، ١٧٥.

(١) ابن عبد البر على هامش الإصابة لابن حجر العسقلاني جـ ٤ ص ٣٧١.

(٢) أحمد بن حنبل: العلل حـ ٢ ص٢٠.

(٣) البستي: الثقات (ط ١/ ١٣٩٣ جـ ٥ ص٥٤٥).

(٤) (م. ن. جـ٧ ص٤٤).

(٥) م. ن. جـ ٧ ص٦١٥، البخاري: التاريخ الكبير جـ ٨ ص٣٣١.

(٦) الجرح والتعديل ط/ ١، دار احياء التراث بيروت ١٣٧٣هـ، جـ ٩ ص٢٦.

(٧) البستي: مشاهير علماء الامصار واعلام فقهاء الأقطار (تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ط١ ١٤١١هـ) مجلد ١ ص٢١٦، الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب/ طبعة أولى ١٤١٣هـ مجلد ٢ ص٣٨٢).

هريرة[١] ومنهم أيضاً وهب بن كيسان مولى الزبير وهو أسدي حجازي، وذكره الرازي على انه مولى لعبد الله بن الزبير[٢]. ووصفه ألعجلي بأنه مدني تابعي ثقة[٣] وذكر انه كان من متقني أهل المدينة توفي سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م وقد روى عن جابر الأنصاري وعن أبي هريرة وعن الخدري وروى عنه عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومالك والوليد بن كثير. واخرج له البخاري مرويات عن المغازي والبيوع عن طريق هشام بن عروة[٤] ووصفه ابن حجر بالمعلم المكي وروى عن أسماء بنت أبي بكر وابن عجّاس وابن عمرو بن الزبير وجابر الأنصاري وانس بن مالك والخدري وعبيد الله بن عمير. وروى عنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر ومالك وآخرون[٥].

يعّد عروة بن الزبير، وإبنه هشام وإلى حد اقل إبنه الآخر عثمان، الحلقة الأساس في مروياته عن السيرة النبوية، وعصر الراشدين عن أم المؤمنين السيدة عائشة، وفي أحيان غير قليلة يدخل ابن شهاب الزهري في حلقة السند بدلاً من هشام وصولاً إلى أم المؤمنين، إذ كان ابن شهاب شيخ هشام وقد نقل عنه اخباراً في

(١) تهذيب التهذيب / طبعة أولى ١٤٠٤هـ، دار الفكر مجلد ١١ ص٤٨٤.
(٢) الجرح والتعديل جـ ٩ ص٢٢، وبنظر عنه البخاري: التاريخ الكبير جـ ٨ ص ١٦٣، التاريخ الصغير(تحقيق محمود إبراهيم زايد (طبعة أولى، بيروت ١٤٠٦هـ) جـ ١ ص١٤١).
(٣) معرفة الثقات (ط١ / المدينة المنورة ١٤٠٥هـ) جـ ٢ ص٢٤٥.
(٤) الباجي: التعديل والتجريح جـ ٣ ص ١٢٦١، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق/ تحقيق على شبري، بيروت ١٤١٥هـ، مجلد ٦٣ ص ١٢.
(٥) تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ١٤٦.

السيرة النبوية. وربما لا نبالغ في القول إن حوالي ٩٥٪ من مرويات عروة بن الزبير قد وصلتنا عن طريق حلقة إبنه هشام المتوفّى سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣. وأوصاف علماء الرجال لهشام إيجابية فهو عندهم ثقة وثبت وهو كثير الحديث حجة سمع من عبد الله بن الزبير. ويورد يحيى بن معين قولاً لأبي أسامة ان هشاماً بن عروة اروى من حماد بن سلمة وانه روى عن هشام ستمائة حديث[١] ويقول ابن معين أيضاً ان هشاماً «سمع كتاب عبد» كذا ورد في نص الرواية ولعله المقصود عبيد الله كل شيء عنده من إلا حديثاً يمتنع به[٢] (والنص كما هو بّين ناقص وغير مفهوم)، الا ان ابن معين يعلق على هذه الأقوال تعليقاً له أهميته وهو ان سعيد بن أبي عروبة لم يسمع من عبيد الله بن عمر ولا من هشام بن عروة ولا من أبي بشر إنما أرسلها عنهم بمعنى أن روايته مرسلة[٣]. والملاحظ ان هذه الرواية قد ذكرها الإمام أحمد بن حنبل في كتابه العلل[٤] مضيفاً إليها بأنه«قد حدّث عنهم ولم يسمع منهم شيئاً»، وهذا ما يعني بالحديث المرسل[٥].

ويفّصل الرازي في تبيان خصيصة رواية هشام فيما يتعلق بعلم الجرح والتعديل قائلاً بأنه روى عن ابن عمر رؤية وعن ابن الزبير

---

(١) ينظر تاريخ ابن معين/ تحقيق عبد الله أحمد حسن، دار العلم / بيروت جـ ١ ص٢٦٠.

(٢) (والنص كما يبدو ناقص وغير مفهوم) تاريخ ابن معين جـ ٢ ص٤٦.

(٣) تاريخ جـ ٢ ص٧٤.

(٤) جـ ٢ ص٢٢١.

(٥) العلل جـ ٢ ص٢٢١.

سماعاً وعن جابر بن عبد الله رؤية وعن أبيه والزهري ووهب[1].
والمعروف عن وفاته انه توفي في بغداد في سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، أو ١٤٦هـ/ ٧٦٣م عن عمر ناهز السابعة والثمانين[2] ويذكر الحافظ الخطيب البغدادي عن وصف مالك بن انس بحديث هشام وروايته قائلاً: «فقال ما حّدث به وهو عندنا - ويقصد في المدينة - فهو أي كأنه يصححه وما حدث به بعد ما خرج من عندنا - عندما رحل إلى العراق - فهو كأنه يوهنه»[3]. وبحسب قول هشام ان مالكاً كان لا يرضاه، وما نقمة مالك عليه الا لحديثه لأهل العراق فقد قدم الكوفة ثلاث مرات فكان يحدّث في أول مرة: «حدثني أبي قال سمعت عائشة». اما في المرة الثانية فكان يقول: «اخبرني أبي عن عائشة». وفي زيارته الثالثة أخذ يقول (أبي عن عائشة»)[4] وينقل الخطيب البغدادي تحفظاً إذ ورد عن الزهري عن محمد بن أحمد بن يعقوب ان جده قال له: «وهشام بن عروة ثبت ثقة لم ينكر عليه شيء إلا بعد ما صار إلى العراق فانه انبسط في الرواية فأنكر عليه ذلك أهل بلده. قال جدي والذي يرى ان هشاماً تسهل لأهل العراق انه كان لا يحدث عن أبيه إلا بما سمعه منه فكان تسهله أن أرسل عن أبيه مما كان يسمعه من غير أبيه عن أبيه»)[5] وقال عنه أبو الحسن ابن القطّان

---

(١) ينظر الجرح والتعديل جـ ٩ ص٦٢.
(٢) م.ن. جـ ٩ ص٦٢.
(٣) تاريخ بغداد، مدينة السلام حـ ١٤ ص ٤.
(٤) م.ن، المزي، تهذيب الكمال جـ ٣٠ ص ٢٣٩.
(٥) تاريخ بغداد جـ١٤ ص٤٠، المزي، تهذيب جـ ٣٠ ص٢٣٨.

بأنه «تغير قبل موته». وأورد ابن حجر العسقلاني في «التقريب» ان هشام بن عروة الأسدي ثقة فقيه ربما دلس في الخامسة[1] ولكن ابن حجر لم يقل شيئاً عن قوله هذا فهل يعني بالخامسة هي الخامسة والسبعون من عمره، أو الخامسة والثمانون من عمره على اعتبار كونه قد عمّر وتوفي عن سبع وثمانين سنة. وهناك رواية عن الآجري عن أبي داود إن هشاماً عندما حدّث بحديث أم زرع هجره أبو الأسود وكان يتيم عروة، وذكر العقيلي ان ابن لهيعة قال كان أبو الأسود يعجب من حديث هشام عن أبيه فربما مكث سنة لا يكلمه وقال أبو الأسود ولم يكن «أحد يرفع حديث أم زرع غيره»[2]. ومما رواه الخطيب البغدادي عن هشام بأنه طعن في بعض تصرفاته في أواخر أيامه وضرب مثالاً إن رجلاً من أهل البصرة كان يلازمه قال له: «يا أبا المنذر نافع مولى، ابن عمر كان يفضل أباك عروة على أخيه عبد الله، فقال: - كذب نافع، وما يدري نافعاً عاض بظرامه عبد الله والله خير وأفضل من عروة[3]. وجاء في التاريخ ان هشاماً طلب من المنصور مالاً قائلاً: «يا أمير المؤمنين اقض عن ديني قال: وكم دينك قال: مائة ألف، قال: وأنت في فقهك وفضلك تأخذ ديناً مائة ألف[4] (وهو خطاب خطير بشأن كرامة هشام ومكانته

---

(١) ينظر تقريب التهذيب على حاشية كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي، ج ١ ص ٢٢٠.

(٢) المزي تهذيب ج ٣٠ ص ٢٤٢.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٤ ص٣٨.

(٤) وهذا خطاب خطير بشأن كرامة عروة ومكانته العلمية.

العلمية)، ليس عندك قضاؤها قال: يا أمير المؤمنين شب فتيان من فتياننا فأحببت ان أبوئهم وخشيت ان ينتشر علي من أمرهم ما أكره فبوأتهم واتخذت لهم منازل واولمت عنهم ثقة بالله، ويا أمير المؤمنين قال: فردد عليه مائة الف مائة الف استعظاما لها ثم قال قد أمرنا لك بعشرة ألاف فقال: يا أمير المؤمنين فأعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس»[١]. والأكثر أهمية في تصرف هشام البائس هذا انه عندما أمر المنصور بتقليل طلبه إلى العشر من أصل الطلب «فأهوى هشام إلى يد المنصور يقبلها» فرّد المنصور «يا ابن عروة أنا نكرمك ونكرمها عن غيرك»[٢] ولعل من الصحيح القول ان هشاماً في أيامه الأخيرة قد خرف وإلا كيف صدرت عنه هذه الأعمال التي سبق ذكرها؟ فكيف لنا تصديق رواياته كلها على علاتّها؟

ومما يجدر ذكره ان أبا جعفر الطوسي قد ذكره في رجاله كما ذكره التفريشي في نقده للرجال فكان بحسب قولهما من أصحاب الإمام الصادق[٣] علما انه قد توفي في ١٤٥هـ وقيل ١٤٦هـ وقيل ١٤٧هـ ونقل الشبستري ان هشاماً قد اختص بالمنصور العباسي[٤].

كان هشام لا يقبل من أحد أي طعن موجه لرواية والده عروة

---

(١) تاريخ بغداد ج ١٤ ص٣٩.

(٢) م. ن. المزي: تهذيب ج ٣٠ ص٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) ينظر رجال الطوسي ص٣١٨، نقد الرجال للتفريشي، طبعة أولى، قم ١٤١٨هـ ج ٥ ص٥١.

(٤) ينظر الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام طبعة أولى مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٨هـ، ج ٣ ص٣٨٧.

ففي رواية ذكرها الخطيب البغدادي عن يحيى بن سعد قوله عن هشام: كان هشام مرة في مجلس يعلم جمعاً من قريش «فحدثت بحديث فانكره عليّ بعضهم، فقلت: أنا سمعته من أبي فممن سمعته أنت فلم يكن عنده حجة»[(١)]. وهي رواية تعكس إن هناك شكوكاً في رواية هشام من جانب جمع من رواة الحديث القريشيين ولذلك كان لموقف مالك منه له ما يسوّغه. غير إن الطعن في هشام بأنه كان يتسأهل في أحاديثه لأهل العراق أمر غامض حقاً ويثير تساؤلات هل المقصود بذلك بأنه عندما غادر المدينة إلى الكوفة أخذ يروي مرويات وأحاديث مرسلة كما يؤشر إليه التعبير على من يسمعه من غير أبيه عن أبيه»[(٢)] ومع ذلك فان الدارمي سأل يحيى بن معين عن هشام من أنه أحب إليه من عروة، أو من ابن شهاب فأجاب «عن كليهما ولم يفضل»[(٣)]. وبمعزل عن المرويات والأحاديث المتفردة أي التي انفرد بروايتها حكيم بن حزام ووهب بن كيسان في سلالها السندية الموصولة إلى الرسول الكريم، فان حلقة هشام بن عروة وبالأخص حلقة والده عروة لا شك في انها السلسلة السندية التي طغت بل سادت في مرويات السيرة النبوية. وفي أدناه محاولة احصائية متواضعة في عدد من مؤلفات الصحاح والمسانِد والتاريخ عن حلقة عروة بن الزبير السندية ندونها للتدليل على ما سبق قوله من استنتاج على سيادة الرواية المعتمدة على عروة:-

---

(١) تاريخ بغداد ج١٤ ص٣٩.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١٤ ص٤٠.

(٣) م. ن. ج ١٤ ص٤٠.

١ - عدد المرات المذكور فيها عروة في صحيح البخاري ثمانية مجلدات ١٤٢ رواية.
٢ - اما في صحيح مسلم ثمانية مجلدات = ٧٥ رواية.
٣ - وفي سنن ابن ماجة مجلدان = ٢٤ رواية.
٤ - وفي سنن الدرامي (مجلدان) = ١٠ روايات.
٥ - وفي السنن الكبرى للنسائي (ست مجلدات)= ٦٩ رواية.
٦ - وفي سنن النسائي (٨ مجلدات) = ٣٦ رواية.
٧ - وفي سنن أبي داود (مجلدان) = ٦١ رواية.
٨ - وفي سنن الترمذي (خمسة مجلدات) = ١٤ رواية.
٩ - وفي صحيح ابن حبّان البستي (١٦ مجلد) = ٨٣ رواية.
١٠ - وفي سنن الدارقطني (٤ مجلدات)= ٢٨ رواية.
١١ - وفي السنن الكبرى للبيهقي (١٠ مجلدات) = ٢٦٦ رواية.
١٢ - وفي مسند أحمد بن حنبل (٦ مجلدات) = ٦٥ رواية.
١٣ - وفي مسند ابن راهوية (٥ مجلدات) = ٣٧ رواية.
١٤ - وفي مستدرك الحاكم النيسابوري (٤ مجلدات) = ٧٥ رواية.
١٥ - وفي كتاب الأم للشافعي (٧ مجلدات) = ١٨ رواية.
١٦ - وفي كتاب تركة النبي للبغدادي (مجلد) = ٤ روايات.
١٧ - وفي المصنف لابن أبي شيبة (٨ مجلدات) = ٤٢ رواية.
١٨ - وفي فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١٣ مجلد) = ٧٨ رواية.

١٩ - وفي كتاب دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (٤ مجلدات) = ٢٨ رواية.

٢٠ - وفي كتاب التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي (١٠ مجلدات)= ٣ روايات.

٢١ - وفي جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري (٣٠ مجلد) = ٥٥ رواية.

٢٢ - وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (مجلدان) = ١٧ رواية.

٢٣ - وفي طبقات محمد بن سعد البصري (٨ مجلدات) = ٧٩ رواية.

أما مجموع الروايات المعتمدة على هشام = ٢٠٤ رواية.

٢٤ - وفي التاريخ الكبير للبخاري (تسع مجلدات) = ٥٠ رواية.

٢٥ - وفي التاريخ الصغير للبخاري (مجلدان) = ٩ روايات.

٢٦ - وفي رجال أبي جعفر الطوسي (مجلد) = ١ رواية.

٢٧ - وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (سبعون مجلد) = ٤٥٥ رواية.

٢٨ - وفي تاريخ خليفة بن خياط (مجلد = ٩ روايات..

٢٩ - وفي السيرة النبوية لابن هشام (٤ مجلدات) = ٤١ رواية.

٣٠ - وفي تاريخ الرسل والملوك للطبري (٨ مجلدات) = ٧١ رواية.

٣١ - وفي تاريخ المدينة لابن شبّه (٤ مجلدات) = ٢٧ رواية.

٣٢ - وفي السيرة النبوية لابن كثير (٤ مجلدات)= ٦٦ رواية.

٣٣ - وفي تاريخ البداية والنهاية لابن كثير (١٤ مجلد) = ٩٥ رواية.

ومما يسترعي تبيانه ان هذه الإحصائية لمرويات السلسلة السندية التي ستذكر لاحقاً: - عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ينبغي ان لا تؤخذ دليلاً قطعياً على أنها مرويات وأحاديث مختلفة في فحواها ومعلوماتها فهناك الكثير منها تشير إلى أحوال متشابهة في المضمون بين عالم وآخر من علماء تلك المؤلفات. ولكنها بصورة إجمالية تثبت ان مروايات عروة يجب أن يحسب لها حساب في الرواية التاريخية موازنة مثلاً بمرويات عبد الله بن عباس العامة التي يمكن إجمالها لغرض المقارنة بما يأتي:-

١ - في صحيح البخاري عدد المرويات = ٥٧.
رواية ابن عباس (٨ مجلدات).

٢ - اما في صحيح مسلم = ٤٥ رواية.

٣ - واما في سنن ابن ماجه = ١٣ رواية.

٤ - وفي سنن النسائي = ٣٨ رواية.

٥ - وفي فتح الباري = ٤٧ رواية.

٦ - وفي المستدرك للحاكم = ٩٢ رواية.

٧ - وفي سنن البيهقي = ١٧٠ رواية.

وفي محاولة متواضعة وسريعة للمقارنة بين اهم ثلاث حلقات نهائية في أسانيد السيرة النبوية وصولاً إلى حلقة الرسول الكريم، الا وهي حلقة عبد الله بن عباس وحلقة جابر بن عبد الله بن عمرو بن

حزام الأنصاري وحلقة راويتنا عروة بن الزبير سنجد ان الأخير يتفوق في عدد المرويات التي اعتمدت في الصحاح وبعض المؤلفات التاريخية الرائدة. الامر الذي يدلل على ان عروة قد أولى هذه الحقبة التاريخية التأسيسية في التدوين التاريخ الإسلامي اهتماماً خاصاً لا سيما وانه قد اختص - ان صح هذا التعبير - بحلقة قريبة جداً من حديث رسول الله، ألا وهي حلقة خالته أم المؤمنين السيدة عائشة.

والحقيقة ان جابر بن عبد الله كان نفسه يمثل حلقة أساس إذ انه إما سمع رسول الله، أو تحدث معه، وكذلك حال وطبيعة حلقة ابن عباس، غير ان وثاقة الرابطة الزوجية باعتبار السيدة عائشة زوج الرسول المفضلة ووجودها المستمر معه وقربها المتواصل إليه، يؤدي بالتأكيد إلى ارتفاع نسبة الأحاديث التي زودتها إلى عروة بن الزبير بها. آخذين بنظر الاعتبار ان السيدة عائشة قد أولت هذا الميدان أهمية، وجعلت من نفسها مدرسة لتعليم حديث رسول الله.

فالعلاقة الروحية التي تمتع بها عروة مع خالته وهي أم المؤمنين كان له التأثير المباشر في شهرته. فكانت أم المؤمنين بمثابة المشيخة، أو المعلمة التي حافظت على تجربتها الحياتية السعيدة في بيت رسول الله منذ أيام طفولتها الأولى (كان عمرها اما ست سنوات، أو ثمان سنوات)، حتى تغمده الله تعالى بوافر رحمته بمدة حوالي عشر، أو إحدى عشرة سنة.

إن أم المؤمنين قد صانت تجارب وخبرات سيد الأنام بما له علاقة بالرسالة السماوية وبنزول آيات الذكر الحكيم وبتجارب الرسول الشخصية وعلاقاته مع صحابته المقربين رضوان الله عليهم،

فكانت كما تعكسه مرويات عروة تقوم مقام سجل الوثائق، أو الديوان الذي حفظ لنا تراثه، الروحي والعقيدي وحفظ لنا أقواله وأحاديثه وخطبه وشمائله وفضائله وعاداته وقيمه خلال تلك السنوات الطويلة وإلى درجة كبيرة بضمنها السنين الأولى التي سبقت زواجها بالرسول، أي منذ مبعثه وتلقيه الوحي والدعوة السرية والعلنية وهجرات المسلمين إلى الحبشة وهجرة الرسول إلى يثرب وغير ذلك من الأحداث الكثيرة جداً. فان كان كذلك وهو كذلك بالفعل، فهي اذن كانت مدرسة تأسيسية لهذه العلوم الإسلامية الأولى الخاصة بالرسول. والسؤال المثار هو، هل كان عروة هو الابن الوفي والمقّرب عند خالته، التلميذ الوحيد الذي دخل هذه المدرسة، أم هناك آخرون، وان وجد فمن هم؟ ثم هل كان عروة يتلقى تعليمه بمعنى انه كان يتلقى المرويات عن خالته شفاها وبصورة مباشرة أي إنها كانت تلقنه وتحفّظه إياها أم غير ذلك؟ والاهم هل كانت أم المؤمنين تعرف القراءة والكتابة - ولم يرد ذلك في التاريخ - أم أنها مشهورة بالحفظ فقط، بمعنى هل هي من الحفّاظ المعروفين أم أنها كانت مدركة جداً آنذاك بمعنى تدوين الأحاديث فكانت توجه أسئلة محددة وهادفة إلى الرسول، وانها كانت تتلقى أجوبته فتحفظها عن ظهر قلب؟ والاهم من ذلك متى بدأ اهتمام السيدة عائشة بحديث رسول الله ومتى حدثّت، أو أفتت، أو أجابت على الأسئلة الخاصة بحياة الرسول، أو ما يسمى بالأحاديث الأسرية والعائلية والخاصة بشخصية الرسول منها والعقيدية والاجتماعية التي تحمل وجهات نظر سياسية، أو شخصية بالنسبة إلى هذا الصحابي، أو ذاك؟ فالأحاديث التي قدمتها إلى عروة

تعكس انها كانت منذ طفولتها تهتم بتدوين، أو، حتى بحفظ ذلك كله. وهناك أسئلة في الجرح والتعديل منها هل حظيت السيدة عائشة التي صورتها مؤلفات السيرة والتراجم وهي الزوج المفضلة كما ألمحنا بهذه المكانة العلمية والمعرفية الكبيرة وحدها دون بقية أمهات المؤمنين، وهل منحها رسول الله شرعية الفتيا ورواية أحاديثه؟ هناك معلومات تذكر أم سلمة وأسماء بنت أبي بكر وأخريات من زوجات الرسول قد أدَينَّ دوراً في ميدان رواية أحاديث رسول الله بنسبة عالية بينما هناك أخريات من أمهات المؤمنين من كان نصيبها في الرواية قليل واقل بكثير؟ هذه التساؤلات وغيرها سوف تشعب الموضوع كثيراً ونحن بصدد بحثها في بحوث لاحقة وان البحث ها هنا يتناول ما له علاقة برواية عروة بن الزبير عن خالته.

السيدة عائشة وعروة بن الزبير

كانت صلة عروة بخالته متميزة جداً ففي رواية رواها سفيان بن عيينة إن هناك في المدينة وربما أعم من ذلك ثلاثة علماء كانوا من اعلم الناس بحديث عائشة وهم: - القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن[1] وذكر ابن حجر العسقلاني رواية رواها قبيصة بن ذؤيب ان عروة «كان يغلبنا - وفي رواية أخرى عند المزي وردت يعلمنا بدلاً من يغلبنا - بدخوله على عائشة وكانت عائشة اعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله[2]». ويضيف المزي إضافة لهذه الرواية معتمداً على رواية سفيان بن عيينة يحتمل الرواية نفسها التي أوردناها سابقاً لكن بصيغة جديدة فقد اسند ابن عيينة الرواية إلى هشام بن عروة عن عروة نفسه - الحلقة الأخيرة - قوله: «ما ماتت عائشة، حتى تركتها قبل ذلك بثلاث سنين»[3]. والملاحظ أن هذه الرواية نفسها قد وردت عند ابن حجر عن سفيان بن عيينة عن هشام عن أبيه قوله: «لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج، أو خمس حجج وأنا أقول لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته»[4]. فاختلاف روايتي سفيان

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق جـ ٤٠ ص ٢٥٣.

(٢) التهذيب لابن حجر جـ ٣ ص١٦٤، تهذيب الكمال للمزي جـ ٣ ص١٧.

(٣) التهذيب الكمال جـ ٣٠ ص١٧.

(٤) تهذيب جـ ٧ ص ١٦٤ - ١٦٥.

بسنده عن هشام بن عروة يجعلنا مترددين في التحديد الدقيق للتاريخ الذي توقف فيه عروة عن مواصلة تعلمه عند خالته، هل كان ذلك قبل ثلاث سنين، أو أربع سنين، أو خمس سنين من وفاتها؟ والمعروف إن أم المؤمنين قد ولدت[1] قبل هجرة الرسول إلى مكة بسنوات وكانت تكنّى بأم عبد الله (ابن الزبير) فقد كان أول مولود ولد في المدينة.

ولما كانت السيدة عائشة لم تنجب طفلاً فقد اتخذت عبد الله اسماً وكأنه ابنها، وتوفيت في المدينة سنة ٥٨هـ/ ٦٧٨م. وقيل أنها روت أحاديث كثيرة - يجعلها بعضهم أكثر من ألف ومائتين حديث - مع الاعتقاد بأنها قد حدثت أكثر بكثير من هذا الرقم -. وجميع أحاديثها قد انتهت حلقة أسانيدها بالسيدة عائشة. وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم هناك أكثر من ثلاثمائة حديث ولعل ذلك يرجع إلى أنها أحاديث تتناول ميادين مختلفة. كذلك نسب إلى السيدة عائشة مسند باسمها (مسند عائشة) ونسب إليها بضعة قراءات من القرآن الكريم، فضلاً عن وصفها بكونها متبحرة بتاريخ العرب في الجاهلية والإسلام وفي الشعر العربي وموضوعات أخرى[2].

---

(١) ولدت السيدة عائشة بعد المبعث بأربع، أو خمس سنين (ابن حجر، الإصابة ج ٨ ص ٢٣٢).

(٢) ينظر عن ترجمتها في مؤلفات تراجم الرجال والنساء مثل طبقات ابن سعد وطبقات خليفة بن خياط ومؤلفات الصحابة والثقات من الرواة ومؤلفات أبي نعيم الأصفهاني وابن عبد البر وابن حجر العسقلاني والذهبي كذلك ينظر دراسة المستشرقة الأمريكية N.Abbott الموسومة (عائشة الزوج المحبوبة لمحمد). Aishah the Beloved of Mohammad (1942) ودراسة المستشرق. .

وحقيقة الأمر أن عروة بن الزبير نفسه قد صرح عن مدى شهرة أم المؤمنين في الشعر إذ أورد المزي رواية عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قوله: «ما رأيت أحد أروى للشعر من عروة فقيل له ما أرواك يا أبا عبد الله فقال: وما روايتي في رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً»(١). وهناك سؤال لا بد من عرضه إلا وهو هل كان عروة في جميع مروياته متفقاً اتفاقاً تاماً مع آراء السيدة عائشة العامة والخاصة، أم انه كان يتخذ مواقف ضد أرائها وتحكيم رأي أبي هريرة مثلاً على رأيها هناك. تكشف المرويات في مؤلفات التراجم والتاريخ ان عروة ظل مدافعاً قوياً ومؤيداً لأحاديث خالته، ولعل اوضح مثال على ذلك ما ذكره ابن عساكر عن ابن شهاب الزهري ان عروة وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود على عمر بن عبد العزيز وكان حينذاك اميراً على المدينة فجرى بينهم حديث ذكر فيه السيدة عائشة وعبد الله بن الزبير. بانه (عروة) سمع عائشة تقول: «ما احببت أحداً حبي لابن الزبير) وعلّق عروة إن عبد الله بن الزبير كان بالنسبة لعائشة (بحسب علاقة الرحم والمودة) مقربا، فما كان من عمر الا ان يكذب عروة قائلاً: «كذبت». فرد عروة على ان عبد الله زميله يعلم انه غير كاذب. لذلك ان اكذب الكاذبين من كذّب الصادقين فغضب عمر بن عبد العزيز لحبهما(٢).

وإذا ما اتفقنا على سنة ولادة عروة بأنها كانت في أواخر خلافة

A. Jeffery; Material for the history of the Quran an Leiden ,(1930) (Aisha bint Abi Bakr) in E.I. (New edition, by W. Mont gomery Watt..

(١) تهذيب الكمال ج ٢٠ ص ١٩.

(٢) تاريخ دمشق ج ٤٠ ص١٠ - ١١.

عمر بن الخطاب أي سنة ٢٣ هجرية/ ٦٤١م وفي رواية أخرى انه ولد لست سنوات خلت من خلافة عثمان. مع إن الرواية الأولى تبدو أكثر صحة وذلك نقلاً عن عروة انه قال»كنت يوم الجمل ابن ثلاث عشرة سنة» فاستصغروا عمره ولم يوافق أصحاب الجمل على الالتحاق بجيش أبيه وأخيه[١]. لهذا كله يمكن القول انه انقطع عن تعليمه في مدرسة خالته للحديث الشريف وهو في الثلاثين من عمره تقريباً، فقوله السابق: «وأنا أقول لو ماتت اليوم - مع إن تاريخ إشارته اليوم غير محدد - ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته»[٢]. وبناء على هذه المعلومة تكون الرواية التي رواها عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف بان عبد الرحمن هذا دخل مرة المسجد مع أبيه فرأى الناس مجتمعين على رجل يحدثهم فلما اقترب من الجمع ونظر إلى الرجل فإذا هو عروة بن الزبير فاخبر والده بذلك قائلاً: «يا أبة هذا عروة بن الزبير وتعجبت من ذلك، فقال يا بني لا تعجب فوالله لقد رأيت أصحاب رسول الله، وإنهم ليسألونه»[٣]. هي رواية مهمة جداً تعكس أمرين مهمين أولهما إن من بقي من صحابة رسول الله في الخمسينات الأولى بعد الهجرة كانوا يتوافدون على عروة يسألونه عن أحاديث رسول الله وأحاديثه فعليا هي أحاديث السيدة أم المؤمنين بمعنى انه كان محّدثاً معروفاً وثّقة في رواية الحديث الشريف آنذاك، أما الأهمية الثانية للرواية فهي تعكس مكانته العلمية وشهرته بين الناس وعلماء المدينة وربما

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص ٢٨٦، المزي: تهذيب جـ٢٠ ص٢٤.

(٢) ابن حجر التهذيب جـ ٧ ص١٦٤ - ١٦٥.

(٣) ابن عساكر، تاريخ جـ ٤٠ ص٢٥٤، المزي تهذيب جـ ٢٠ ص١٩.

مكة أيضاً. ولكن من الجانب الآخر هناك رواية متأخرة قليلاً عن وفاة أم المؤمنين تكشف غير ذلك وبعد عقد من الزمان تقريباً. إذ أورد ابن عساكر رواية عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه إن مصعب بن الزبير وعروة بن الزبير وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وفي رواية أضيف إليهم عبد الملك بن مروان اجتمعوا في الحجر وقالوا: «لو تمنوا» فتمنى عبد الله الخلافة، وتمنى عروة قائلاً ما نص قوله: «أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم» وأما مصعب فتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين[1]. وهناك رواية ثانية رواها عامر الشعبي لا ابن أبي زناد. وقد جمع الشعبي مصعب وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر واسقط عروة بينما ادخل عبد الملك بن مروان بدلاً عنه وجعل الاجتماع في فناء الكعبة والتمني في الركن اليماني من الكعبة لا الحجر[2]. فالرواية التي تعنينا تبين بجلاء إن صحت إشارتها إلى عروة - بأنه لم يكن مشهوراً في رواية الحديث ولم يؤخذ عنه العلم في أواخر الستينيات وذلك لأن عبد الله بن الزبير قد تولى الحجاز سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م. وانه عزل والي البصرة وولى أخاه مصعباً الولاية وتزوج من سكينة وولدت له فاطمة[3]. مقابل هذه القصة فان الآراء تكاد تتفق على عالمية عروة وتفقهه فاعتماداً على ابن شهاب الزهري الذي اعتمد رواية أحاديث عروة عن عائشة قوله: وجدت عروة بحراً

---

(١) تاريخ دمشق ج ٤٠ ص٣٦٧.

(٢) م. ن. ج٣١ ص١٧٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج ٨ ص٤٧٥.

لا تكدره الدلاء»[١]. ووضّح الزهري أيضاً انه لقي من قريش أربعة بحور هم: - سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبو سلمة وعبيد الله بن عبد الله، كذلك الرواية التي سبق ذكرها حول تفضيله رواية عروة على رواية عمرة[٢]. ووصف عروة بأنه من أفاضل أهل المدينة وعقلائها[٣]. وقد أطنب العلماء في ذكر أسماء من روى عنهم بشكل مفصل، أو ممن سمع عنهم مثل: - أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وجابر بن عبد الله الأنصاري والحسن والحسين ابني الإمام علي وأبو أيوب الأنصاري وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ومروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان وهشام بن حكيم بن حزام وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة. وروى عروة وسمع من عدد من أمهات المؤمنين والصحأبيات من بينهن خالته عائشة وأمه أسماء بنت أبي بكر وأسماء بنت عميس وبسرة بنت صفوان وزينب بنت أبي سلمة ربيبة النبي، وضباعه بنت الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن وفاطمة بنت أبي حبيش وفاطمة بنت قيس وأم حبيب بنت أبي سفيان وأم سلمة وأم شريك وأم هانيء بنت أبي طالب[٤].

قبالة ذلك فقد ذكرت مؤلفات الرجال والطبقات أسماء علماء كثر رووا عن عروة بن الزبير منهم: - بكر بن سواده الجذامي،

---

(١) ابن عساكر، تاريخ جـ ٤٠ ص٢٥٣.
(٢) م.ن. جـ ٤٠ ص٢٥٣.
(٣) ابن حجر عن ابن حبّان، تهذيب جـ ٧ ص١٦٦.
(٤) ابن عساكر: تاريخ جـ ٤٠ ص٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢.

وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين وجعفر بن مصعب وحبيب مولاه وخالد بن أبي عمران قاضي افريقية وزميل بن عباس مولى عروة وسعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان وصالح بن كيسان وعبد الله بن أبي بكر بن محمد وابن شهاب الزهري[1].

وعودة إلى الحديث عن سيرة عروة بن الزبير فأراء العلماء وان كانت متباينة في سنة وفاته بين أن تكون سنة ٩٤هـ، أو ٩٦هـ، أو ٩٩هـ، أو تكون ابعد من ذلك في سنة ١٠١هـ. ولعل أكثرها صحة وقرباً من رواية ولادته أيام الخليفة عمر بن الخطاب هي سنة ٩٤هـ.

إذن فان الروايات المتعلقة بشهرة عروة - الواسعة - إلى درجة أن أصحاب رسول الله، كانوا يترددون عليه ويجتمعون حوله لأخذ مشورته، أو للإجابة عن استفساراتهم - لا تتوافق مع الرواية التي ربما تتعلق بأواخر الستينيات من عمره بأنه قد تمنى في الحجر، أو في الكعبة أن يكون مشهوراً وأن يؤخذ العلم منه. فهل هناك مبالغة في رواية تردد صحابة الرسول وتقاطرهم عليه بحسب الصورة التي صورتها رواية عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف المذكورة آنفا؟ ويضاف إلى رواية المدح والإطراء من جانب تلميذه ابن شهاب الزهري على انه واسع العلم وانه بحر لا تكدره الدلاء[2]. وقوله الآخر عندما سأله معمر قال: «أربعة من قريش

---

(١) ابن عساكر: تاريخ ج ٤٠ ص٢٤٠ - ٢٤٢، ابن حجر التهذيب ج ٧ ص١٦٣، المزي: تهذيب ج ٣٠ ص١٢ - ١٥، المجلسي، بحار النوارج ٨٤ ص ١٩٥.

(٢) المزي تهذيب ج ٣٠ ص١٦.

وجدتهم بحوراً سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبو سلمه عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله»[1]. والواقع فان ابن شهاب قد توفي بعد وفاة عروة بثلاثين سنة تقريباً في حال اعتبار وفاة عروة سنة ٩٤ هجرية. وانهما كانا كثيراً ما يجتمعان ويتشاوران في مسجد المدينة. ففي قصة أوردها ابن شهاب حينما زار مصر على عهد ولاية عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز (أي بين سني ٦٥هـ-٨٥هـ/ ٦٨٤-٧٠٤) في عهد الوليد بن عبد الملك، وكان الزهري آنذاك يحّدث بحديث سعيد بن المسيب وكان هذا عند الزهري بحراً من البحور الأربعة، والقصة تعرض مسألة مهمة وهي استفسار أحد علماء مصر من ابن شهاب بأنه يحدّث فقط عن سعيد بن المسيب في الوقت الذي ترك فيه تماماً رجلاً كثير الحديث وليس هناك من أحد اعلم منه إلا وهو عروة بن الزبير وأبو سلمة لذلك واعتماداً على قول الزهري نفسه بأنه حال عودته من مصر إلى المدينة وجد عروة البحر الذي لا تكدره الدلاء. كيف يحدث هذا، والقصة التي رواها الزهري هذه ان صحت تتضمن عدة أمور متقاطعة مع الرواية التي تشّدد على شهرة عروة العلمية من جهة وإلى شهرة الزهري العلمية أيضاً من جهة ثانية، وكأنهما منعزلين عن بعضهما البعض، وهذه الأمور هي:-

١ - المعروف إن الزهري قد تتلمذ على عروة بن الزبير لا سيما في حديث السيرة النبوية.

٢ - المعروف عن الزهري، أنه على الرغم من تردده على

---

(١) المزي تهذيب ج ٣٠ ص١٦.

البلاط الأموي، كان على معرفة دقيقة بعلماء الحديث في المدينة وبعلماء حديث السيرة النبوية حصراً.

٣ - المعروف عن والد عمر بن عبد العزيز انه أول من تولى عملية جمع الأحاديث معتمداً على عمل وآلية تحمل ابن شهاب الزهري بدرجة أساس أعباءها.

٤ - يفترض بالزهري أن يكون على معرفة بما كان سفيان بن عيينه يعلن عنه ويردده دائماً وهو أن أعلم الناس بحديث عائشة كانوا: - القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن ولم يكن اسم سعيد بن المسيب بينهم. فكيف استطاع الزهري ان يكتب رواية السيرة النبوية دون معرفة ذلك وان أحاديث أم المؤمنين تقف على رأس قائمتها.

٥ - والأكثر أهمية من ذلك كله انه قد عرف عن هشام بن عروة انه التلميذ المشهور لابن شهاب وان هشاماً قد توفي بعد الزهري بحوالي ثلاثين سنة لأنه كان من المعمرين وتوفي وهو في السابعة والثمانين من عمره. بمعنى ان هشاماً كان حياً خلال مدّة وجود كل من والده والزهري، وفعلاً فان رواية الخطيب البغدادي تؤكد ذلك ومفادها ان هشاماً قد سمع ابن شهاب فهو كان قريباً من الزهري[1]. انه ربما كان حينذاك في اواخر الثلاثينيات من عمره إذا ما وافقنا على سنة ولادته ٥٩هـ/٦٧٨م، أو قريباً منها وذلك لأنه توفي إما في ١٤٥هـ، أو ١٤٦هـ/ زمن المنصور العباسي. والمعروف عن هشام انه كان وثيق الصلة بوالده، وانه بشهادة والده

---

(١) تاريخ بغداد (جـ ١٤) ص٣٧، المزي، تهذيب جـ ٣٠ ص٤١.

كان من أحفظ إخوته لرواية عروة، أو بالأحرى أحفظ إخوته بعلم عروة والده. يقول هشام: «فكان أيعني عروة - يعجب في حفظي، فو الله ما تعلمنا جزءاً من إلف جزء وفي رواية من ألفي جزء من أحاديثه»[(١)].

وعلى هذا الأساس فان رواية ابن شهاب تلك ما هي إلا رواية إعلامية لزيادة الإشادة بعلم عروة، أو إذا لم تكن رواية إعلامية فهي دليل بّين على إن الزهري كان منقطعاً، أو بعيداً عن الحركة العلمية في المدينة وليس له دراية ومعرفة ببحور العلم في مدينة رسول الله، أو، حتى بفقهاء المدينة الأربعة، أو السبعة، والأكثر من ذلك لم تكن له دراية بمدرسة رواية الأحاديث النبوية العامة وبحديث خالة عروة أم المؤمنين وهي كما يبدو المدرسة الوحيدة والأساس لتعليم وتحفيظ ونشر أحاديث رسول الله، وبدون هذه الاستنتاجات كيف لنا التوفيق بين ما أثاره تعجب العالم المصري وهو يشير إلى الزهري بعالمية عروة في الحديث والفقه وبين قول ورد له نصه»كان إذا حدثني عروة ثم حدثتني عمرة صدق عندي حديث عمرة حديث عروة فلما استخبرتهما - وفي رواية أخرى تبحرتهما - إذا عروة بحر لا ينزف» - وهو قول يشابه قوله فإذا عروة بحر لا تكدره الدلاء[(٢)].

٦ - وتوكيداً لما سبق ذكره من نقاط بشان احتمالية كون روايات ابن شهاب الزهري عن شيخه عروة هي ضرب من ضروب الإعلان والإطراء المتقصد تماثل بدرجة، أو أخرى ما تفصله القصص

---

(١) المزي، تهذيب جـ ٣٠ ص١٦.
(٢) المزي، تهذيب جـ ٣٠ ص٦.

الآتية، ومع أنها قد وردت بصيغ متعددة لكن الرأي الراجح أنها قصة واحدة في المضمون والمغزى الإعلامي وهذه القصص موزعة كالأتي:-

أ - رواية محمد بن يونس عن عبد الملك الاصمعي عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري قوله: «كنت أجالس ثعلبة بن عبد الله بن ثعلبة فقال لي يوماً: - أحسَبُك [يلاحظ كأن سعيد بن المسيب مجهول الهوية والعلم] - والقول هنا موجه إلى الزهري - تحب العلم فعليك بذاك الشيخ وأومأ إلى سعيد بن المسيب. فجلست إليه سبع سنين ثم تحولت من عنده إلى عروة بن الزبير ففجرت به تبج بحر(كذا وردت).

ب - أما رواية عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن ابن شهاب قوله»كنت اطلب العلم من ثلاثة [في هذه الحال تصبح الرواية السابقة لا قيمة لها]: - سعيد بن المسيب وكان أفقه الناس [وهو تعريف يبين بجلاء ان سعيداً كان معرّفاً ومعروفاً]، وعروة بن الزبير وكان بحراً لا تكدره الدلاء وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وكنت لا أشأ أن أقع منه على علم ما لا أجده عند غيره إلا وقعت»[١].

ج - رواية أصلها يتوافق مع رواية (أ) مع إنها لا تتطابق معها تماماً وردت عن الأصمعي إملاءنا مالك عن الزهري قال: «سألت ابن صعير عن شيء في الفقه [يلاحظ المسألة قد تحددت في الفقه وليس العلم اطلاقاً]، فقال ألك بذا حاجة عليك واشار إلى سعيد بن

(١) المزي، تهذيب. ج ٤٠ ص٢٥١.

المسيب فجالسته سبع سنين لا ارى عالماً غيره قال ثم تحولت إلى عروة ففجرت به تبج بحر[1].

د - ورواية أخرى عن هذا الموضوع وهي رواية غير متطابقة أوردها محمد بن يحيى عن أبي لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب قال: «لزمت ابن المسيب ثمان سنين، حتى توفي رحمه الله» [في القصص السابقة ان الزهري لازم سعيد مدة سبع سنين ثم تحول بعدها إلى عروة]. وكان عالم الناس ثم بعثني عبد الملك بن مروان [يلاحظ ادخال معلومة جديدة تماماً تشير قسرياً إلى عبد الملك]، إلى عبد العزيز فإذا عنده إبراهيم بن قارظ الزهري [هي اذن قصة جديدة للحدث] فسمعني احدث عن ابن المسيب فقال، مالي لا أراك تحّدث عن عروة شيئاً، قال فقلت، أو صاحب ذلك هو، فقال لي: نعم. فقال ابن شهاب فلما قدمت المدينة [في الرواية السابقة قال فتحولت إلى عروة)لزمت عروة بعد ابن المسيب فأذا هو بحرلا تكدره الدلاء (في القصة السابقة ففجرت له تبج بحر).

هـ - وقصة أخرى حول الموضوع نفسه تماماً لكنها غير متطابقة قد أوردها ابن لهيعة عن عقيل بن خالد، قال: سمعت ابن شهاب [في القصة السابقة سمعت ابن قارظ يحدث] يقول: قدمت مصر على عبد العزيز بن مروان [في هذه الرواية اسقط دور عبد الملك] وأنا أحّدث عن سعيد بن المسيب، قال فقال لي إبراهيم بن عبد الله بن قارظ [يلاحظ الاختلاف بين التعبيرين]، ما أسمعك تحدث الا عن ابن المسيب فقلت: أجل فقال: لقد تركت رجلين من قومك

---

(١) كذا وردت/ م.ن.ج ٤٠ ص٢٥٢.

[يلاحظ في الرواية السابقة الإشارة إلى عروة فقط] لا اعلم أحدا أكثر حديثاً منهما عروة بن الزبير وأبو سلمة بن عبد الرحمن قال: فلما رجعت إلى المدينة وجدت عروة بحر لا تكدره الدلاء(١).

و - فالقصة التي ورد ذكرها في النصوص السابقة تشير جميعها إلى عظمة عروة موازنة بابن المسيب. وهي رواية إذا ما جمعت أجزاؤها بعضاً إلى بعض نجدها رواية ضعيفة ومتناقضة ومتضاربة، ولعل الرواية التي ذكرها ابن حجر والمّزي هي أقرب إلى الفهم وإلى الحادثة المشار إليها. أورد هذان العالمان رواية عن ابن شهاب مباشرة قوله: «كان إذا حدثني عروة ثم حدثتني عمرة صدق عندي حديث عمرة حديث عروة فلما بحرتهما إذا عروة بحر لا تنزف»(٢). وعن يونس بن يزيد عن الزهري قوله. كان عروة بحراً لا تكدره الدلاء(٣). وقال يوسف بن يعقوب الماجشون عن ابن شهاب: كان إذا حدثني عروة ثم حدثتني عمرة صدق عندي حديث عمرة حديث عروة فلما استخبرتهما (، أو استبحرتهما) إذا عروة بحر لا ينزف»(٤).

ز - كلمة أخيرة بشان هذه القصص الإعلامية وبالأخص تلك التي تخّص ما تحدّث به الزهري من انه تلقى العلم عن سعيد بن المسيب مدّة سبع، أو ثمان سنوات فلما توفي سعيد تحول إلى عروة لأخذ العلم. ولكن لا نعلم فيما إذا كان الزهري وهو العالم بأحاديث الرسول قد نسي، أو خانته الذاكرة، أو فاتت عليه وعلى

---

(١) المزي، تهذيب. ج٤٠ ص٢٥٣.
(٢) تهذيب ج ٧ ص١٦٤ تهذيب الكمال ج ٢٠ ص١٨.
(٣) م. ن. ج ٢٠ ص١٨.
(٤) م. ن. ج ٢٠ ص١٦.

كل من روى عنه بان الروايات مجمعة ومتفقة على إن عروة قد توفي في السنة التي توفي فيها سعيد بن المسيب أي سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م. وهي السنة المعروفة بين علماء المدينة بسنة الفقهاء[(١)]؟.

ح - وهناك قول لعروة بن الزبير تردد كثيراً وهو انه كان يقّدم نصائحه وتجاربه إلى أبنائه لاسيما توجيهاته العلمية التي لا يفهم منها الا الإعلان عن غائية اهتماماته العلمية وتنسجم إلى قدر كبير مع ما تم ذكره آنفاً في تمنياته التي تمناها وهو في جمع مع مصعب وعبد الملك بن مروان في الحجر، أو الكعبة المشرفة. وهذه الرواية وردت عن طريق إبنه أبي المنذر هشام إذ قال ما نصه«كان أبي يقول إّنا كنا أصاغر قوم [وهذا بالطبع يتعارض مع ما تتمتع به عشيرته من مكانة اجتماعية ومالية كبيرة، لكن لعله كان يقصد بذلك المكانة العلمية] ثم نحن اليوم كبار وأنكم اليوم أصاغر وستكونون كباراً، فتعلموا العلم تسودوا به ويحتاجوا إليكم، فو الله ما سألني الناس، حتى نسيت [وهو كلام لا يتواءم مع الكلام السابق اللهم إلا في حالة كونه كان يفتخر بعالميته]. / ابن حجر، تهذيب جـ ٧ ص١٦٤] وأضاف ابن عساكر لهذا القول كلاماً آخر له أهميته ونصه«فتعلموا تسودوا به قومكم ويحتاجوا إليكم فوالله ما سألني الناس، حتى لقد نسيت». وأدلى ابن عساكر برواية ثالثة عن الغرض نفسه غير أنها لا تتطابق معها في المغزى وفحواها كان عروة ينصح أولاده فقال لهم«يا بني سلوني ولقد تركت، حتى كدت أنسى، واني لأسأل عن

---

(١) ابن عساكر تاريخ جـ ٤٠ ص٢٨٥، ابن حجر: تهذيب جـ٧ ص١٦٦، المزي، تهذيب جـ٢٠ ص٢٤.

الحديث فيفتح لي حديث يومي»[1]. ولابن عساكر رواية رابعة مشابهة أوردها ابن عروة الآخر عثمان إذ قال: «كان عروة يقول يا بني هلموا فتعلموا فان أزهد الناس في عالم أهله (كذا وردت) وما أشده على أمير بأن يسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله» (فالسؤال في أمر الدين فحسب وهذا القول يصحح الأقوال السابقة) أما بخصوص الجملة الأخيرة وهي: «فان أزهد الناس في عالم أهله» جملة ضعيفة وغير مترابطة وقد وردت بصيغ أخرى منها «ازهد الناس في العالم أهله». وهي أوضح قليلاً[2]. ووردت الجملة في تهذيب الكمال إن عثمان روى عن أبيه عروة قوله: «يا بني هلموا فتعلموا فان ازهد الناس في عالم أهله وما أشده على إمرئ إن يسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله»[3]. ويبدو ان هذه الاضطرّابات في سرد النص وهذا التداخل والتكرار وإقحام بعض الكلمات والآراء إنما حدثت بسبب ابنه هشام الذي انتقده مالك بأنه كان يرسل كثيراً وانه حينما غادر المدينة إلى العراق أخذ يتساهل في مروياته فضلاً عن انه بدأ في أواخر أيامه يفقد ذاكرته كذلك كان بسبب ابنه الآخر عثمان.

وربما يمكننا جمع هذه الروايات برواية واحدة مفادها واعتماداً أيضاً على هشام ابنه إذ قال: «وكان أبي يدعوني وعبد الله وعثمان وإسماعيل إخوتي وآخر قد سمَاه هشام فيقول لا تغشوني مع الناس، وإذا خلوت فسلوني. فكان يحدثنا مأخذ في الطلاق ثم الخلع ثم الحج ثم الهدي ثم كذا ثم يقول كرروا علي فكان يعجب من

---

(١) ابن عساكر تاريخ ج ٤٠ ص٢٥٧.

(٢) ابن عساكر تاريخ ج٤٠، ص ٢٥٧.

(٣) م.ن.ج ٢٠ ص١٩.

حفظي. قال هشام فوالله ما تعلمنا جزءاً من ألف جزء من أحاديثه»[1]. واحسب ان طريقة عروة في تلقين أولاده وتحفيظهم عن ظهر قلب قد تأثر بها من خالته السيدة عائشة فقد كانت تلقنه الأحاديث تلقيناً. فعروة بحسب تلك الرواية كان يعلَم أولاده ميادين فقهية بسيطة يحتاجونها في حل الأمور الشخصية وفي تعريف الناس بمبادئ الحج. وهكذا فان الرواية الآتية عن هشام توضح ان عروة كان يقول: «لبنيه عليكم بالسنن فأّنا كنا غلمان قوم ونحن كبارهم، وانتم اليوم غلمان قوم وسوف تكونون كبارهم»[2]. ولعل كل ذلك قد اختلط على هشام وعثمان مع الأقوال والنصائح الأخرى لتظهر النتيجة عبارة عن مرويات ضعيفة وغير مترابطة وغامضة المعنى والهدف. وزيادة في مثل هذه المرويات نقرأ الرواية التي جاءت عن طريق هشام أيضاً ومفادها قال هشام»ما رأيت عروة يسأل عن شيء قط(يلاحظ اضطرّاب الفكرة).، فقال فيه برأيه ان كان عنده فيه علم قال يعلمه وان لم يكن عنده فيه علم قال هذا من خالص السلطان(فماذا كان هشام، أو عروة يقصدان بهذه الكلمات غير المترابطة؟ الله اعلم).، أو لنقرأ القول الأتي وهو رواية هشام أيضاً قال: «ما سمعت أبي يقول في شيء قط برأيه قال وقال أبي ما حدَثت وقال زيد ما أخبرت أحدا بشيء من العلم قط إلا كان ذلك ضلالة»[3]. فكيف لنا فهم هذه الأقوال التي دون شك إنها ناقصة وضعيفة في السبك أأنها حقاً وردت كما قالها عروة، أو هشام؟ أأنها أقوال

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٥٩.
(٢) م.ن.جـ ٤٠ ص٢٥٥.
(٣) ابن عساكر تاريخ ج ٤٠. ص٢٥٨.

صاغها هشام بنفسه فأقحم على لسان أبيه، أو في كلام أبيه عروة ما ليس من قوله فعلاً؟ والأكثر أهمية إن المؤرخين وعلماء الرجال قد نقلوها على علاّتها واضطرّابها دون ان يحددوا المكرر منها، أو المضطرب، أو الضعيف في بنائه اللغوي والعلمي. إزاء هذا التخبط والخلط في الأقوال نجد مرويات وردت عن عروة ولكن من غير طريقها المعتاد هشام، أو عثمان أكثر وضوحاً ومتانة. فالرواية التي أوردها عثمان بن عبد الحميد بن لاحق وهو ابن عم بشر بن المفضل قوله «قال عمر بن عبد العزيز ما أحد أعلم من عروة، وما اعلمه يعلم شيئاً أجهله»[1]. فربما هذه الرواية تعدّل مفهوم جميع الروايات السابقة.

ولمحاولة إعادة بناء المعلومات المتداخلة والمتناقضة في السرد المسهب السابق للمرويات التي رواها عروة نفسه، أو عن طريق حلقة إبنه هشام، لعلنا نستطيع القول إن عروة بن الزبير لم يكن معروفاً برواية الحديث الشريف، أو مشهورابالإكثار من روايته، حتى المدة التي دخل، أو انضم إلى مدرسة الحديث التي كانت أم المؤمنين تمثل مرجعيتها الرئيسة فإلى السيدة عائشة يرجع الفضل الكبير في تطوير تعليم عروة بعملها المجهد في تلقينه وتعريفه بالأحاديث، أو بحسب قوله: «ألا وقد وعيته» يعني حديث عائشة[2]. وإليها يرجع الفضل في تيسير علم الحديث له والعلم بأحاديث السيرة النبوية المطهرة إلى ان كبر وارتفع شأنه في هذا

---

(١) م.ن.ج ٤٠ ص٢٤٩.

(٢) ينظر ابن حجر، تهذيب ج ٧ ص١٦٤.

الميدان وصار يضاهي في علمه بل ويتفوق على علم عمرة بنت عبد الرحمن التلميذة الأخرى في مدرسة أم المؤمنين الحديثية. وقد اختتم حفظه وأكمل التلقين والحفظ عن ظهر قلب قبل ثلاث حجج، أو أربع حجج، أو خمس حجج من وفاة السيدة عائشة، فهو يقول: «لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع، أو خمس حجج وأنا أقول لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته»(١). وهي إشارة صريحة وواضحة للطريقة التي اتبعتها أم المؤمنين في التعليم أنها عملية تلقين الحديث تلقيناً وتحفيظاً بحيث انه لم يكن نادماً عن وفاتها. فهل وعى عروة بالفعل نصّ الأحاديث التي لقنتها إياه خالته السيدة عائشة؟ هذا ما سوف نقف عليه لاحقاً.

على أية حال فان هذه الرواية تسلط الضوء على إمكان تصحيح ما سبق ان أوردناه حول قصة عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف بأنه رأى صحابة الرسول، وهم يتقاطرون على عروة ليسألونه، وانه رأى الأكابر من الصحابة يسألونه عن قصة ذكرها(٢). لا كما ساقته الرواية من إطلاق وتعميم في استفسار الصحابة فالحقيقة انه سؤال بشان قصة محددة ومقصودة كأن تكون غزوة، أو سرية، أو ما إلى ذلك. وواقع الحال فان المبارك بن فضالة قد قدم لنا القصة التي رواها هشام عن أبيه عروة بصيغة أخرى أحسب أنها

---

(١) م. ن. جـ٧ ص١٦٤.

(٢) م. ن. جـ ٧ ص١٦٥. والمستشرق شويلر G.Schoeler. كتب بحثاً قيماً عن عروة أشار فيه إلى احتمال نسيانه وانحيازه واعتماده الخيال والقصص ينظر. ..(Urwa b.al - Zubayr) in E.I. (2) (New edition)

رواية مهمة علينا عرضها، فيتحدث هشام عن علم أبيه وعن درايته بحديث خالته وبأنه قد وعى أحاديثها ثم يقول ما نصه على لسان عروة»ولقد كان يبلغني عن الرجل من أصحاب رسول الله، الحديث فأتيه فأجده قد قال: «يعني انه في قيلولة». فأجلس على بابه فأسأله عنه[1]. فالقصة الحقيقية اذن تتعلق بعروة نفسه. فقد كان يطلب العلم والحديث ويتابع صحابة رسول الله للاستفسار منهم عن أحاديث أراد تدوينها، أو أخرى قد نسيها وليس كما عكسته رواية عبد الرحمن بن حميد التي تذكر ان اكابر الصحابة كانوا قد تجمعوا حول عروة طلبا لرواية حديث، أو قصة.

(١) المزي، تهذيب ج ٢٠ ص١٧.

المبحث الثاني:

عروة بن الزبير في ميزان الجرح والتعديل

سطع نجم عروة كثيراً جداً إلى حد انه فاق فيه أخاه عبد الله الذي كان يكبره بعشرين سنة شهرة، وفي الوقت نفسه فانه كان أكثر شهرة وعالمية من والده الصحأبي الزبير بن العوام سواء كان ذلك في رواية الحديث النبوي الشريف أم في علم الحديث عامة. واعتماداً على رواية عامر بن عبد الله بن الزبير الذي نقل رواية أبيه عبد الله قال: «قلت للزبير، مالك ما تحدَث عن النبي، كما يحَدث أصحابك؟ قال: سمعت رسول الله يقول: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1]. وفي رواية أخرى لعامر بن عبد الله نفسه أنه سأل والده يعني عبدالله (ما يمنعك ان تحدث عن رسول الله، كما يحدَث عنه أصحابه؟ فقال: أما والله لقد كان لي منه وجه (يقصد عبد الله من رسول الله) ومنزلة، ولكني سمعته يقول: «من كذّب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[2]. وفي رواية ثالثة مصدرها راوية آخر هو عبد الله بن لهيعة بن الأسود عن عروة بن الزبير قيل ان الذي سُئل هو الزبير لا عبد الله إذ سئل»مالك لا تحدَث عن النبي كما يحدَث عنه

---

(١) محمد بن جرير الطبري، الشيعي المسترشد ص١٧٦.

(٢) م. ن. ص١٧٦.

الصحابة وأنت من المهاجرين الأولين؟ فقال: إن رسول الله كان بشراً وكان يحدث بالأمر يأتيه، ويحدَثه الرجل من أصحابه فيعجبه فيحدَث به ويأتيه الرجل من أهل الكتاب فيحدَثه بالحديث فيعجبه ويحدَث به فانطلقتم فحملتم الحديث كله عن رسول الله. ولو وضعتموه كما وضعه كان خيراً»[1] وهو قول ان صح نقله يعرض امرا خطيراً في موثوقية نقل الحديث الشريف، وان تعبير (فيعجبه) الذي تكرر في قول الزبير وهو من الصحابة الأولين هو الآخر تعبير يثير تساؤلات بشأن معناه الحقيقي، أو بشأن إبعاده لاسيما إذا ما أدخلنا مسألة (الرجل من أهل الكتاب)، علما أنه علينا إن لا نبالغ في الأمر، فقول الزبير بن العوام لا يخرج عن القول (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

ومهما يكن فان تخوف الزبير من رواية الحديث، أو تخوف إبنه عبد الله له مسوغاته لأنه؛ بحسب قوله، سمع الرسول، يتحدث بما يفهم معارضته، أو مما نعته، أو حتى عدم تشجيعه رواية الحديث. لان هناك مجالاً رحباً للكذب، أو التزوير وهو ما حدث فعلاً. وواقعياً فانه، لم ينه عن رواية الحديث رواية شريفة صادقة وبعيدة عن الكذب والتزوير فالحديث ينص على «من كذب عليَّ. . .» ولعل السبب الأساس في عدم شهرة الزبير، أو إبنه عبد الله يتعلق كثيراً بميدان اهتمامات الأب والابن، فكلاهما أولى أهمية غير قليلة إلى الجوانب الاقتصادية والسياسية شأنهما في ذلك شأن صحابة آخرين مقربين من الرسول الكريم لكنهم لم يعرفوا، أو يشتهروا برواية

---

(١) محمد بن جرير الطبري، الشيعي المسترشد، ص١٧٤ - ١٧٥.

الحديث، أو بعلم الحديث. ومن المحتمل ان يكون توجه عروة كذلك لولا توليَ أم المؤمنين له ودفعه وحثّه على تعلم الرواية الحديثيّة وتحفيظها وتلقينها إياه. وعروة لا بد من انه قد سمع وروى وحفظ قول أبيه الزبير، أو قول أخيه عبد الله وما روته امه أسماء[1] فكان عليه وهو أحد التابعين الكبار في المدينة وكان يجلّه ويمتدحه علماء الرجال ان يقع تحت تأثير مواقف والده وأرائه وهو كما قلنا من الصحابة.

وبحسب اتفاق روايات علماء الرجال كان عروة من أكثر التابعين رواية للحديث الشريف موازنة مثلاً بمعاصره سعيد بن المسيب[2] فطبقاً إلى رواية محمد بن سعد الذي وضع عروة في الطبقة الثانية من تابعَيّ أهل المدينة كان عروة ثقة كثير الحديث[3] والمناسب قوله ان عملية الإكثار في رواية الحديث الشريف لها جانبان الأول، لأن عروة من التابعين الكبار وممن نهل علم رواية الحديث من أم المؤمنين خالته (وهو يسميها أحياناً أمه). فالإكثار من الحديث يدل دلالة مباشرة على علو كعبه خاصة وان السيدة أم المؤمنين قد وصفها علماء الرجال بأنها اعلم الناس بالحديث وان الأكابر من أصحاب الرسول كانوا معتادين على ان يسألوها حول هذا الحديث، أو ذاك[4] (يلاحظ في هذا الصدد بان القصة التي

---

(١) ينظر ابن عساكر تاريخ جـ ٤٠ ص ٢٤٢ المزي تهذيب جـ ٢٠ ص٢٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات جـ ٥ ص ١٧٩، ابن عساكر: تاريخ جـ ٤٠ ص ٢٥٣.

(٣) الطبقات جـ ٥ ص١٧٩ ابن حجر العسقلاني، تهذيب جـ ٧ ص١٦٤، ابن عساكر: تاريخ جـ ٤٠ ص٢٤٥، المزي تهذيب جـ ٢٠ ص١٣.

(٤) المزي، تهذيب جـ ٢٠ ص١٦.

سبق ان وقفنا عليها بشأن تجمع أكابر الصحابة في المسجد يسألون عروة بن الزبير عن الحديث الشريف بحسب منطوق رواية عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف لعلها اختلطت بهذه الرواية. فالشخص المشار إليه بان أكابر الصحابة كانوا ينشدون الاستفسار منه هو السيدة عائشة لا عروة بن الزبير). ونقلت المرويات ان عروة كان أعلم (وليس من أعلم) الناس بحديث عائشة حصراً، ولهذا استحق لقب العالمية أيضاً. وهوعند السمعاني من حفَاظ أهل المدينة، فضلاً عن كونه من فقهائها[1].

علماً بان هناك مرويات قليلة تشير إلى روايته أحاديث عن عائشة لكنها في حقيقتها ليست لها انما كانت من رواية عروة نفسه، وهذا المنهج لا يمكن فهمه على انه ارسال انما انتحال، أو تدليس. فيستشهد المزَي بحديث عن النبي، بانه كان يقبل الهدية، نقله عروة عن عائشة. كذلك الحديث الوارد عند نزول آية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[2] الذي رواه عروة أيضاً عن عائشة فيقول المزي انهما ليسا عن عائشة انما هما عن هشام بن عروة عن أبيه فقط[3].

فالإكثار من رواية الحديث لعلنا نخرجها بكونه من كبار التابعين، غير انه من الجانب الآخر يعدَ الإكثار عند العلماء صفة سلبية فالإكثار من شيء حالة فيها مبالغة وغلَو ولعله يثير شكوكاً بما

---

(١) أبو سعد عبد الكريم, الأنساب (تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، طبعة أولى، بيروت، دار الجنان ١٤٠٨هـ ج ١ ص١٤٠).

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) تهذيب ج ٢٠ ص٢٣.

له علاقة بحالة وضع الحديث الفلاني، أو ان الحديث الفلاني لم ترو حلقته المباشرة نقلاً سليماً، أو يحتمل ان يكون راوية هذا الحديث منقطع، أو ان بينه وبين راوية، أو حلقة أخرى في الرواية قفزة، أو غير ذلك من الأسباب التي تدعو إلى الوقوف مليّاً في مسألة تفحص صحة هذا الحديث، أو ذاك. وواقعياً فان اللوم في حالة إكثار عروة من الحديث الشريف قد لا ينسب إليه مباشرة إنما إلى إبنه هشام الذي وصف بكونه مكثر ومتساهل في رواية حديث والده بعد انتقاله إلى العراق على وجه الخصوص، يذكر ابن حجر العسقلاني عن المدلسين بان هشام بن عروة تابعي صغير «فان الحكاية المشهورة عنه انه قدم العراق ثلاث مرات ففي الأولى حدَث عن أبيه فصرَح بسماعه وفي الثانية حدَث بالكثير فلم يصرح بالقصة وهي تقتضي انه حدَث عنه بما لم يسمعه فيه وهذا هو التدليس»[1].

هذا الموقف السلبي من الاكثار موجود، حتى في زماننا إذ اعتدنا ان نصف الباحث الفلاني بانه مقل والآخر انه مكثر، وكلاهما صفتان ينتقد عليهما. وقد أورد الذهبي في التذكرة ان الخليفة عمر بن الخطاب أمر بحبس ثلاثة من الصحابة المعروفين وهم: - عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو مسعود الأنصاري قائلاً لهم انكم: «اكثرتم الحديث عن رسول الله»[2]. ولتوضيح موقف الخليفة أكثر من حالة الاكثار في رواية الحديث نضرب مثالاً عن أبي هريرة

---

(١) ينظر تعريف أهل التقديس بمراتب الموصفين بالتدليس، تحقيق عاصم بن عبد الله القربوني طبعة أولى، عمان، الأردن، ص٢٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧ الحر العاملي، تفصيل رسائل الشيعة، طبعة ثانية تحقيق مؤسسة آل البيت، رقم ١٤١٤، ج ١ ص١١.

الدوسي الذي نال شرف صحبة الرسول، فامتدت صحبته سنة واحدة وتسعة شهور وفي رواية أخرى انه صحب الرسول مدة ثلاث سنين، وفي مقابل هذه المدة القصيرة لصحبته عدّ من أكثر الصحابة حديثاً عن الرسول فذكر ابن حزم عن مسند بقي من مخلد احتواءه على (٥٣٧٤) حديثاً من أحاديث أبي هريرة وقد أخذ البخاري منها (٤٤٦) حديثاً فقط واهمل الباقي. ولا غرابة في هذه الحال ان يتحدث أبو هريرة نفسه قائلاً بانه من أكثر الصحابة رواية للحديث، كما انه ليس هناك من يضاهيه بكثرة الحديث سوى عبد الله بن عمرو وعلَق نفسه على ذلك بقوله ان عبد الله كان يكتب الحديث بينما هو لم يكتبه. وقد ذهب عدد من الصحابة هذا المذهب في انتقاد أبي هريرة بالنسبة إلى كثرة أحاديثه، فكان الإمام علي مشككا في أبي هريرة، إذ جاء في شرح نهج البلاغة قوله: «لا أحد اكذب من هذا الدوسي على رسول الله»[١]. وتحدث ابن كثير عن موقف الخليفة عمر وتنبهه إلى مسألة خطورة أبي هريرة في الإكثار من الحديث إذ استدعاه وزجره ونهاه عن الحديث مهدداً اياه بالنفي إلى أرض دوس[٢] وللخليفة تسويغه في الوقوف ضد الإكثار من الحديث، إذ يذكر ابن كثير رواية عن أبي زرعة ان»هذا محمول من عمر على انه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها.... وإن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط، أو الخطأ فيحملها الناس عنه، أو نحو ذلك»[٣]. فقد قال الخليفة

---

(١) مجلد ١ ص٣٦٠.

(٢) البداية والنهاية جـ ٨ ص١٠٦ الذهبي سير أعلام النبلاء ج ٢ ص٤٣٣.

(٣) البداية م.ن.

لأبي هريرة: «لتتركن الحديث عن رسول الله، ولألحقنك بارض دوس»، (وقيل بأرض القردة)[1]. مع ان الخليفة تراجع عن قراره هذا.

كذلك كانت السيدة عائشة أشد الصحابة انكاراً على أبي هريرة وكانت تتساءل متعجبة عن كيفية سماع أبي هريرة وحده هذا الحديث، أو ذاك، وتستفسر ان كان هناك صحأبي، أو راوية اخر قد سمع هذا الحديث معه؟

فوقفت موقفاً مخالفاً من حديث أبي هريرة عن المشي في خفين، وعندما سمعت بالحديث مشت بخف واحدة خلافاً لحديث أبي هريرة معقبة «لأخالفن أبا هريرة». وموقف السيدة أم المؤمنين هذا يشكل خطورة إذا عممناه على أحاديث أخرى فقيل ان أبا هريرة روى بان الكلب والمرأة والحمار تقطع الصلاة فكذَبته عائشة وهي تروي حديثاً مخالفاً لحديث أبي هريرة إذ روت حديثاً (ربما رأيت رسول الله، يصلي وسط السرير وانا على السرير معترضة بينه وبين القبلة) فورد الحديث عن هشام عن عروة عن عائشة في مسندها قولها (كان رسول الله، يصلي صلاته في الليل وانا معترضة بينه وبين القبلة وانا مضطجعة على فراشه الذي يرقد عليه هو وأهله)[2]. فان كان هذا الحديث قد روته أم المؤمنين لعروة بهدف مخالفة حديث أبي هريرة فان خطورته بالنسبة الينا اليوم إذ لا يحبذ مرور المرأة والحيوان كالكلب امام قبلة المصلي، وقد تطرف البعض في الصلاة

---

(١) م.ن. جـ ٨ ص١١٤ - ١١٥.

(٢) عبد الله بن سليمان بن الاشعث السجستاني ٣١٦هـ: مسند عائشة، تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين، طبعة أولى ١٤٠٥، الكويت ص ٦٢.

إلى حد انه يؤدي إلى نقض صلاة ذلك الوقت[١]. فضلاً عن ذلك نقلاً عن الإمام علي انه بلغه حديث أبي هريرة عن بدء رسول الله وضوءه بميامنه وانه لبس اللباس بميامنه أيضاً فاتخذ الإمام موقفاً إلى الضد منه فتوضأ بمياسره قائلاً: «لأخالفنّ أبا هريرة». وضرب لنا ابن قتيبة مثالاً اخر عن مدى إنكار أم المؤمنين على أبي هريرة انها سألته مرة: «انك لتحدَث حديثاً ما سمعته من النبي، أجابها، بجواب لا ادب ولا وقار، فقال لها شغلك عنه، المرآة والمكحلة». وفي ثانية: «ماكانت تشغلني عنه المكحلة والخضاب»[٢]. وفي رواية الذهبي ردَ أبو هريرة على سؤال أم المؤمنين - «ما كانت تشغلني عنه المرآة ولا المكحلة ولا المدهن»[٣].

ومهما يكن فان الموضوع الذي سقناه تواً لا علاقة له مباشرة برواية عروة بن الزبير على الرغم من نقله لهذه الأحاديث عن عائشة إذ عابت على أبي هريرة الإكثار من رواية الحديث وبالأخص الأحاديث التي وقفت مخالفة لها فيما يتعلق بتقاليد الرسول، وأعماله اليومية الخاصة. ولعلنا عند قراءة عدد من الأحاديث التي من المحتمل انها تقع ضمن هذا الإطار حديثها الذي رواه عروة عن السيدة تقبيل الرسول زوجاته أثناء الصيام، فالرواية جاءت عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «كان النبي، يقبل بعض نسائه وهو صائم وتبسمت»[٤]. وحديث الطعام والصلاة (إذا وضع العشاء

---

(١) ينظر تأويل مختلف الحديث ص٤١.
(٢) تأويل مختلف الحديث ص٤١.
(٣) سير أعلام جـ٢ ص٤٣٣.
(٤) مسند عائشة ص٥٨.

واقيمت الصلاة فأبدؤا بالعشاء)[1]. والحديث السابق عن اعتراضها الصلاة والرسول يصلي. والحديث عن عروة عن عائشة قالت (كان النبي، يجاورني في المسجد فيخرج إليّ رأسه فاغسله وأنا حائض)[2]. وحديث عن عائشة قالت (سمع رسول الله، رجلاً في المسجد يقرأ ليلاً فقال ﷺ: - يقصد الرجل - لقد ذكَرني كذا وكذا من آية كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا)[3].

(أما ما يتعلق الأمر بمكونات أسانيد عروة بن الزبير من الرواة ومكانتهم العلمية، أو بشكل أدق عمن روى عروة عنه، أو ممن سمع منه، أو رآه من الخلفاء والصحابة والتابعين. كذلك مكانة وأهمية من نقل روايات عروة، أو من روى عنه الرواية من أبنائه ومواليه، أو موالي والده الزبير، أو أخيه عبد الله ومن أقاربه ومعارفه ومن المعاصرين له، أو من الذين جاءوا بعده، فقد قدَم عن علماء الطبقات والرجال كل ذلك في قوائم مفصلة، وفي البداية نأتي على قول السمعاني بخصوص حديث (قبض العلم)، رواه عن عروة بحسب قول السمعاني ستون من مشايخ أهل العلم في المدينة وغيرها[4].

فاعتماداً على محمد بن سعد نقلاً عن شيخه الواقدي ان عروة روى عن أبيه وعن زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وعبد الله بن الارقم وأبي ايوب والنعمان بن بشير وأبي هريرة ومعاوية وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير والمسور بن

---

(١) م. ن. ص٤٩.
(٢) ص٤٩.
(٣) م. ن. ص٨١.
(٤) الأنساب ج ١ ص١٤٠.

مخرمة وعائشة ومروان بن الحكم وزينب بنت أبي سلمة وعبد الرحمن بن عبد القارئ وبشير بن أبي مسعود الأنصاري وزبيد بن الصلت ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب وجهمان مولى الأسلميين(١). ولم يقدَم ابن سعد أسماء الرواة عنه كذلك لم يذكر أسماء بعض الصحابة ضمن قائمة من روى عنهم عروة. فقائمته مجرد ذكر أسماء فحسب.

وقد تطابقت رواية ابن عساكر المفصلة مع رواية ابن سعد والواقدي بالنسبة إلى أكثر من سمعه عروة، أو روى عنه وكذلك الرواة الذين رووا رواية عروة. ففي الحقل الأول رواة عروة قال انه روى عن أبيه الزبير وأخيه عبد الله وأمه أسماء وخالته عائشة وابن عمرو وابن عباس وأبي هريرة وزيد بن ثابت والمغيرة بن شعبة وأسامة بن زيد وأبي أيوب الأنصاري وأبي حميد الساعدي وعبد الله بن الأرقم وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان والمسَور بن مخرمة وعمر بن أبي سلمة وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن زمعة وحكيم بن حزام وقيس بن سعد بن عبادة وعثمان بن طلحة ومروان بن الحكم والحسين بن علي وبشير بن أبي مسعود وعبد الرحمن بن عبد القارئ ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب وزبيد بن الصلت وأم هانئ بنت أبي طالب وزينب بنت أبي سلمة(٢). وقائمة ابن عساكر تتقابل مع أكثر الأسماء الموجودة عند ابن سعد لكنها تحتوي على أسماء أخرى جديدة.

---

(١) الطبقات ج ٥ ص١٧٨ - ١٧٩.

(٢) تاريخ دمشق ج ٤٠ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

أما بالنسبة إلى من روى عن عروة فهم بحسب ابن عساكر بنوه يحيى وعثمان وهشام ومحمد والزهري وصفوان بن سليم وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعلي بن زيد بن جدعان وسليمان بن يسار ويزيد بن خصيفة وغيرهم[1].

وبعد ذلك يعود ابن عساكر فيعتمد رواية ابن سعد عن الواقدي في نقل أسماء من روى عروة عنهم وهي فعلاً متطابقة تماماً مع قائمة ابن سعد. وابن عساكر اعتمد أيضاً على قائمة محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه الكبير فوردت القائمة على هذه الشاكلة سمع عروة أباه (يلاحظ سابقاً انه روى عن أبيه) وعائشة وعبد الله بن عمر[2] ثم انه ينقل رواية أبا محمد بن أبي حاتم الرازي في كتابه الجرح والتعديل التي تذهب إلى ان عروة«رأى أباه ورأى حكيم بن حزام (في المرات السابقة اما انه روى عنهما، أو سمعهما). وسمع من أبي حميد الساعدي وابن عباس وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة وعائشة (في القوائم السابقة روى عنهم ولم يسمعهم)، ولكن الغريب في هذه القائمة انه سمع عائشة ولم يدخلها الرازي ضمن أسماء من رآهم عروة. وأم المؤمنين هي التي كانت تعلمه الحديث وتراه كثيراً)[3].

واعتمد ابن عساكر على رواية أخرى أوردت أسماء من سمعهم، أو روى عنهم عروة وتذهب إلى انه»سمع أباه الزبير وأخاه عبد الله وأمه أسماء وخالته عائشة بنتي أبي بكر الصديق وابن عمر

---

(١) م. ن. ص٢٣٨.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير جـ ٧ ص ٣١، ابن عساكر: تاريخ جـ ٤٠ ص٢٤١.

(٣) ينظر الجرح والتعديل جـ ٦ ص٣٩٥، ابن عساكر: تاريخ جـ ٤٠ ص٢٤١.

وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن زمعة وأبا حميد وأبا هريرة وابن عباس وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن أبي سلمة وأمه أم سلمة». وهذه القائمة تتفق بشكل عام مع أول قائمة ذكرها ابن عساكر وسقط منها، أي من هذه القائمة، أسماء منها أسامة بن زيد والمسور والمغيرة وآخرون.

واكتفى البخاري في تسمية من روى عن عروة بقوله: «روى عنه الزهري وإبنه هشام (ولم يذكر بنيه) وروى أبو سلمة عبد الرحمن عن عمر بن عبد العزيز[1]. اما رواية الرازي وعند ابن عساكر أيضاً فانهما قالا ان الزهري ويزيد بن رومان وهشام وعثمان ويحيى ومحمد وعبد الله أبناء عروة هم رواة روايات عروة[2]. وفي رواية أبي نصر أحمد بن محمد فان الذين رووا عنه هم»بنوه هشام وعثمان ويحيى وعبد الله وابن إبنه عمر بن عبد الله والزهري وصالح بن كيسان وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعطاء بن أبي ربَاح وأبو الأسود محمد وعراك بن مالك وأبو بكر بن حفص»[3].

وفي رواية مسلم ابن الحجاج فان رواة عروة هم إبنه والزهري[4]. وفي رواية أبي أحمد الحاكم فان رواته هم: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عمر بن عبد العزيز والزهري وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وإبنه هشام بن عروة[5]. وفي رواية

(١) ابن عساكر: تاريخ جـ ٤٠ ص٢٤١.
(٢) الجرح والتعديل جـ ٦ ص٣٩٥، ابن عساكر: تاريخ جـ ٤٠ ص٢٤١.
(٣) ابن عساكر جـ ٤٠ ص٢٤٢.
(٤) ن.م. جـ ٤٠ ص٢٤٣.
(٥) ابن عساكر جـ ٤٠، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

ابن حجر العسقلاني نقاط مهمة لم تقف عليها القوائم السابقة فهو أيضاً يشير إلى إن عروة روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء وخالته عائشة (وهي قائمة توافق بعض الروايات التي اوردناها) لكنه يضيف إلى ذلك انه روى عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأسامة بن زيد وأبي هريرة وحجاج الأسلمي وسفيان بن عبد الله الثقفي وعمرو بن العاص ومحمد بن سلمة والمسور بن مخرمة والمغيرة بن شعبة وناجية الأسلمي وأبي حميد الساعدي وهشام بن حكيم بن حزام وأبي هريرة (مكرر) ونيار بن مكرم وبسرة بنت صفوان وزينب بنت أبي سلمة وعمر بن أبي سلمة وأمهما أم سلمة وأم هانئ بنت أبي طالب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وجابر بن عبد الله الأنصاري وحمران مولى عثمان وعبد الله بن زمعة بن الأسود وعبد الرحمن بن عبد القاري ونافع بن جبير بن مطعم وأبي مرواح الغفاري وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وهو من اقرانه وخلق كثير. فنلحظ ان هناك أسماءاً جديدة لم تذكر في القوائم السابقة رجالاً ونساء، كما نلحظ ان ابن حجر يستخدم لأول مرة تعبير وهو من اقرانه الذي سيتكرر ذكره في روايته.

أما بخصوص من روى عن عروة عند ابن حجر فهم: - أولاده عبد الله وعثمان وهشام ومحمد ويحيى وابن إبنه عمر بن عبد الله وابن أخيه محمد بن جعفر بن الزبير وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يتيم عروة وحبيب مولاه وسليمان بن يسار وأبو سلمة بن عبد الرحمن (وقد ذكر في أعلاه بان عروة روى عنه لا العكس) وأبو بردة بن أبي موسى وعبيد الله وعبد الله بن عتبة وهم من أقرانه وتميم بن سلمة السلمي وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن

بن عوف وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان وصالح بن كيسان والزهري وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم وأبو الزناد وابن أبي مليكة وعبد الله بن نيار بن مكرم الأسلمي وعبد الله بن البهي وعراك بن مالك وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومحمد بن إبراهيم التيمي ومحمد بن المنكدر ومسافع بن شيبة وهلال الوزان ويزيد بن رومان ويزيد بن عبد الله بن حصيفة وأبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي وصفوان بن سليم ويحيى بن أبي كثير وقيل لم يسمع منه واخرون. وهي كذلك قائمة مفصلة تحتوي على كثير من الأسماء الجديدة لكن اهم ما فيها تعقيب ابن حجر على يحيى بن أبي كثير انه لم يسمعه منه كما قيل[1].

وأخيراً علينا الوقوف على قائمة أسماء المزيَ لانها القائمة المفصلة التي تنبه القارئ إلى أمور أساس في نقد رواية عروة فيقول روى عن اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي وبشير بن سعد والد النعمان بن بشير معقبا ان كان محفوظاً وبشير بن أبي مسعود الأنصاري وجابر بن عبد الله وجمهان مولى الأسلميين وحجاج بن حجاج الأسلمي والحسن والحسين ابني علي وحكيم بن حزام وحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان وحمزة بن عمرو الأسلمي. ويعقب المزي (والمحفوظ ان بينهما أبا مراوح). وعن أبي ايوب خالد بن زيد الأنصاري وأبيه الزبير وزيد بن ثابت وزبيد بن الصلت وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسفيان بن عبد الله الثقفي وسهل بن أبي حثمة

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص١٦٣ - ١٦٤.

وعاصم بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الارقم ويعقب المزي (وقيل بينهما رجل) وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأخيه عبد الله بن الزبير وعبد الله بن زمعة بن الأسود وعبد الرحمن بن عبد القارئ وعبد الله بن عدي بن الخيار وعثمان بن طلحة الحجبي وعلي بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة وعمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ومعاوية والمغيرة بن شعبة وناجية الأسلمي ونافع بن جبير بن مطعم والنعمان بن بشير ونيار بن مكرم الأسلمي وهشام بن حكيم بن حزام ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب وأبي حميد الساعدي وأبي سعيد الخدري ويعقب المزي (على شك فيه) وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ويعقب قائلاً (وهو من أقرانه). وأبي مراوح الغفاري وأبي هريرة وأمه أسماء وأسماء بنت عميس وبسرة بنت صفوان وزينب بنت أبي سلمة وضباعه بنت الزبير وخالته عائشة وعمرة بنت عبد الرحمن وفاطمة بنت أبي حبيش وفاطمة بنت قيس وام حبيبة بنت أبي سفيان وام سلمة وأم شريك وام هانئ بنت أبي طالب.

اما من روى عنه بحسب المزي فهم: - بكر بن سواده الجذامي وتميم بن سلمة السلمي وجعفر بن محمد بن علي بن الحسين وجعفر بن مصعب وحبيب بن أبي ثابت (ويعقب على هذا قائلاً: وقيل لم يسمع منه) وحبيب مولى عروة وخالد بن أبي عمران وداود بن مدرك والزبرقان بن عمرو الضمري وزميل بن عباس مولى عروة وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان وسليمان بن عبد الله بن عويمر الأسلمي وسليمان بن يسار (ويعقب المزي: وهو من أقرانه). وشيبة الخضري وصالح بن

حسَان الأنصاري وصالح بن كيسان وصفوان بن سليم وعاصم بن عمر بن عفان وعبد الله بن إنسان الطائفي وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان وعبد الله بن أبي سلمة الماجشون وعبد الله وعبيد بن أبي مليكة وإبنه عبد الله وعبد الله بن نيار بن مكرم الأسلمي وعبد الله البهي وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف وعبيد الله بن عتبة بن مسعود (ويعقب عليه انه من اقرانه) وإبنه عثمان وعثمان بن الوليد مولى الاخنسيين وعراك بن مالك وعطاء بن أبي رباح وابن إبنه عمر بن عبد الله بن عروة وعمر بن عبد العزيز وعمر بن دينار وعمران بن أبي أنس ومجاهد بن وردان ومحمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي وابن أخيه محمد بن جعفر بن الزبير وأبو الاسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يتيم عروة وإبنه محمد بن عروة ومحمد بن مسلم الزهري ومحمد بن المنكدر ومخلد بن خفاف الغفاري ومسافع بن شيبة الحجبي ومسلم بن قرط ومعاوية بن إسحاق بن طلحة والمنذر بن المغيرة وموسى بن عقبة وإبنه هشام وهلال بن أبي حميد الوزان والوليد بن أبي الوليد ووهب بن كيسان وإبنه يحيى ويحيى بن أبي كثير (ويعقب المزي وقيل لم يسمع منه) ويزيد بن رومان ويزيد بن عبد الله بن خصيفة ويزيد بن عبد الله بن قسيط ويزيد بن أبي يزيد المصري وأبو بردة بن أبي موسى الاشعري (ويعقب المزي وهو من أقرانه) وروى بان عمر بن عبد العزيز روى عنه[1].

---

(١) تهذيب الكمال ج ٢٠ ص١١ - ١٥.

وموقف ابن أبي حاتم الرازي في المراسيل موقف خاص من عروة فهو يذكر انه سمع والده يقول ان رواية عروة عن أبي بكر مرسلة (وهذا الموقف صحيح لان ولادة عروة بحسب الروايات في سنة ٢٣ هـ أيام خلافة عمر فكيف يكون عروة قد روى عن أبي بكر؟) ويستمر الرازي قائلاً وروايته عن علي مرسلة أيضاً (والواقع ان عروة يصرح بعدم موافقة أخيه وأبيه والمشاركين في الجمل من جانب أم المؤمنين على مشاركته في الحرب إلى جانبهم لان عمره كان صغيراً حوالي ثلاث عشرة سنة فكيف يروي عن الإمام علي). ويذكر الرازي ان رواية عروة عن بشير بن النعمان مرسلة أيضاً[(١)]. وموقف الدوري هو الآخر موقف ناقد فيقول سئل يحيى بن القطّان هل سمع عروة من أبيه شيئاً فأجاب ان عروة كان يقول كنت صغيراً فربما استمسكت من شعر أبي (وقد قال بالفعل عروة، اذن كيف سمعه، فضلاً عن انه كان يوم الجمل صغيراً رده والده لصغره)[(٢)].

وكما بينا سابقاً ان موقف الرازي، أو بالأحرى والده وهو يتقصى صدقية سماع، أو رؤية عروة لعدد من الصحابة عن أبي زرعة بقوله ان روايته عن أبي بكر مرسلة وعن عمر بن الخطاب مرسلة (وحقيقية الأمر انه ولد في أواخر أيام الخليفة) وروايته عن سعد بن أبي وقاص مرسلة أيضاً. ولم يكتف والده بذلك بل تحرى عن موضوعه لقاء عروة لعويم بن ساعدة فقال له انه لم يلقه[(٣)]. اما الدارقطني في علله فيقول ان عروة لم يسمع من زيد بن ثابت أي

---

(١) ينظر المراسيل ص١٤٩.

(٢) ينظر تاريخ الدوري ج ٢ ص٤٠٠.

(٣) المراسيل ص ١٤٩.

حديث عدا ربما قرأ في الركعتين في المغرب بالأعراف[1]. ونقل ابن حجر العسقلاني في كتابه التهذيب قول الدارقطني في مسألة صحة سماع عروة من أبيه الزبير فاجاب بانه لا يصح سماعه انما الاصح انه حفظ عن أبيه فمن دونهما من الصحابة.

كذلك اعتمد ابن حجر على قول مسلم بن الحجاج الذي وضَح علاقة عروة بالخليفة الثالث فقال انه حج معه وحفظ عن أبيه (والواقع ان هناك ملاحظة اعتراضية على الحجة التي قدمها مسلم بانه حج مع عثمان فاعتماداً على قول عروة بانه كان غلاماً شهد حصار الخليفة وشهد كيف ضرب عبد الله بن الزبير أحد المحاصرين فارداه قتيلاً على البلاط يقول عروة: «قلت لصبيان معي قتله اخي فوثب علي الذين حصروا عثمان فكشفوني فلم يجدوني ابنت فخلَوني»[2]. فضلاً عن قوله نفسه انه في معركة قد ردّ وأبو بكر بن عبد الرحمن لان أصحاب الجمل «استصغرونا». وقيل كان عمره ثلاث عشرة سنة فكيف نصدق قول مسلم في انه حجَ مع عثمان. واعتقد انه خلط بينه وبين أخيه عبد الله بن الزبير[3]. كما ليس من السهولة توثيق قول مسلم بانه حفظ عن أبيه لصغره حينما قتل الزبير في معركة الجمل، كيف يحفظ وهو صبي عن والده الذي هو في الأصل لم يهتم برواية الحديث كما اسلفنا ذكره. ومهما يكن فقد اعتمد ابن حجر على ما اورده ابن حزم في كتاب (الحدود) بانه

---

(١) نقلاً عن هامش تهذيب الكمال ج ٢٠ ص٢٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ ج ٤٠ ص٢٤٦.

(٣) م. ن. ص٢٤٧.

ادرك من الانصار عمر بن الخطاب واعتمر معه. وعقَب على هذا القول: «بانه خطأ منه». ولا نعرف فيما إذا كان هذا خطأ من عروة نفسه أم من ابن حزم. والمعروف ان عروة قد ولد زمن الخليفة وفي سنة ٢٣ هجرية ٦٤١م وبذلك ليس هناك أي مجال في الحديث عن الموضوع أكثر من هذا[1].

ومن بين علماء الشيعة الذين اولوا عناية بهذا الموضوع العلاَمة المجلسي إذ وصفه من التابعين وممن روى عن أبيه وامه وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة، وان إبنه هشام والزهري وغيرهما ممن روى عنه[2].

* * *

وخلاصة القول فان هذه الانتقادات والاعتراضات التي أولى العلماء اهتماماً بإبرازها مهمة جداً سواء كانت في ما ورد من تعبير (سمع من)، أو (روى عن) أم في حقيقة الحدث واختلاطه بإحداث أخرى لا علاقة لها بعروة بن الزبير فانه:-

١ - لم يسمع الخلفاء أبا بكر وعمر وعلي وهو مرسل فيها.

٢ - كذلك لم يسمع، أو يروي عن سعد بن أبي وقاص وبشير بن النعمان.

٣ - ومن المشكوك فيه انه روى عن أبي سعيد الخدري.

٤ - ولا يصح القول انه حج مع الخليفة الثالث.

---

(١) ينظر عن هذه النقدات المهمة ابن حجر: التهذيب جـ ٧ ص١٦٦.
(٢) بحار الأنوار جزء ٨٤ ص١٩٥.

٥ - ومن المبالغة القول انه حفظ عن أبيه فمن دونهما من الصحابة.

٦ - وانه لم يسمع من عبد الله بن عمر شيئاً.

٧ - وان عروة لم يلق عويم بن ساعدة

٨ - وانه لم يسمع من زيد بن ثابت حديثاً.

٩ - وانه حينما كان غلاماً يتعلق بشعر كتف والده الزبير. وهي حال ينبغي وضعها إلى جانب انه حفظ من أبيه.

المبحث الثالث:

عروة بن الزبير

تأثير ولائه السياسي، ومواقفه من تدوين رواية السيرة النبوية

تصورأوصاف علماء التراجم عروة بأنه رجل صالح ولم يتدخل في الاحداث والمتغيرات السياسية ولا في الأهواء والفتن، وانه لم يؤدِ دوراً فيها. وهذا التصور قد عبّروا عنه بقولهم «لم يدخل في شيء من الفتن»[1]. والوصف ينطبق بالفعل على عروة إذا ما وازنّا دوره بالدور الفاعل والمتحرك لأخيه عبد الله بن الزبير. غير انها أوصاف، من الناحية الأخرى، تتناقض وبعض الحقائق التاريخية التي وقف عليها المؤرخون انفسهم. فقد روى ابن عساكر مثلاً رواية يرجع سندها إلى محمد بن الضحّاك قال: «قال عروة بن الزبير: وقفت وانا غلام انظر إلى الذين حصروا عثمان بن عفان وقد مشى احدهم على الخشبتين اللتين غرزتا ليدخل منهما إلى عثمان فلقيه عليهما أخي عبد الله بن الزبير فضربه ضربة طاح قتيلاً على البلاط فقلت لصبيان معي قتله اخي فوثب عليّ الذين حصروا عثمان

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق ج ٤٠ ص ٢٧٧، ابن حجر العسقلاني: تهذيب ج٧ ص ١٦٤.

فكشفوني فلم يجدوني أنبت فخلوني»[١] . فهذه الرواية تعكس اهتمام عروة بهذا الحدث السياسي - الفتنة - وانه ربما قام بعمل ما ضد الثوّار فامسكوه وكشفوا عن عورته للتأكد من بلوغ عمره أم لا ، ولو كان عمره أكبر بقليل لأخذ دوراً إلى جانب أخيه في هذه الفتنة.
واعتماداً على ابن عساكر أيضاً وغيره جاءت رواية أخرى عن موسى بن عقبة قال سمعت علقمة بن وقّاص الليثي يقول: «لما خرج طلحة والزبير وعائشة لطلب دم عثمان عرضوا من معهم بذات عرق [اسم موضع] فاستصغروا عروة بن الزبير فردّوه وقالوا له ارجع إلى أمك»[٢] . والرواية تشير بما لاشك فيه إلى عزم عروة على الإسهام في هذه الفتنة أيضا ، فتوضح هذه الرواية بسندها هشام بن عروة عن أبيه قوله: «عرض الزبير وطلحة الجيش بذات عرق فقال الزبير لخالد وعرو ابنيّ الزبير ارجعا إلى أمكما قال، فقال عبد الله بن الزبير ترد ابنيّ بنت خالد وتخرج بنا ابنيّ بنت أبي»[٣] . ونقلاً عن ابن معين وهو يتحدث عن وفاة عروة بانه: «استصغر يوم الجمل[٤] إذ كان عمره آنئذ ثلاث عشرة سنة[٥] ويضيف المزّي إلى رواية هشام بن عروة عن أمية ان عروة «ردّ من الطريق يوم الجمل استصغرنا»[٦] .

جميع هذه المرويات الموّثقة تؤكد ان هناك عزماً وتصميماً من

---

(١) تاريخ دمشق، ج ٤٠ ص٢٤٦ .
(٢) تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
(٣) تاريخ دمشق ج ٤٠ ص٢٤٩ .
(٤) م.ن. ج. ٤٠ ص٢٤٢ .
(٥) ابن حجر تهذيب ج ٧ ص ١٦٦ ، المزي، تهذيب الكمال ج ٢٠ ص٢٤ .
(٦) تهذيب ج ٢ ص٢٣ - ٢٤ .

جانب عروة لأن يقاتل في هذه الفتنة إلى جانب آل الزبير، وهي فتنة قد أشعل اوارها والده وعبد الله بن الزبير ضد الخليفة الشرعي، الإمام علي. إنه بوضوح حدث سياسي أراد ان يؤدي فيه دوراً عسكرياً -وهو ابن ثلاث عشرة سنة. واقعياً لم يتخذ عروة دوراً سياسياً كهذا في الأحداث السياسية التي شهدها العصر الأموي لكونه كان موالياً للبلاط الأموي وممن له علاقة طيبة مع معاوية الذي اعتمد عليه في تدوين أحاديث السيرة النبوية. ومع ولائه السياسي هذا، وهو دور مهم في حقيقته، فان ابن عساكر يذكر رواية مهمة عن الذين قتلوا مع عبد الله بن الزبير أخيه في فتنته المعروفة. فاعتماداً على عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام بن عروة قال: «ان عبد الله بن الزبير أقام بمكة تسع سنين وعروة بن الزبير معه»[١] وفي رواية مكملة لهذه الرواية ذكرها ابن عساكر بناءًا على سند محمد بن عبد الرحيم (المعروف بصاعقة) قال: سمعت علياً - يحتمل المقصود الإمام زين العابدين - قال سمعت سفيان بن عيينة قال قتل ابن الزبير وهو ابن ثلاث وسبعين وقتل معه ابن صفوان وابن مطيع، قيل له [يعني لسفيان] فأين كان عروة قال بمكة فلما قتل [عبد الله] خرج إلى المدينة»[٢]. ومما لا ريب فيه ان تركيز الروايتين على كونه مع أخيه هو دليل على انه كان مساهماً في الفتنة، أو على أقل تقدير موالياً ومناصراً لأخيه فيها.

---

(١) جـ ٤٠ ص٢٧٣.

(٢) م.ن.جـ. ٤٠ ص٢٧٤.

ويدلي ابن سعد في طبقاته برواية يستشف منها موقف عروة السياسي ونقل ابن عساكر الرواية بسند عن عبد الله بن حسن بن علي قوله: «كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخر مسجد النبي، بعد العشاء الآخرة فكنت أجلس معهما، فتحدثا ليلة فذكروا جور من جار من بني أمية والمقام معهم وهم لا يستطيعون تغيير ذلك، ثم ذكروا ما يخافان من عقوبة الله بهم. فقال عروة لعلي يا علي إن من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم فان كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم، فخرج عروة فسكن العقيق»[1] ورأي عروة ها هنا هو رأي سياسي يميل إلى المرجئة مع إقراره بأنه يدرك جور بني أمية إلا انه يخاف من العقاب أربما عقابهم - .

والأمر الذي يستحق ذكره في هذا الصدد ان آل الزبير بقدر ما كانوا مهتمين بالتدوين التاريخي للسيرة النبوية بل مستحوذين على عناصر تدوينه الرئيسة فأن عدداً منهم قد دخل معترك السياسة بقوة مثل الزبير وابنه عبد الله. والراجح إن الأمور السياسية والمصالح السياسية والشخصية في حب التملك والإدارة قد أدت إلى اختلاف الإخوة من آل الزبير، فيذكر ابن سعد ان يزيد بن معاوية كتب إلى عمرو بن سعيد بن العاص عامله على المدينة ان يبعث جيشاً ضد عبد الله بن الزبير والقضاء على فتنته. فاستفسر عمرو بن سعيد عن أكثر الناس عداوة لعبد الله فأشير إليه بأخيه وهو عمرو بن الزبير فعندئذ ولاّه شرطة المدينة. وكان عمرو بن الزبير ظالماً قاسياً إذ

---

(١) الطبقات جـ ٥ ص١٨١، ابن عساكر تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص ٢٧٨.

ضرب أناساً كثراً من قريش والأنصار بالسياط متهماً إياهم بأنهم من أنصار أخيه عبد الله، ثم ترأس جيشاً من أهل الشام لقتال أخيه فكان رد فعل عبد الله بن الزبير أن أرسل عسكراً بقيادة مصعب بن عبد الرحمن بن عوف لمواجهة أخيه عمرو بن الزبير. وكانت النتيجة في غير صالح عمرو وأسر عبيدة بن الزبير الذي كان برفقته وجيء به أسيرا إلى عبد الله وهو مضرج بالدماء فأتهمه عبد الله بأنه: «عدو الله المستحل لحرم الله». ثم أمر به فأقتص منه لكل من ضربه، أو ظلمه ثم أمر بسحله وإلقائه السجن لكنه مات وهو يعذب»فطرح في شعب الجيف وهو الموضع الذي صلب فيه عبد الله بن الزبير بعد عبيدة بن الزبير»[1].

ويحدثنا محمد بن حبيب في (المنمّق) ان عامل عبد الملك بن مروان على المدينة قد حدَّ هشام بن عروة في فريّة افتراها على رجل من بني أسد، وحدّ عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة هشاماً أيضاً في فرّية افتراها على رجل من بني المغيرة، وضرب إبراهيم بن هشام والي المدينة مصعب بن عروة بن الزبير حدّاً في الخمر. وحدّ أيضاً حمزة بن مصعب بن الزبير في الخمر، وحدَّ أيضاً عبد الله بن عروة بن الزبير في الخمر[2] والامثلة هنا بقصد الإشارة إلى الانتهاكات الشرعية الكثيرة التي انتهكها افراد من آل عروة بن الزبير وغيرهم من آل الزبير.

لقد نسب علماء الرجال إلى عروة بن الزبير عدداً من التصرفات الشخصية بردود فعله واقواله الخشنة ضد الآخر بما لا يتلاءم ومكانته

---

(١) طبقات جـ٥ ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) المنمّق ص٣٩٩.

العلمية وباعتباره من كبار التابعين في المدينة ومن الصالحين فيها. فاستخدم عروة عبارات غير لائقة بحق بعض الصحابة، وبحسب رواية الفضل بن شاذان الأزدي روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قوله: «كنت عند عروة بن الزبير فتذاكرنا، كم اقام النبي، بمكة بعد الوحي؟ فقال عروة: اقام عشراً فقلت. كان ابن عباس يقول ثلاث عشرة فقال: كذب ابن عباس»(١) ان تكذيب عروة وهو من التابعين الكبار في المدينة لأحد صحابة النبي، يعدّ امراً بالغ الأهمية في تلك المدة و، حتى في مدتنا هذه. ولا سيما أن هناك مرويات أخرى أثبتت قول ابن عباس هذا كما سيأتي ذكرها في باب مبعث الرسول الكريم، والوحي، من أهمها رواية سعيد بن المسيّب المعاصر لعروة الذي أيضاً وصف بعالميته. إن هذه الرواية ورواية أخرى بشأن علاقته بالحجاج الثقفي، في مجلس عبد الملك بن مروان فعندما رأى الحجاج عروة في المجلس وكان له رأي في إسهامه في الفتنة إلى جانب أخيه عبد الله وفي استحواذه على الأموال في مكة فأشار إليه الحجاج بابن العشماء. فما كان من عروة إلا الردّ بقسوة قائلاً: «أنا لا أم له وأنا ابن عجائز الجنة ولكن إن شئت أخبرتك من لا أم له يا ابن المتمنية أراد أمه وهي الفريعة». ولولا تدخل عبد الملك فأسكتهما لكان جواب عروة أخشن، إذ كان في نيته أن يسترسل في الشتم لان المتمنية أم الحجاج هي القائلة شعراً: -

ألا سبيل إلى خمر فأشربها　　　أم ألا سبيل إلى نصر بن الحجاج

(وكان نصر من بني سليم موصوفاً بالجمال. وقد سمعها عمر

---

(١) الايضاح ص ٥١٩.

بن الخطاب تقول هذا الشعر فأمر أن يرّحل نصراً إلى البصرة)[1].

وروى ابن عساكر رواية بسندها الزهري قال: «دخل عروة وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود على عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة، فقال عروة في شيء جرى من ذكر عائشة وعبد الله بن الزبير، سمعت عائشة تقول: - ما أحببت أحداً حبي لعبد الله بن الزبير. فأجاب عمر: «إنكم تنتحلون عائشة وابن الزبير انتحال من لا يرى فيهما لأحد نصيباً، قال عروة، عائشة كانت أوسع من أن لا ترى لكل مسلم فيها حقاً، ولقد كان عبد الله منها حيث وضعته الرحم والمودة... فقال عمر: كذبت، فقال عروة هذا يعني أن عبيد الله بن عبد الله يعلم إني غير كاذب وان اكذب الكاذبين لمن كذّب الصادقين[2] وهو ردّ عنيف بان عمر اكذب الكاذبين لهذا غضب عمر وأمرهما بالخروج من مجلسه.

ومن المناسب ذكره إن ابنه هشاما كان يستعمل كلمات نأبية بحق من يعرض رواية مخالفة لرأيه. ففي رواية عن الزبير بن بكار عن المنذر بن عبد الله قوله: «ما سمعت من هشام بن عروة رفثا قط إلا يوماً واحداً فان رجلاً من أهل البصرة كان يلزمه قال: يا أبا المنذر نافع مولى ابن عمر كان يفضل أباك عروة على أخيه عبد الله. فقال (هشام) كذب نافع وما يدري نافعاً عاض بظر أمه عبد الله والله خير وأفضل من عروة»[3].

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٧٥.

(٢) م.ن.جـ ٤٠ ص٢٧٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد جـ ١٤ ص٣٨.

عروة والإمام علي

ترتبط بالفقرة السابقة موقف عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري من الإمام علي وإنهما كانا ينالان منه كثيراً، بل يسبانه ويقعان فيه ويقولان فيه ما لا ينبغي فاعتمادا على المرويات الشيعية كرواية أبي جعفر الاسكافي أن معاوية: «وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه. وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه»، ومن جملة ما رواه عروة والزهري من أخبار غير مشّرفة وأخبار كاذبة خالية من أي عنصر من عناصر الصدق والأخلاق روايتهما عن عائشة إنها قالت: «كنت عند رسول الله؛ إذ اقبل العباس وعلي، فقال يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملتي، أو قال: على غير ديني». وفي رواية أخرى ورد عن عروة زعمه بان عائشة قد حدثته بها إنها كانت عند رسول الله، إذ اقبل العباس وعلي فقال، يا «عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا فنظرت فإذا العباس وعلي»[1].

وذكر ابن أبي الحديد رواية عن عبد الرزاق عن معمر - رواية الزهري وعروة - قوله إن الزهري كان لديه حديثان عن عروة عن

---

(١) ينظر العلامة المجلسي معتمداً على شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة عن الإسكافي ج ٣٠ ص٤١.

عائشة فيهما قدح شديد بالإمام علي. فيقول معمر: «فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟ الله اعلم بهما، إني لا اتهمهما في بني هاشم»[1] فليلاحظ القارئ كيف استخدم الزهري في تعبيره الذي يقلل من الإمام «ما تصنع بهما - يعني الإمام والعباس - وبحديثهما - يعني الاثنين معاً»[2]. وحقيقة الأمر فان عوامل مشتركة عديدة تدخل في تفسير هذا الموقف المتجني والمعادي من عروة نشخصها على صيغة تساؤلات.

هل أن عروة بالفعل أصبح مأجوراً لقاء تسلمه الأموال من معاوية وغيره من الأمويين لتزييف تاريخ الصحابة وتشويهه وبالأخص منهم الإمام.

هل اندفع في هذا العمل من دافع شخصي في حقده وكرهه، وهو سؤال قد نجد جوابه في محاولاته وهو صبي المشاركة في حرب الإمام في معركة الجمل.

هل كان نتيجة من نتائج النزاع والتخاصم القديم العهد بين قريش وبني هاشم، الموجهة صوب الإمام؟

كل ذلك جائز فيحدثنا محمد بن الفتّال النيسابوري المتوفى سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤ في كتابه (روضة الواعظين) برواية يرجع سندها

---

(١) م. ن. ج ٣٠ ص٤٠٢.
(٢) ينظر عن موقف عروة السلبي والكاذب إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات ج٢ ص٥٧٥، الفضل بن شاذان، الإيضاح ص ٣٧٣، الطبرسي، الأحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، دار النعمان ص ٣٤٩-٣٥٠، علي الشهرستاني: وضوء النبي ج ١ ص٢٨٩.

الأخير إلى هشام بن عروة عن أبيه قوله: «كنا جلوساً في مجلس في مسجد رسول الله، فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان فقال أبو الدرداء، ألا أخبركم بأقل القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدهم ابتهالاً في العبادة؟ قالوا: من؟ قال: علي بن أبي طالب قال: فو الله ان كان في جماعة أهل المجلس إلا معرضاً عنه بوجهه ثم انتدب له رجل من الأنصار، فقال يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها»[1] فهذه الرواية التي نقلها هشام بن عروة قد لا تنطق الحقيقة، أي حقيقة الحدث، وهي ربما تعدّ أنموذجاً آخر من نماذج التحريف والتزييف لصناعة رواية حاقدة تبين ان جميع من حضر المجلس لم يصدقوا كلام أبي الدرداء، طبعاً إن كانت هذه الرواية صحيحة.

كان موقف الإمام زين العابدين صعباً في المدينة إبّان فتنة عبد الله بن الزبير، أو بالأحرى إبّان تسلط آل الزبير. ألم يهدد ابن الزبير الإمام، ومحمد بن الحنفية بحرق منازلهما عليهما إن لم يؤيدا حركة عبد الله بن الزبير. فكان الإمام حاضراً دوماً في الردّ على مواقف عروة المعادية، فعندما وصلته الأخبار بشتم عروة الإمام علي وسبه له ولأهل بيته كان يردّ على عروة رداً قوياً دون انفعال.

يذكر الثقفي في كتابه (الغارات) أنه حينما بلغ الإمام زين العابدين ما كان عروة وابن شهاب الزهري ينالانه من علي أسرع «فجاء، حتى وقف عليهما فقال: أما أنت يا عروة فان أبي حاكم

---

(١) روضة الواعظين، تحقيق محمد مهدي السيد حسن الخرسان، قم، مجلد ١ ص١١١.

أباك إلى الله فحكم الله لأبي على أبيك، وأما أنت يا زهري فلو كنت أنا وأنت بمكة لأريتك كم (ويعني الإمام بيت) أبيك»[1] وتدخل الإمام مرة أخرى بتأنيب عروة بن الزبير ذلك بشأن حديث عروة عن زينب بنت رسول الله، وبحق فاطمة الذي كان عروة يحدث به عن عائشة، تقول الرواية فانطلق الإمام إلى عروة فقال: «ما حديث بلغني عنك تحدثه تنتقص به حق فاطمة، قال عروة ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني انتقص فاطمة حقاً هو لها، وأما بعد ذلك علي ان لا أحدث به أحدا»[2] فجواب عروة المتملق والمنافي للحقيقة يعدّ دليلاً واضحاً على عمله الدؤوب في تسميم العقول في مدينة رسول الله بأحاديث كاذبة ومزيفة فهو يقول للإمام (أما بعد ذلك عليّ ان لا ؟أحدث به أحداً) بمعنى عكسي انه سيحدث بهذا الحديث وغيره، لأنه قد وضع قلمه وعلمه في خدمة الأمويين لتشويه سمعة الرسول، وآل بيته. وهذان المثالان يؤكدان إن الإمام زين العابدين كان يتابع أحاديث ومرويّات عروة والزهري وهما يستعملان حلقة وصل قريبة من رسول الله، ألا وهي السيدة أم المؤمنين. ومن البدهي القول إن هؤلاء قد تخلوا عن معايير الأمانة العلمية التي تقتضيها رواية الأحاديث الشريفة واتبعوا أهواءهم ومصالحهم الشخصية التي وفّرها لهم الحكام الأمويين وكان الإمام يردّ عليهم وجهاً لوجه لأنه كان يعرفهما معرفة دقيقة.

والمهم انه لولا وجود هذه الشذرات القليلة في عدد من

---

(١) الغارات جـ٢ ص٥٧٧ - ٥٧٨.

(٢) احمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، عن نسخة في دار الكتب المصرية بمجلد واحد، ص١٥٨.

المؤلفات الشيعية التي نجت من عملية الإقصاء والتدمير التي صنعها معاوية بن أبي سفيان لاختفى علينا قول الحق ولبقيت الأخبار القبيحة بحق الإمام هي المتداولة بل الثابتة والداعمة للإعلام الأموي الذي يهدف إلى شيوع سياسة الحقد والكراهية تلك التي رسخت في العقول. كانت جهود الإمام شاقة لا سيما عيون السلطة الجائرة التي كانت تترصد تحركاته وسكناته غير انه والأئمة من بعده أدوا دوراً فاعلاً في الردّ على أحاديثهم ومروياتهم وإظهار الصحيح معتمدين على سلسلة اسناد ترجع إلى الإمام علي إلى الرسول. فيحدثنا البيهقي برواية عن محمد بن يحيى الصولي عن سهل النوشجاني قال: «قال رجل للرضا يا بن رسول الله انه يروى عن عروة بن الزبير انه قال توفي رسول الله، وهو في تقية فقال: أما بعد قوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[1].

فانه أزال كل تقية بضمان الله عز وجل وبيّن أمر الله تعالى، ولكن قريشا فعلت ما اشتهت بعده وأما قبل نزول الآية فلعله[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) عيون أخبار الرضا، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، طبعة أولى بيروت ١٤٠٤، جـ١ ص١٣٨.

عروة والسلطة الأموية

هناك دلائل تاريخية كثر تفصح عن علاقة عروة الودية بحكام بني أمية، ومن المستغرب أن عروة منذ شبابه وقبل أن يدرس في مدرسة خالته السيدة عائشة، كانت له علاقة بالبلاط الأموي. فيذكر ابن عساكر انه قد وفد على معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك[١] وتعدّ وفادته على معاوية وعبد الملك مهمة جداً على اعتبار أن هذين الخليفتين قد وضعا نصب أعينهما مشروع تأسيس مدرسة لإعادة النظر في الحديث الشريف وإعادة تدوينه على وفق سياستهما الموجهة ضد آل البيت وأتباعهم، آخذين بنظر الاعتبار أن عروة ومنذ العشرينات من عمره تقريباً كان معاصراً لحكم معاوية. وان احتضان معاوية لعروة، وهو في مقتبل شبابه يمثل تطوراً في حياة عروة؛ ولا سيما انه كان انطلاقاً من أحداث معركة الجمل، يقف إلى الجانب المعادي للإمام علي.

وعلى الرغم من أن التاريخ لا يقدمّ معلومات عما إذا كان له دور في معركة صفين وما بعدها من الأحداث السياسية، فإنه كان حسبما يبدو قاطناً المدينة، الا ان ذلك لا يعدم القول بأنه كان متابعاً لهذه الأحداث. ففي الاتجاه نفسه يروي ابن عساكر رواية سندها الزهري عن قبيصة بن ذؤيب قوله: «كنا في خلافة معاوية في

---

(١) تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٣٨.

آخرها نجتمع في حلقة في المسجد بالليل إنا ومصعب وعروة ابنا الزبير وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الملك بن مروان وعبد الرحمن بن المسّور بن مخرمة وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وكنا نتفرق بالنهار»(١).

وبحسب قول الزهري هذا كان عروة يسبق الجميع بدخوله على عائشة وكانت عائشة أعلم الناس بالحديث فيسألها الأكابر من أصحاب رسول الله، [م.ن] فالرواية مع إنها تتعامل مع اتجاهات عدة لكنها مرتبطة في نسيجها الثقافي بين اجتماع هؤلاء الذين تربطهم بعروة وشائج قوية وبين أهداف اجتماعاتهم الطويلة وبين تسابق الصحابة على استشارتها في الحديث. وترابط هذه المكونات للرواية تجعلنا نتساءل عما إذا كان الموضوع يتعلق بمناقشة مشروع معاوية في صناعة الحديث، أو إعادة تدوينه بالصيغة التي تتفق مع خطوات ذلك المشروع. والرواية تهدف إلى توجيه الأذهان إلى اهتمام عروة في طلب الحديث من خالته على وجه التحديد منذ زمن معاوية. أما من الجهة الأخرى فمع أن الزهري لم يفصح عن طبيعة هذا الاجتماع، أو عن السبب من عقده ومعهم عبد الملك بن مروان والبقية من الأعلام بدءاً من الليل، حتى النهار، أو عن المواضيع التي كانوا يتباحثون بها، ثم الأهم من ذلك لماذا ابتدأ الزهري روايته بقوله: «في خلافة معاوية» تحديداً، ألأنه كما تطرقنا تواً معني أي الاجتماع بشأن ثقافي في الوسيلة التي تطبق فيها توجيهات معاوية في تدوين الحديث وكيفية تزويره، أو تزييفه لصالح الأمويين

---

(١) تاريخ دمشق ج ٤٠ ص٢٤٩.

خاصة وان المجتمعين كانت تربطهم علاقات ثقافية حميمة. فطالما اعتمد عبد الرحمن بن الحارث وعبد الرحمن بن المسور وعبيد الله بن عبد الله على الأحاديث والمرويات الصادرة عن طريق عروة (عائشة. فانطلاقاً مما سقناه من معلومات تتعلق بعلو مكانة عروة العلمية فان عدداً من هؤلاء العلماء كان ممن روى عنه الأحاديث، كذلك بحسب رواية ابن أبي الزناد الذي هو الآخر يعدّ من رواة عروة كانوا من فقهاء المدينة. والرواية تكشف أيضاً عن مدى العلاقة التي تربط، عروة، بمعاوية ومن المحتمل أنها ترجع إلى ما قبل مدة توليه الحكم[1].

فضلاً عن علاقة عروة بن الزبير بمعاوية فانه اعتماداً على تلك الرواية المذكورة آنفاً، وعلى مرويات أخرى كانت تجمعه وعبد الملك بن مروان علاقة قديمة وقوية إلى درجة إن عروة في إحدى المناسبات وفد على عبد الملك وهو خليفة فأوقفه البوّاب ولم يدخله البلاط فقال له عروة: «قل لأمير المؤمنين أبو عبد الله على الباب فقال: (أي عبد الملك) من أبو عبد الله؟ فقال له «عروة للبوّاب» قل له أبو عبد الله، فقال (عبد الملك) ذاك عروة بن الزبير، فلما رآه زال له عن موضعه، قال فجعل يسأله..»[2].

ويبدو أن علاقته بعمر بن عبد العزيز لم تكن على ما يرام موازنة بعلاقته بمعاوية وعبد الملك والوليد بن عبد الملك. إذ يفهم من حديث ابن عساكر والمزيّ إن لهذا الخليفة رأيه الخاص بعروة ف

(١) تاريخ دمشق ج ٤٠ ص٢٤٩.
(٢) تاريخ دمشق. ج ٤ ص٢٧٤.

اعتماداً على عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن أبيه قوله: «قال عمر بن عبد العزيز ما أحد أعلم من عروة بن الزبير وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله»(١). وتلقي رواية أخرى الضوء على طبيعة العلاقة بينهما فيذكر ابن عساكر أن عروة وصاحبه عبيد الله بن عبد الله دخلا على عمر وهو والي المدينة وجرى بينهم الحديث بشأن أم المؤمنين إذ ذكر عروة أنها كانت تحب عبد الله بن الزبير كثيراً، وكانت تقول: «ما أحببت أحداً كحبي عبد الله بن الزبير لا اعني رسول الله، ولا أبويّ». فردّ عمر بن عبد العزيز قائلاً: «أنكم تنتحلون عائشة وابن الزبير انتحال من لا يرى فيهما لأحد نصيباً» فردّ عروة (كانت أوسع من أن لا ترى لكل مسلم فيها حقاً...) فكذبه عمر قائلاً انك لكاذب. فلم يتردد عروة إلا أن يردّ عليه رداً خشناً قائلاً: «أن اكذب الكاذبين لمن كذب الصادقين». عندئذ أمر عمر بإخراجهما قائلاً: «أخرجا عنيّ»(٢). فهذه الملاحاة بين الطرفين تشجع على القول بان عمر لم يتقبل بسهولة أقوال عروة التي تمجد وتفتخر كثيراً بعبد الله وبخالته. بالمقابل كانت لعروة علاقة طيبة ووثيقة بالوليد بن عبد الملك، فكان كما تشير إليه الروايات يكرر زياراته لبلاطه إذ خرج مرة برفقة إبنه محمد بن عروة إلى الوليد، وقد بعث له الوليد ببغلة، كان الحجاج الثقفي قد أهداها له، ليركبها دليلاً على تكريمه له وحفاوته به. وقد حدث لعروة وإبنه حادث خلال هذه الزيارة إذ ضربت إبنه محمد دابة وهو في دار الدواب فمات، وأصيب عروة

---

(١) تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٤٩، تهذيب الكمال جـ٢٠ ص١٧.

(٢) تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٧٦.

بمرض الأكلة في رجله فمرض وبعث إليه الوليد بالأطباء والأدوية لمعالجته فاجمع الرأي على أن تبتر فقطعت رجله[1]. إذن فلعله من الصحيح الاستنتاج إن ولاء عروة السياسي وهواه كان إلى جانب البيت الأموي، وبحسب المرويات الشيعية فان معاوية «وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه.. فاختلقوا ما أرضاه منهم: - أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير»[2]، لذلك فان روايات عروة وأحاديثه، مع أنها وصلت عبر حلقته الأساس عن خالته (أمه كما أعتاد أن يسميها) السيدة عائشة بشأن تاريخ السيرة النبوية وبشأن دور الإمام علي ومكانته عند الرسول، تحتمل الطعن في عدالته وربما تأثرت بذلك المؤثر لانه - وبحسب الروايات الشيعية - كان يعمل من أجل تحقيق مآرب معاوية وعبد الملك وغيرهما من الأمويين السياسية والقبلية فيما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز.

---

(١) الثقفي، الغارات جـ ٢ ص٥٧٦، ابن عساكر تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٦٠ - ٢٦١، ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) الثقفي، إبراهيم، الغارات جـ٢ ص٥٧٥، المجلسي، بحار الأنوار جـ ٣ ص١٧٨.

أحوال عروة الشخصية

هل كانت علاقة عروة بن الزبير بالأمويين منطلقة من عوامل حبه للدنيا ومن نزعته إلى الوجاهة والثراء وجمع المال أم غير ذلك؟ فالمرويات المتوافرة تلقي الضوء على انه لم يكن في حياته الخاصة متقشفاً، أو متزهداً، أو بسيطاً، فمن ناحية التملك الفردي كان موسراً يمتلك داراً بالمدينة هي دار صفية بنت عبد المطلب وله قطعة من دار الزبير بن العوام. وبحسب رواية محمد بن سعد انه عندما توفي كانت وفاته «بأمواله بناحية الفرع ودفن هناك»[1]. ويروي ابن عساكر انه اشترى موضعاً لبناء قصره الفخم وأرضه وبئاره من عبد الله بن عباس، وعندما فرغ من بناء قصره وبئاره دعا جمعا من الناس إلى وليمة «وجعلوا يبركون وينصرفون ويقولون مارأينا ماء أعذب ولا أطيب ولا منزلاً أكرم[2]». والظاهر ان قصره وبئاره قد شغلته كثيراً، حتى عن تنفيذ التزاماته الدينية فلم يعد يصلي في المسجد النبوي إذ نقل إبنه هشام القول الآتي «لما اتخذ عروة قصراً بالعقيق قال له الناس قد جفرت (أي بعدت) عن مسجد رسول الله»، فأجاب عروة جواباً يثير الاستغراب «اني رأيت مساجدهم - يعني بضمنها مسجد الرسول - لاهية واسواقهم لاغية والفحشاء في فجاجهم عالية فكان

---

(١) الطبقات جـ ٥ ص١٧٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٤٠.

(٢) تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٧٩.

فيما هناك عماهم فيه عافية[1]». واتهامه للمدينة وأهلها هو اتهام خطير فالمسجد الذي كان المسلمون يجلّونه ويسعون إلى الصلاة فيه صحابة وتابعين هو مسجد (لاهي) والفحشاء، وهو فساد اجتماعي، شائع وسائد في المدينة في أواخر القرن الأول الهجري. فكيف نفسر أقواله هذه؟

هل أنها تعكس بالفعل عدم احترامه لمسجد الرسول والمساجد الأخرى بل لمدينة رسول الله، وأهلها وتجارها؟ أم إنها ردُ فعل لتكبره ولغطرسته وهو يمتلك قصراً فخماً؟ وتوكيداً لهذا الموقف المتغطرس وردت رواية مصدرها ابن أبي ربيعة وهو يحكي انه مرّ بعروة وهو يبني القصر بالعقيق فقال له «أردت الحرث يا أبا عبد الله قال لا ولكنه ذكر انه سيصيبها عذاب يعني المدينة» لذلك وبناءً على قول ابنه هشام بقي يحيا في قصره معتزلاً المدينة، حتى أن بعض ولده يموت بالمدينة «فلا يأتيه»[2]. كذلك روى مصعب بن عثمان رواية هي«كان عروة بن الزبير يجلس في قصره بالعقيق ومعه جلساؤه فإذا بلغته الشمس وضع يده على جدار قصره وقال لو قدرنا ان ندفع دفعناك [فلعله كان يقصد إبعاد قصره، أو نفسه عن شعاع الشمس المحرقة] فحينما سمع الجلساء ذلك قاموا وخرجوا ربما إستنكاراً لقوله هذا[3]. وبناءً على إبنه هشام أن عروة أنشد في قصره شعراً بعد أن فرغ من البناء قائلاً: -

بنيناه فأحسنا بناه   بحمد الله في خير العقيق

---

(١) م. ن. ج ٤٠ ص٢٨٠، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ج٧ ص١٦٥.
(٢) تاريخ دمشق ج ٤٠ ص٢٨٠.
(٣) م. ن. ج ٤٠ ص٢٨٠ - ٢٨١.

تـراهـم يـنـظـرون إلـيـه شـزرا يلوح لـهـم عـلى وضح الـطـريـق
فـسـاء الـكـاسـحـين وكـان غـيـظـاً لأعـدائـي وسـرّ بـه صـديـقـي
يــراه كــل مــخــتــلــف وســار ومعتمراً إلى البيت العتيق[1]

إنها أبيات تفصح دون شك عن كبريائه وغطرسته وتشير إلى أعدائه والحاقدين عليه، غير إن الأكثر أهمية أنه جعل قصره مناراً يُهتدى به إلى البيت العتيق، مكة المكرمة، لذلك ربما اعتبره مقدساً بقدسية البيت العتيق وهو يقع في طريق العمرة والحج.

وتبين رواية أخرى قدراً عن نفعية عروة واستثماره الظروف لمصادرة أموال بيت المال وحجزها لنفسه فيذكر ابن عساكر رواية عن محمد بن عبد الرحيم المعروف (صاعقة) قوله بأنه سمع علياً قال سئل سفيان بن عيينة عن عروة بن الزبير حين قتل عبد الله بن الزبير، أين كان عروة عندها. فأجاب انه كان مع أخيه في مكة وانه خرج مسرعاً عنها متوجهاً إلى المدينة ومعه الأموال فاستودعها في المدينة ثم خرج منها مباشرة متوجهاً إلى عبد الملك بن مروان «فقدم عليه قبل البريد» وقبل أن تصل عبد الملك إخبار مقتل عبد الله واستقبله عبد الملك بحفاوة. ولكن بينما كانا يتبادلان الحديث ورد كتاب من الحجاج الثقفي يذكر فيه مقتل عبد الله «وان عروة قد خرج والأموال معه»، فالرواية تسلط الضوء على أن عروة قد أهتبل فرصة مقتل أخيه فتركه مقتولا مرمياً وأسرع إلى المدينة فاستودع الأموال التي سلبها وهي ربما تكون أموال بيت مال مكة في المدينة كما

---

(١) م.ن.جـ ٤٠ ص٢٨١.

أشار إليه كتاب الحجاج إلى عبد الملك بان عروة خرج والأموال معه. ومع ان عبد الملك كتب إلى الحجاج أن يعرض عن تلك المسألة لكنها حادثة تسترعي الاهتمام وتوضح مدى حب عروة للدنيا الذي دفعه إلى اختلاس أموال بيت المال، وربما مخلفات أخيه والهرب بها إلى المدينة. هذا إن كانت الرواية صحيحة[1]. ومما له علاقة بالموضوع أن عروة كان مع أخيه أثناء الفتنة ولكنه اختفى من مشهد الأحداث بعد مقتل عبد الله.

وترتبط بأخبار قصره وافتخاره به فقد كان كثيراً ما يمتدح نفسه ويزهو بها على الآخرين سواء كان ذلك ما يتعلق بعالميته في الحديث والفقه والشعر وغيرها من الميادين أم في فضله وتميزه، وقد أشار إلى ذلك علماء التراجم. لكن هناك مسألة استوقفتنا ونحن نختم هذا المبحث تلك التي ذكرت من قبل العلماء بشأن حرق عروة لكتبه. وذلك لأنها مسألة تثير جملة تساؤلات حول السبب الحقيقي الذي دفعه إلى إتلافها، أو حرقها، أو محوها وما أعقب ذلك من شدة تأثره وندمه على فعل ذلك وانه تمنى أن يفديها بأهله وماله. فمرويات حرق الكتب ترجع أصلاً إلى راوية عروة المعروف عبد الرحمن بن أبي الزناد الذي ذكر أن عروة قال له: «كنا نقول لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله فمحوت كتبي. فو الله لوددت ان كتبي عندي وأن كتاب الله قد استمرت مريرته»[2]. فالرواية لم تأت اطلاقاً على مسألة حرقه الكتب انما محاها، فضلاً عن انه عزى عملية المحو

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٤٠ ص٢٧٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ٤٠ ص ٢٥٨، ابن حجر العسقلاني: تهذيب ج ٧ ص١٦٥، المزي: تهذيب الكمال ج ٢٠ ص٢١.

لانه (انّا)، أو لأنهم مجموعة رغب في ان لا يتخذ كتاباً (بصيغة المفرد) مع كتاب الله فمحى كتبه (ولعله محى كتاباً له) وتسويغ عروة لعمله هذا غير وارد لان هناك علماء غيره قد ألفوا كتباً لكنهم لم يقدموا على محوها، أو حرقها. فضلاً عن غموض الرواية حول طبيعة الكتاب، أو الكتب التي محاها ألأنها في الحديث الشريف، أو في الفقه والتفسير، أو في السياسة والأخبار؟ وهل هي مؤلفاته على وجه الحصر أم مؤلفات علماء غيره؟ وهل هي كتب بمعنى كتاب ضخم أم كراريس، أو قراطيس تحتوي روايات، أو أحاديث مدونة له عن بعض الاحداث، أو المسائل الشرعية؟ فجميع هذه التساؤلات مطروحة وليس هناك من جواب واضح. وبقيت رواية ابن أبي الزناد الذي روى في مدح عروة وامتداح عالميته عدة روايات. الا ان هشام بن عروة يطرح رواية أخرى رواها لمعمر «إن أباه كان حرق كتباً فيها فقه ثم قال لوددت أني كنت فديتها بأهلي ومالي»[1]. ومع ان هذه الرواية أوضح من سابقتها وتختلف عنها بان عروة أحرق وليس محى، وانه أحرق كتباً فيها فقه (أي بعض المسائل الفقهية) وليس علم الفقه باعتبار انها متقدمة تاريخياً عن بدايات ظهور المذاهب الفقهية المتعارف عليها. اللهم الا ان تكون بصيغة مدونات متفرقة عن مسائل في الفقه لا سيما وان عروة كان من فقهاء المدينة الأربعة، أو السبعة. لكن يبقى السؤال عن سبب حرقها من جانب ولماذا ودّ ان يفتديها بأهله وماله، بمعنى ان يقدم فدية إزاءها فهل كانت مدونات لها خطورة من الجانب الفقهي سواء

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ ٤٠ ص٢٥٨، ابن حجر، تهذيب جـ ٧ ص١٦٥.

كانت هذه الخطورة من فقهاء المدينة الآخرين أم من والي المدينة الأموي أم من عالم ديني يعدّ مرجعاً؟ مع العلم ان لعروة آراء فقهية خالف فيها الإمام علي وعبد الله بن عباس في المتعة، أو في توزيع الغنائم، أو غيرها من الأمور التي نقلها علماء التراجم والتفسير والفقه.

والرواية نفسها تبطل رواية ابن أبي الزناد. ويقدم محمد بن سعد لنا تفسيراً له دلالته بشأن هذه الحادثة، إن وقعت فعلاً، فيذكر رواية عن معمر عن هشام بن عروة - أي سلسلة السند نفسها للرواية السابقة - قال: «أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له فكان يقول بعد ذلك لأن تكون عندي أحب إليّ من ان يكون لي مثل أهلي ومالي[1]، فهو لم يفتديها بأهله وماله إنما قال هي أحب إليه من أهله وماله، وكتب الفقه هذه كانت له وهي كما يبدو لا يفهم منها انها كانت من تأليفه انما كان يمتلكها. كذلك فان يوم الحرة كان يوماً مشهوداً في مدينة رسول الله، حينما هاجم الجيش الأموي المدينة وحاصرها ورماها بالمنجنيق واحرق بيوتها واستولى عليها واستباحها. فهل أراد عروة ان ينجو بنفسه فاضطرّ إلى حرق ما عنده من كتب؟ وهل انه خاف ان تقع بأيدي قائد الحملة فيجدها في غير صالح الأمويين؟ أم انها احترقت مع ما تم احترق من أموال الناس في أثناء الهجوم وهو الأكثر رجحاناً؟ أم ان الحادث برمته لم يكن بهذه الصورة وان عروة أراد التباهي بفضله الفقهي، أو بما كان عنده من كتب في الفقه لانه من فقهاء المدينة. والأهم من ذلك ان مؤلفي

---

(١) طبقات ج ٥ ص١٧٩.

التراجم قد قدّموا لنا سيرة حياته بالتفصيل لكنهم لم يذكروا شيئاً عن انه قد صنف كتاباً، أو كتباً، أو رسائل في الفقه، أو الحديث، فعروة قد روى الحديث ولم يؤلف فيه.

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية للرواية الزبيرية
(رواية المبعث والوحي)

المبحث الأول

مبعث رسول الله

تعقبنا في الفصل الأول بالتفصيل إسهام الرواية الزبيرية وموضعها في علم الجرح والتعديل وبيّنا مواردها الأساس التي اتكأت عليها وحلّلنا عناصرها وحلقاتها السندية المتعددة. وهنا نحاول متابعة الآثار التاريخية لهذه الرواية في مفأصل تاريخية محددة من تاريخ السيرة النبوية الشريفة وذلك باعتبارها الرواية التي اختّصت أكثر من غيرها من الروايات في هذه الحقبة من تاريخنا العربي الإسلامي. ولعل من أهم أسباب أهميتها انها مصدر عروة بن الزبير الأساس المتصل مباشرة برسول الله، الا وهو رواية خالته السيدة أم المؤمنين.

ونكاد لا نبالغ القول بان قراءة أي مرجع في تاريخ السيرة وأي كتاب منهجي نحَفظه لأبنائنا الأعزاء في العراق على وجه التحديد بدءً بالمرحلة المتوسطة، حتى الجامعية تعكس آثار وسيادة رواية عروة بن الزبير - عائشة بصورة واضحة.

كذلك فانه ليس من المبالغة القول انها الرواية الشائعة بل السائدة في أي حديث، أو أي تناول لاهم حلقتين تاريخيتين لبداية الدعوة بالرسالة الإسلامية الا وهما مبعث رسول الله، وابتداء نزول

الملك جبرئيل والكيفية التي اتصل بها برسول الله والنتائج التي ترتبت على هذا الاتصال السماوي الروحاني ونزول أول آية قرآنية على رسول الله.

ولا مندوحة من القول إن القارئ سوف لن يجد لأول وهلة أي تعارض، أو تضادد، أو اختلاف في هذه الموضوعات البالغة الأهمية ولكن حقيقة الأمر قد تكون غير ذلك تماماً اعتماداً على المقارنة الحصيفة للمرويات التاريخية في مصادر التاريخ والتفسير والحديث عن هذه الاحداث، المرويات التي بالوسع وصفها انها التأسيسية.

ومهما يكن فهي دراسة نقدية مقارنة لا تهدف إلى المسَّ بالنسيج المتين والمتماسك لتاريخ السيرة النبوية، بل على الضد من ذلك، تهدف أولا واخيراً إلى تنقية رواية السيرة النبوية التي تؤطر العلاقة السماوية الحنيفة بين الله سبحانه وتعالى في اختياره الرسل والأنبياء على وفق خصال وشمائل وصفات غير متوافرة عند غيرهم.

لقد تباين الرواة الصحابة منهم والتابعين بما له علاقة بعمر الرسول الأكرم عند المبعث وكذلك بالنسبة إلى المدة التي استغرقها، في الدعوة السرية ثم العلنية في مكة وقد أدى هذا الاختلاف إلى اختلاف في تحديد عمر الرسول عندما وافاه، الأجل. آخذين بنظر الاعتبار الاتفاق العام بين الرواة وبين المصادر حول المدة التي تابع فيها، الرسالة في المدينة واقصد العشر سنين. وتوضيحاً لهذا بالإمكان توزيع الروايات على الشكل الأتي: -

١ - الرواية الأولى التي سندها الأساس عروة بن الزبير عن عائشة فان عمر الرسول عندما نزل عليه الوحي كان أربعين سنة.

وتكاد الروايات الأخرى تكرر فحوى هذه الرواية فالرواية التي تنتهي حلقتها الأخيرة بسفيان الثوري والسدي تعقب على قول الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[1] بان الرسول كان على أمر قومه أربعين عاماً[2]. ومع ان الرواية قد أتقنت اختيار (على أمر قومه) وليس على دين قومه، لكنها واقعياً لا تتطابق مع المعلومات الموثوقة على انه، لم يكن تماماً على أمر قومه.

٢ - رواية وردت عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن بأنه سمع أنس بن مالك يقول: - بعث رسول الله على رأس أربعين سنة أي من مولده، وتوكيداً لذلك صرحت رواية أنس على ان الرسول كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين «هذا قول أنس ولم يكن يقول غيره»[3].

٣ - رواية أوردها مولى عبد الله بن عباس عكرمة «عن ابن عباس تذهب إلى القول أيضاً إنه، قد بعث لأربعين سنة» وتتكرر هذه الرواية عند الطبري بالسند والفحوى نفسها غير انها تناقض نفسها حين تذهب إلى الأتي: - «فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة»، لذا قال آخرون: إن الرسول قد نبئ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة[4]. فبينما أورد ابن سعد رواية عكرمة - ابن عباس حول نزول الملك والنبي في الأربعين تشير هذه الرواية وبالسند نفسه انه، كان في الثلاث والأربعين من عمره.

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات، جـ ١ ص١٩٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات. جـ١ ص١٩٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات، جـ ١ ص١٩٠، تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص٤٢ - ٤٣.

وتتوافق الرواية التي ترجع إلى سعيد بن المسيب مع هذه الرواية الأخيرة بنزول الوحي والرسول الكريم في الثلاث والأربعين من عمره[١].

وهناك رواية ثالثة عن عكرمة عن ابن عباس تحدد إقامة رسول الله في مكة بخمس عشرة سنة إذ كان، يرى الضوء ويسمع الصوت خلال سبع سنين ويوحى إليه خلال ثماني سنين[٢].

٤ - رواية أخرى ترجع حلقتها السندية الأخيرة إلى داوود بن أبي هند عن عامر الشعبي (أحياناً يذكر داوود بن أبي هند عامر والأصح ما ذكرناه) وتفيد ان النبوة أنزلت على الرسول وهو ابن أربعين سنة. لكن الرواية تستمر في القول بعكس ذلك فتذهب إلى انه، كان قد أقرن بإسرافيل ثلاث سنين ثم عزل عن إسرافيل وأقرن بجبرئيل عشر سنين في مكة وعشر سنين مهاجرة في المدينة فقبض عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة[٣].

المهم ان محمد بن سعد» قد عرض هذه الرواية علد شيخه الواقدي\ للاطلاع على رأيه فأجاب الواقدي «ليس يعرف أهل العلم ببلدنا ان إسرافيل قرن بالنبي، وان علماءهم وأهل السيرة (في مرات عدة ترد في المصادر أهل الستر وهو خطأ). منهم يقولون لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى ان قبض»[٤].

---

(١) الطبري تاريخ ج٢ ص٤٢ - ٤٣.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٣ ص٨ السيرة النبوية ج١.
(٣) ابن سعد، طبقات ج ١ ص١٩١.
(٤) م.ن. ج ١ ص١٩١.

٥ - رواية ابن الجوزي الذي لم يشر إلى مصدره يقول: «لما تمت له، أربعون سنة ودخل في سنة إحدى وأربعين يوما واحدا أوحى عَزَّوَجَلَّ إليه[١] وأضاف ابن الجوزي ما نصه «وقد اختلف الناس فيمن كان قرين رسول الله من الملائكة» ونقل رواية داوود بن أبي هند عن عامر قوله: «ان رسول الله أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فكان معه إسرافيل ثلاث سنين عزل عن إسرافيل وقرن به جبري عشر سنين بمكة وعشر سنين مهاجرة» ثم كرَر قول ابن سعد في عرض الرواية على شيخه الواقدي فاجاب ليس يعرف أهل العلم ببلدنا على انه قرن بالنبي، فان علماءهم وأهل الستر (والاصح السيرة) منهم يقولون لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى ان قبض[٢].

٦ - رواية تفيد بأن عمر الرسول عند البعثة كان أربعين سنة وشهرين.

---

(١) المنتظم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر، طبعة أولى دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢. جـ ٢ ص٢٥٣.

(٢) المنتظم، جـ ٢ ص٢٥٣.

روايات عن اليوم والشهر الذي بعث به

ومع شيوع حديث الرسول، بين الصحابة مشيراً إلى يوم الاثنين «ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه، أو أُنزل عليَ فيه» لكن الآراء تباينت عن أي الأثانين من رمضان، وتباينت في تحديد يوم وشهر آخر وهي: -

١ - رواية عروة عن عائشة أن النبي، قد نبئ يوم السبت والأحد وجاءته الرسالة يوم الاثنين لسبع عشر خلت من شهر رمضان[١].

٢ - رواية عبد الله بن عباس انه يوم الاثنين[٢]. ورواية أنس تتفق مع ذلك[٣].

٣ - أما الرواية التي وردت عن عبد الله بن أبي فروة عن أبي جعفر قوله نزل الملك بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان[٤].

٤ - ورواية اليعقوبي التي لم تشر إلى مصدرها ان الرسول بعث «لما استكمل أربعين سنة». وكان مبعثه في شهر ربيع الأول وقيل في رمضان[٥]. ونقل اليعقوبي رواية الخوارزمي الذي حدّد مبعثه،

---

(١) ابن هشام: السيرة حـ١ ص١٥٨/ ابن الجوزي المنتظم جـ ٢ ص٢٥٤.

(٢) ابن سعد طبقات جـ ١ ص١٩٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات، جـ ١.

(٤) ابن سعد: الطبقات، جـ ١ ص١٩٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي دار صادر، بيروت مجلد ٢ ص ٢٢ - ٢٣.

تحديداً فلكياً قائلاً إن جبريل أتاه ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين. وقال بعضهم يوم الخميس.

وأشار إلى رواية الإمام الصادق ان اليوم هو الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك فقد صار الجمعة عيد المسلمين[(١)]. واعتماداً على رواية اليعقوبي ان إسرافيل وُكّل بالرسول، ثلاث سنين وجبريل عشرين سنة، وقيل ان جبريل ما زال موكلاً به ولم يحدد مدة (ما زال) أهي تمثل مدة حياة المصدر الذي اعتمده أم مدة حياة اليعقوبي في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[(٢)]؟.

٥ - وللتأكيد على يوم الاثنين هناك رواية حلقتها السندية الأخيرة أبو قتادة الأنصاري حول سؤال وجهه أحد الصحابة للرسول الكريم عن صيام يوم الاثنين فكان جوابه، «ذلك يوم ولدت فيه ويوم بُعثت فيه، أو أنزل عليّ فيه». ووردت رواية أخرى عن أبي قتادة بهذا الفحوى مفادها ان عمر بن الخطاب قد سأل النبي عن صوم الاثنين فأجاب، «ذاك يوم ولدت فيه ويوم أنزلت عليَّ فيه النبوة»[(٣)].

٦ - وفي رواية ثانية عن عبد الله بن عباس ولكن عن طريق حنش الصنعاني لا عكرمة قوله: - ولد النبي يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين، وعلَق الطبري على ذلك بقوله: «وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم واختلفوا في أي الاثانين، فالبعض قال نزل القرآن على الرسول لثماني عشرة خلت من رمضان وهي رواية أبي قلابة

---

(١) تاريخ اليعقوبي دار صادر، بيروت مجلد ٢ ص ٢٢ - ٢٣.
(٢) م.ن ج٢ ص٢٢ - ٢٣.
(٣) م.ن. ج ٢ ص٤٣، الطبري: تاريخ ج ٢ ص٤٣ - ٤٤.

عبد الله بن زيد الجرمي. اما آخرون فيرون ان نزول الوحي كان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان بحسب رواية قتادة بن دعامة السدوسي عن أبي الجلد. والبعض الثالث يقول بنزول الوحي في السبع عشرة خلت من رمضان مستشهدين بآية يوم الفرقان[1]. علما بان ابن إسحاق أورد رواية قال فيها حدَثه الإمام أبو جعفر محمد بن علي ان يوم الفرقان الذي التقى فيها رسول الله بالمشركين في بدر كان يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان وليس يوم الاثنين[2]. على الرغم من ان الإمام لم يشر إلى انه يوم نزول الوحي[3]، فالإمام هنا يصحح فقط ما ورد بشأن معركة بدر على أنها قد وقعت صبيحة يوم الجمعة[4]، وبحسب روايته اتى الوحي يوم الاثنين بالرسالة لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه[5] وعنه برواية عبيد بن عمير كان نزول الوحي يوم الاثنين وقيل من شهر ربيع الأول[6]

٧ - وفي رواية منفردة لابن الجوزي فان الشهر هو شهر رجب، أو السابع والعشرون منه لا رمضان[7].

٨ - وقد أجمل ابن سيد الناس الاختلافات على الوفق الآتي:

---

(١) الطبري ج ٢ ص٤٤/ ابن الجوزي ج ٢ ص٢٥٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٣) ابن هشام، السيرة جـ١ ص١٥٨.

(٤) الطبري، تاريخ جـ٢ ص٤٤.

(٥) ابن كثير، السيرة النبويةحـ ١ ص٣٢٩، البداية والنهاية جـ٣ ص١٠.

(٦) م.ن. جـ٢ ص٣٩ ابن سيد الناس: تحبون الأثر جـ١ ص١١٩.

(٧) المنتظم جـ ٢ ص٢٥٤ ابن سيد الناس: عيون الأثر جـ ١ص١١٩.

أ - يوم الاثنين (، أو ليلة الاثنين) لسبع في رمضان.

ب - لسبع عشرة قضيت من رمضان.

ج - في السابع والعشرين من رجب

د - الاثنين لثمان من ربيع الأول سنة ٤١ هجرية في عام الفيل[١].

(١) ينظر عيون الأثر: جـ١ ص١١٩.

ردود فعل توفيقية

إن المرويات السابقة تعكس اختلافات بيّنة بين الرواة الصحابة المعول عليهم بشأن عمر الرسول الكريم عند البعثة، وكذلك بشأن اليوم، أو الليلة، أو الشهر الذي أنزلت فيه الرسالة السامية. ومع وجود هذه التباينات وإقرار علماء السيرة بوجودها لكنهم لم يبدوا موقفاً محدداً قي ترجيح احداها على الأخرى فيما عدا الموقف الذي بذله البعض في محاولة التوفيق، أو رأب الصدع بين رواية هشام بن عروة - الزهري، أو عروة بن الزبير - عائشة وبين رواية عن عبد الله بن عباس، أو عن سعيد بن المسيب وآخرين إزاء تحديد عمر رسول الله أكان أربعين سنة، أو عند استكمال الأربعين سنة، أو أربعين سنة ويوم، أو أربعين سنة وشهرين، أو ثلاث وأربعين سنة؟ وكذلك فيما إذا قرن رسول الله بإسرافيل مدة ثلاث سنين في مكة ثم قرن به جبريل لعشر سنين في مكة، ومثلها في المدينة. ، أو بين تلك الرواية والرواية الفريدة الوحيدة عن ابن عباس أيضاً بأنه، قضى خمس عشرة سنة في مكة وليس عشر سنين، أو ثلاث عشرة سنة.

فبعض علماء السيرة وجدوا في رواية عروة - عائشة إغفال، أو تغاضي عن السنوات الثلاث التي قرن الرسول بها بإسرافيل وهي مدة مهمة لا يمكن المرور عليها دون ذكرها ورأى هؤلاء بأنها تشكل ثغرة في التعارض، أو التضادد بين مرويات حلقة متميزة من تاريخ الرسالة الإسلامية، لذلك حاولوا التدخل في إيجاد توفيق مناسب.

فكيف يا ترى كانت محاولتهم؟ فابن حبَان البستي خصَص في صحيحه عنواناً واضحاً مصَرحاً بانتقاده أولئك الذين وجدوا تناقضاً بين الروايتين (رواية عروة من جهة ورواية ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهم من جهة ثانية)، والعنوان هو «ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث انه يضاد خبر عائشة المتقدم ذكره بالنسبة إلى أول آية نزلت على رسول الأمة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[1]. ثم يستمر ابن حبَان في نقده مشيراً إلى رواية يحيى بن أبي كثير إذ سأل أبا سلمة بشأن أول آية فأجاب أبو سلمة انها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[2]. لكن يحيى استعلم ثانية بان رواية أم المؤمنين ترى انها (اقرأ. . .) فكان جواب أبي سلمة بانه اعتمد على ما قاله الصحأبي المعروف جابر بن عبد الله الأنصاري. حينئذ عقب البستي قائلاً: «وليس بين هذين الخبرين تضاد إذ الله عَزَّوَجَلَّ انزل على رسوله اقرأ باسم ربك في غار حراء فلما عاد إلى بيته دثرته زوجه فأنزلت عليه آيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فالنتيجة التي وصل إليها البستي هي: «من غير ان يكون بين الخبرين تهاتر، أو تضاد»[3]. وواقع الحال فان البستي هو الآخر قد تغافل بقصد، أو بدونه نقطة الاختلاف الرئيسة وهي عمر الرسول عند البعثة، فالتضاد يبقى موجوداً بين الروايتين في هذه الحال.

لهذا فان محاولة ابن كثير (في السيرة النبوية)، أو في كتابه (البداية والنهاية)، هي محاولة أكثر دقة ومباشرة. انه أولاً يعلق على رواية (الثلاث والأربعين سنة) وهي رواية عامر الشعبي عن مرافقة

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١.

(٣) صحيح ابن حبّان ج ١ ص٢٢١.

الملك إسرافيل الرسول لثلاث ثم قرن به جبريل لثلاث أخرى فتصبح مدة مكوثه في مكة ثلاث عشرة سنة، هنا يتدخل ابن كثير قائلاً: «وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فانه قد قال، وحديث عائشة لا ينافي هذا فانه يجوز ان يكون أول أمره رؤيا ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يختلي فيها بغار حراء كان الملك يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه الا تدريجاً به وتمرناً إلى ان نزل عليه جبريل فعلمه بعد ان غطه ثلاث مرات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل»[1]. وتعقيباً على ذلك فهي محاولة من أبي شامة غير موفقة أو غير ناجحة في التوفيق فانه يطعن بعالمية أم المؤمنين إذ انها لم تتحدث عن مدّة إسرافيل اختصاراً وهذا جدل ضعيف وذلك باعتبار أن أم المؤمنين مصدراً أساسا في مسألة الوحي، اما محاججته الثانية فتكاد تكون اضعف من الأولى بكثير لأنه يقلل من عالمية السيدة عائشة بأنها لم تقف على قصة إسرافيل ولم تعرف بها في الوقت الذي عرَفت به عند علماء الحديث وعلماء التراجم بأنها اعلم (وليس من اعلم) الناس بحديث رسول الله.

كذلك يتطرق ابن كثير في هذه المسألة في مكان آخر من رواية عروة - عائشة تلك المتعلقة بورقة بن نوفل - الذي سنقف عليه مفصلاً لاحقاً - عندما لقي رسول الله وهو يطوف حول الكعبة واستفسر منه، عن لقائه مع الملك فيقول، إبن كثير ما نصه (وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير أنا ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة، كما تقدم من قول عائشة فكان لابد من أن يرى رؤيا إلا

(١) السيرة النبوية جـ ١ ص٣٨٧.

جاءت مثل فلق الصبح، ويحتمل إن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلتئذ[١] . ثم يكرر إبن كثير هذين الموقفين التوفيقيين في كتابه (البداية والنهاية)[٢] .

فضلاً عن إبن كثير فان ابن سيد الناس هو الآخر قد أدلى برأيه بخصوص عمر الرسول، فيقول «حديث أنس ان الرسول، بعث على رأس أربعين المتفق عليه بين أهل النقل مما فيه إقامته عليه السلام بالمدينة عشراً، وإما إقامته بمكة فمختلف في مقدارها واما سنَه عليه السلام حين نبئ فالمروي عن أبن عباس (الذي قدر سنَه بثلاث وأربعين، أو حتى خمس وأربعين) وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم وعطاء وسعيد بن المسيب (الذين اتفقت رواياتهم مع رواية أبن عباس بأنه، كان في الثلاث والأربعين من عمره) كالمروي عن أنس وهو الصحيح عند أهل السير وغيرهم (مع ملاحظة ان رواية أنس لا تتفق مع تلك المرويات وتؤكد سن الأربعين فقط). المهم ان ابن سيد الناس قد دمج الروايات جميعاً دون، حتى التلميح إلى الاختلافات بينها. وفوق كل ذلك فان ابن سيد الناس قد غفل إدراج السيدة عائشة ضمن قائمة العلماء المذكورين آنفاً. واكتفى فقط بالجمع بين الاختلافات في موضوع مهم ألا وهو أكان الرسول، نائماً في حال تلقي الوحي أم يقظا؟ فيقول: «ولا تعارض لجواز الجمع بينهما بوقوعهما معاً ويكون الاثنان في النوم توطئة للإتيان في اليقظة»[٣] .

---

(١) السيرة النبوية جـ ١ ص٤٠٥ .

(٢) ج ٣ ص٧، ٨.

(٣) عيون الأثر ج ١ ص١١٩ ، ١٢٠ .

المبحث الثاني

الوحي

من بين أهم النقاط التي توصلنا إليها في المناقشة في المبحث الأول هي: -

١ - كان الرسول، على غير عادة الجاهليين في مكة (على الرغم من وجود رأي مخالف بأنه كان يتحنث على عادة الجاهليين) يعتزل قومه تعبداً وتحنثاً واستنكاراً لعادات قومه وممارساتهم الوثنية.

٢ - وكان أيضاً وهو صبي، أو خلال عمله راعياً للغنم، أو في التجارة يرى ويسمع ويشاهد علامات وأدلة تدل على نبوته، وقد تعرض إلى عملية شق البطن وهو في هذه المرحلة.

٣ - والاهم انه، كان قبل نزول أول آيات من الذكر الحكيم من جبرئيل مرتبطا بملك آخر لمدة ثلاث سنوات، كان فيها هذا الملك يعلمه ويمرنه تدريجاً ويلقي إليه الكلمة بسرعة لكنه لم ينَزل عليه آية من القرآن الكريم.

فالرسول، في هذه الحال كان على اتصال بالله سبحانه وتعالى من خلال الملك إسرافيل، أي انه، كان ذا معرفة روحانية واتصال مباشر بالملائكة الخَيريين ولم يكن حادث شق البطن، أو الغمامة

التي كانت تظلله، أو تحيات السلام التي كانت الأشجار والأحجار تحييه بها عند مروره وهذه جميعاً ليست مجرد رؤى، أو أحلام انما أحداث مادّية ملموسة عرّج عليها المؤرخون والعلماء والمفسرون في أثناء حديثهم عن المعجزات النبوية.

فمن هذا المبدأ نعرض رواية الوحي عند مرويات الصحابة والتابعين التي ستكون هي الأخرى متباينة ومتعارضة بالنسبة إلى أوصاف الوحي وأوصاف العلاقة الروحانية التي كانت تربط بين الملك ورسول الله. ومماثلة بالمنهج نفسه الذي اتبع في موضوع المبعث فهناك على الأقل ثلاث مجموعات رئيسة من المرويات وهي بدورها قد تتفرع إلى فروع عدة.

أولا: - الرواية التأسيسية الأولى التي اعتمدها علماء السيرة والمغازي مثل ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وهم من مؤرخي السيرة الأوائل يرجع سندها إلى الزهري عن عروة عن عائشة وأحياناً يضاف هشام بن عروة (الزهري عن عروة عن عائشة، وأحياناً أخرى يسقط اسم عروة (ربما خطأ) فتصبح سلسلة السند عند ابن إسحاق عن الزهري عن عائشة مباشرة (والأصح لابد من ان يكون عن الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت. . .).

ولهذه الرواية فرعان: -

أ - الفرع الأول عبارة عن رواية لازمت رواية السيدة عائشة قد وردت عبر سلسلة السند الآتية: -

مالك بن انس عن هشام عن عروة عن عائشة قالت «ان الحارث ابن هشام قال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله: أحياناً يأتيني في مثل صلصله الجرس وهو أشده علي فيفصم عني

وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً». ولقد أورد هذه الرواية التي تعلن صراحة عن رؤية الرسول للملك وهو في حالة يقظة تامة ابن سعد في الطبقات والبخاري في الصحيح وابن حبّان في الصحيح وابن الجوزي في المنتظم وآخرون[1].

٢ - الفرع الثاني: من الرواية الزبيرية وهي الرواية المشهورة عن نزول الوحي عبر السلسلة السندية المعروفة التي قدمها محمد بن عمر الواقري (عبر تلميذه ابن سعد)، عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: (كان أول ما بدأ به رسول الله، من الوحي الرؤيا الصادقة (أحياناً تذكر الصالحة)، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، قالت فمكث على ذلك ما شاء الله وحبَب إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه منها وكان يخلو بغار حراء (يلاحظ عدم الترابط في القول بين رؤيا إلى حبَب إليه الخلو إلى ما شاء الله. . . . .)[2].

---

(١) ينظر طبقات ج١ ص١٩٧، صحيح، مطبعة دار الطباعة العامرة أسطنبول دار الفكر ١٩٨١، ج١ ص٢، صحيح ابن حبان جا ص٢٢٥ المنتظم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر طبعة أولى دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ جـ ٢ ص٢٥٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات جا ص١٩٤، ابن هشام، السيرة جا ص ١٥٣، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص٤٧، المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ ص١٤١، ابن الجوزي، المنتظم ج٢ ص٢٥٣، ابن كثير، السيرة النبوية ج ١ ص٣٨٥، وكتابة الآخر البداية والنهاية جـ ٣ ص٥، ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ق٢ جزء ٢ ص٦، ابن سيد=

ويلاحظ ان ابن سعد وابن هشام قد استقيا هذه الرواية من الواقدي وان كليهما أوهو امر غريب - يقطع الرواية حينما تصل إلى غار حراء ثم يحولا الحديث إلى روايات أخرى لا شأن لها باستمرارية الحدث المهم المنسي في الرواية الأصلية وهو نزول الوحي مثل رواية عبدالله بن عباس، أو رواية محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن جارية الثقفي. باستثناء الطبري واخرين وانهم أيضاً استقوها من مصدر غير الواقدي أمثال أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء عند الطبري واحمد بن حنبل عند ابن الجوزي ويحيى بن بكير عند البخاري وابن كثير واحمد بن عمرو أبو طاهر عن يونس بن بكير عند صحيح مسلم والنعمان بن راشد عند جامع البيان ومحمد بن الحسن بن قتيبة عند صحيح ابن حَبَان إذ تستمر رواياتهم التي انقطعت معلوماتها عند ابن سعد وابن هشام، والظاهر ان رواية يونس بن بكير الراوية الآخر لسيرة ابن سحاق قد دوَن الرواية كاملة بينما قطعها زياد البكائي الراوية الذي اعتمدة ابن هشام لسيرة ابن إسحاق. فالطبري على سبيل المثال يضيف إلى رواية عروة ما نصه (فكان، بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع إلى أهله ثم يرجع إلى أهله (ويبدو انها مكررة وزائدة) فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق فاتاه)[1].

= الناس، عيون الأثر جـ ١ص١١٢، ومن مؤلفات الصحاح صحيح البخاري جـ١ ص٣، صحيح مسلم جـ١ ص٩٧، الطبري، جامع البيان جـ ٣ ص٣١٨، القرطبي، أبو عبدالله، الجامع لأحكام القرآن جـ ٢٠ ص١١٨، صحيح ابن حَبان البستي جـ ١ص٢١٦.

(١) تاريخ جـ٢ ص٤٧.

وقد اكتفى المقدسي بالقول مكملا جملة (فلم يكن أحب إليه ان يخلو وحده ثم جاء الملك وكان قريش (ولعل الاصح وكانت) يتحنث بحراء في رمضان وكان رسول الله، يفعل ذلك لانه من البر (كذا ولعل الاصح من أعمال البر) فبينما هو عاكف بحراء ومعه التمر واللبن يطعم الناس ويسقيهم إذا استعلق له جبرائيل ليلة السبت)[١]، كذلك الحال بالنسبة إلى رواية ابن الجوزي التي تشابه رواية الطبري مع تبديل في بعض الكلمات: - وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليلي ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها، حتى فاجأه الحق وهو في غار فجاءه الملك فيه»[٢] نلحظ ان رواية ابن الجوزي متقطعة وغير مترابطة وانه اعتمد وربما الطبري أيضاً على رواية البخاري في الصحيح). وتوضح رواية ابن كثير ما سقط من تعبيرات ادت إلى عدم انسجام الفكرة في تلك المرويات إذ يقول (فيتحنث فيه - وهو التعبد - ليالي ذوات العدد قبل ان ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها (نلاحظ ان جميعهم قد كرر الجملة مع انها واحدة)، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال...)[٣] مع ان ابن كثير في كتابه الآخر البداية والنهاية يقطع قوله (مثل فلق الصبح) دون ذكر التحنث[٤].

اما رواية ابن خلدون المتأثرة بما أورده الطبري فقد رويت

---

(١) البدء والتاريخ ص ١٤١.
(٢) المنتظم جـ ٢ ص٢٥٤.
(٣) السيرة النبوية جـ ١ ص٣٨٥.
(٤) البداية والنهاية جـ٣ ص٧.

بشكل مشوش إذ انه بعد ان يستهل الرواية بصورة مماثلة وهي (مثل فلق الصبح ثم تحدَث الناس بشأن ظهوره ونبوته ثم حببت إليه العبادة والخلوة بها فكان يتزود للانفراد، حتى جاء الوحي بحراء)[(١)] ولعل ابن خلدون أراد بهذه الرواية الاختزال فخلط بين التحنث وبين تحدَث الناس بخصوص ظهور النبي.

فاتساق رواية الطبري مع ما أولى به البخاري في الصحيح يفيد القول بانه قد تأثر بها[(٢)] ومن المناسب الإشارة أيضاً إلى تأثر ابن الجوزي برواية البخاري.

ورواية مسلم النيسابوري تكرر مارواه البخاري مع وجود خطأ خفيف في رواية مسلم إذ قال: «ثم حبَب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتنحث فيه وهو التعبد الليالي اولات العدد(الصحيح ذوات)[(٣)].

اما تفسير ابن جرير الطبري فان مؤلفه ينقل الرواية التي ذكرها في تاريخ الرسل والملوك[(٤)] كذلك الحال بالنسبة إلى ما ورد في صحيح ابن حَبان البستي فهو يكرر رواية البخاري[(٥)].

لذلك يصبح واضحاً بان رواية البخاري في الصحيح هي الرواية التي اعتمد عليها مؤلفو الصحاح والمساند وإلى حد ما التفاسير.

---

(١) تاريخ ق ٢ جـ ٢ ص٦.
(٢) ينظر للمقارنة صحيح البخاري جـ ١ ص ٣.
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٨.
(٤) جامع البيان جـ ٣ ص ٣١٨.
(٥) صحيح جـ ١ ص ٢١٦ - ٢١٧.

والغريب هو لماذا أوقف الواقدي وابن سعد ابن هشام، أو قطعوا رواية التحنث ألأنها لم تكن في الأصل ضمن بنية رواية عروة - عائشة، أم انهم لم يعتقدوا باهميتها، أو بعلاقتها بصلب الحديث عن بداية الوحي؟ والملاحظة الأخرى وجود حالة التكرار او حال ذكر كلمات زائدة عن الحاجة في الرواية مثل قول الطبري كان، «يتحنث في الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع إلى أهله ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها»، أو «وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها» فالروايتان هما جملة واحدة لا كما يظهر في تلك الروايات.

وكما تم ذكره سابقاً فان محمد بن عمر الواقدي قد قطع رواياته فجأة بعد قوله: «إلى أن فاجأة الحق وهو في الغار «ثم انتقل إلى ذكر رواية عبد الله بن عباس كتكملة لموضوع الوحي ونزول أول آية، وتبعه في هذا المنهج ابن هشام. ولعل الصحيح ان الواقدي قد أخذها من ابن إسحاق ثم نقلها تلميذه ابن سعد منه مباشرة لورودها منقطعة أيضاً عند ابن هشام. ومن المحتمل ان ابن هشام خلال تهذيبه رواية ابن إسحاق الأصلية قد قطعها وذلك لأننا قد ذكرنا وجودها غير منقطعة في رواية يونس بن بكير وهو راوية آخر للسيرة النبوية الذي يبدو أنه قدم رواية كاملة غير مقطوعة بحسب رواية زياد البكائي الراوية الذي اتكأ على روايته ابن هشام. يقول الطبري»، حتى فجأه الحق فاتاه فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله، فجثوت لركبتي وانا قائم [يلاحظ ورود كلمة نائم في بعض الروايات] ثم ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني

زملوني، حتى ذهب عني الروع ثم أتاني فقال يا محمد أنت رسول الله قال فلقد هممت ان اطرح نفس من حالق من جبل فتبدى لي، حتى هممت بذلك [يلاحظ ان هذه الرواية ضعيفة البناء وتحتوي على أفكار خاطئة اهمها الخلط بين حادثتين مهمتين هما نزول الوحي وفتوره مدة اختلف في مدتها. في هذه المدة عانى رسول الله، من قلق وشدة وكما تعرض الروايات التي سنقدمها]. فقال يا محمد أنا جبريل وانت رسول الله ثم قال اقرأ قال فاخذني فغتني ثلاث مرات [فالطبري، أو الرواية التي اعتمدها اختزلت تفصيلات هذه الحادثة]، حتى بلغ مني الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرأت فأتيت خديجة فقلت لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري فقالت أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا ووالله انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكلَ وتقري الضعيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بيَ إلى ورقة بن نوفل بن أسد قالت أسمع من ابن أخيك فسألني فاخبرته خبري فقال هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قلت - مخرجي هم ؟قال نعم انه لم يجيء رجل قط بما جئت به الاعودي وليتني أدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم كان أول مانزل عليَ من القرآن بعد اقرأ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾[1] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[2].
حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال اخبرني يونس

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١، ٢.
(٢) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢.

عن أبن شهاب قال حدثني عروة ان عائشة اخبرته ثم ذكر نحوه غير انه لم يقل (ثم كان من أول ما أنزل عليَّ من القران إلى آخره)[1] فالملاحظة المهمة في هذا النص ما عرضه الطبري في الديباجة السندية فقد ارجعه إلى الزهري - عروة أعائشة ولكنه في الجزء الأخير منه اشار إلى اعتماده على سند يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة على انها(اخبرته) بنحو هذه الرواية. اما الملاحظة الأخرى فهي المتعلقة بالأسطر الأخيرة الخاصة بأول آية فهي تؤكد أن الطبري قد خلط بين روايات عدة لا يرجع سندها إلى عروة - عائشة مما أدى إلى ظهور اضطرّاب وغموض في نص الرواية، فضلاً عن ان النص احتوى على معلومات لم تذكر أساسا في رواية عائشة.
ولتوضيح هذا نراجع ما قدمه البخاري في صحيحه من رواية يحيى بن بكير عن الزهري عن عروة عن عائشة. فالبخاري يسرد الرواية بعد ذكره ما يلي (أول مابدئ به رسول الله من الوحي.. الخ الرواية) ثم يقول قالت (فجاءه الملك وقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فاخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم فرجع رسول الله (يلاحظ تبدل تعبير الخطاب من قلت أي الرسول الكريم، أو قال، إلى فرجع بدلا من فرجعت) يرجف فؤاده (وقيل في روايات

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص٤٧.

أخرى بوادره) فدخل على خديجة بنت خويلد، حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي (يلاحظ بوضوح كيف ان رواة الرواية قد وجهوا رواية الوحي إلى موضوع جانبي وغير مهم لا شيء الا التعريف الكامل بورقة الأسدي) فقالت له خديجة يا ابن عم أسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى (يلاحظ التعبير مشتق من الرؤيا ولم يكن موجوداً في بدء الرواية هذه) فاخبره رسول الله، ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل على موسى ياليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله، أو مخرجيّ هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي)[1] ومجرد موازنة بين هذا النص والنص الذي عرضه الطبري يتبين بجلاء الإضافات، أو الانقطاعات في سرد الرواية. فالرواية في واقع الامر رواية هادفة نحو تحقيق تعريف واف بورقة بن نوفل، وقد ادت دوراً متميزاً في هذا الشأن أكثر من الأداء الرسالي الحقيقي للرواية في نزول الوحي. وجاءت الرواية في صحيح مسلم عن طريق يحيى بن بكير طبق الأصل مع ما جاء به البخاري فيما عدا اغفال نص البخاري الآتي: (زملوني زملوني فزملوه، حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت علي نفسي فقالت كلا والله

---

(١) صحيح جـ ١ ص٣ - ٤.

ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكلَ وتكسب المعدوم وتقري الضعيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت (بدلاً من، حتى أتت به) به خديجة، حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى. . الخ الرواية)[1] والملاحظ ان رواية مسلم أقرب من ناحية المحتوى من رواية الطبري التي اعتمد فيها النعمان بن راشد وهو يحدَث الزهري عن عروة عن عائشة. (ينظر نص الرواية السابق) والغريب ان كلاً من البخاري ومسلم يقطعان الرواية بخبر ورقة بن نوفل من غير ان يستمرا في إكمال الحديث الأساس حول الوحي وينتقلان إلى ذكر رواية جابر بن عبد الله الأنصاري المتباينة في معلوماتها مع معلومة رواية عروة - عائشة دون الإشارة إلى إن هناك معلومات أخرى في روايتيهما - (اقصد عروة - عائشة).

وترد هذه الرواية في جامع البيان للطبري متطابقة تماماً لما جاء في الرواية التاريخية معتمدا فيها أيضاً على النعمان بن راشد بأنه سمع الزهري عن عروة عن عائشة، على الرغم من وجود اختلافات يسيرة في بعض التعبيرات فقد ذهبت رواية الطبري في الجامع إلى القول (، حتى فجأه الحق فأتاه فقال: يامحمد أنت رسول الله قال رسول الله، فجثوت لركبتي وانا قائم ثم رجعت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة. . . . . الخ القول» فقد سقطت هذه التعبيرات من نص الطبري في التاريخ ويبدو ان سقوطها لم يكن سهوا لأنها إذا ما أعيدت إلى رواية تاريخ الطبري نجدها لا تنسجم. كذلك فان نص الطبري في (الجامع) قد أدخل حالة لم تقع الآن - اقصد في مدة

---

(١) صحيح مسلم جا ص٩٧ - ٩٨.

الوحي - انما جاءت بعد فتور الوحي فيقول الطبري، (حتى ذهب عنيَ الروع، ثم أتاني فقال يا محمد أنا جبريل وانت رسول الله. قال: فلقد هممت ان أطرح نفسي من حالق من جبل فتمثل الَي حين هممت بذلك)[١] وتستمر رواية جامع البيان على الصيغة التي نصَت عليه الرواية في تاريخ الطبري.

وتذهب رواية القرطبي في التفسير إلى الاتجاه نفسه الذي ذهبت إليه رواية البخاري تماما، مع العلم ان القرطبي اوقف نص روايته بذكر أول آية نزلت وهي (اقرأ)[٢] وكذلك هو الحال بالنسبة إلى رواية ابن حَبَان في الصحيح إذ انه استقى معلوماته من البخاري على الرغم من ان سلسلة سند ابن حَبان لاتشير إلى البخاري بل إلى محمد بن الحسن بن قتيبة[٣].

إذن أقول بأنه على وفق ما تم ذكره في الروايات السابقة تبقى رواية عروه - عائشة عن الوحي، وهي الرواية التي جاءت اولا في صحيح البخاري وليس في المؤلفات التاريخية، الرواية المعول عليها. ، حتى ان ابن الجوزي في كتابه المنتظم وابن كثير في التفسير والسيرة النبوية قد نقلا الرواية[٤] وابن كثير يشير إلى ذلك صراحة إذ يقول (هكذا وقع مطولا في باب التعبير من البخاري)[٥] اما في

---

(١) جامع البيان ج٣ ص٣١٨.
(٢) تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٢ ص١١٨.
(٣) صحيح ابن حَبان ج ١ ص٢١٦ - ٢١٩.
(٤) المنتظم ج ٢ص٢٥٤، السيرة النبوية ج١ ص٣٨٥ - ٣٨٦.
(٥) السيرة النبوية ج ١ ص ٣٨٦.

البداية والنهاية فقد اعتمد ابن كثير على رواية البخاري ومسلم(١) وكان ابن سيد الناس هو الآخر الذي تأثر برواية البخاري(٢).

نخلص إلى القول بشأن الرواية التأسيسية عن الوحي ونزول أول آية من القرآن الكريم، الرواية التي ركزت على المسائل الآتية : -

١ - كان الوحي في بدايته عبارة عن رؤيا يراها الرسول، في نومه وكان يأتيه مثل فلق الصبح.

٢ - ثم تنتقل الرواية إلى موضوع لاحق عن حب الرسول للخلوة.

٣ - وماله علاقة بالسيدة خديجة فانها حالما سمعت الرسول يتحدث عما رآه، حتى (انطلقت بالرسول) إلى ورقة بن نوفل.

٤ - لذلك انعطفت هذه الرواية من المسألة الجوهرية إلى مسألة هامشية فركزت على ورقة بن نوفل ونسبه وسيرته وصولاً إلى قوله للرسول بان هذا هو الناموس الأكبر الذي نزل على موسى بن عمران عندئذ اطمأن الرسول. وخلال قول ورقة هناك تنبؤ أشار إليه ورقة ان قريش سوف تخرجه من مكة.

٥ - والرواية أيضاً شددَت على القول المنسوب إلى ورقة بأنه سينصر الرسول ويؤآزره ويدعمه وجعلته ملازما لما ورد في الرواية الذي نصَه (ثم لم ينشب أورقة - ان توفي وفتر الوحي). وكأن هناك استمرارية وملازمة بعدم تحقق أمنية ورقة وبين فتور الوحي. وهو امر يخالف تماماً استمرارية سرد رواية الوحي بعد الحادثة الأخرى

---

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص٧.

(٢) عيون الأثر جـ ١ ص١١٤.

التي مرُ عليها بحسب الروايات اما يوم، أو يومين، أو ثلاثة، أو سنتين، أو سنتين ونصف، حتى انقطع الوحي وفتر فنزلت لذلك آيات من سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[1].

من الجهة الأخرى فان روايات تاريخية تذكر صراحة عن بقاء ورقة بن نوفل حيا ولم يمت مباشرة بعد قوله ذاك وبعد طمأنته الرسول، وتمنياته بان يظل حيا لأجل نصرة الرسول، فهناك رواية عن هشام بن عروة عن أبيه عروة ان ورقة بن نوفل كان يمرَ على بلال الحبشي وهو يعذب من قبل الكفار تحت الشمس الحارقة وهو يقول أحد أحد، ويعلَق ابن كثير على ذلك قائلاً: (وهذا يقتضي ان ورقة تأخر إلى زمن الدعوة وإلى ان دخل بعض الناس في الإسلام)[2] وأورد ابن هشام رواية عن ابن إسحاق نصَها «كان ورقة بن نوفل يمرَ به - يقصد يمرَ ببلال - وهو يعذب»[3].

٦ - تؤكد الرواية على حالة الرسول، بعد نزول الوحي إذ أخذت بوادره (والبادرة لحمة بين المنكب والعنق، وعند آخرين غير أبي عبيدة هي عروق تضطرب اثناء الفزع) ترتجف وعاد إلى منزله وهو فزع خائف قد روَعه الحدث. هنا ورد التعبير الذي يعكس اضطرّابه زملوني زملوني، أو دثروني دثروني.

* * *

(١) سورة المدثر، الآية: ١.
(٢) البداية والنهاية جـ٣ ص١٤.
(٣) السيرة النبوية جـ١ ص٢١٠.

كان هذا الفرع من الرواية التأسيسية هو الأصل الذي تفرع منه روايات أخرى رويت عن طريق يمثل موالي العائلة الزبيرية. ومعلومات هذه الرواية وأحداثها تكاد تقترب مع رواية عروة - عائشة الواردة في سيرة ابن إسحاق وهي: -

أولاً - الرواية التي يرجع سندها عند ابن إسحاق إلى وهب بن كيسان مولى آل الزبير، أو مولى عبد الله بن الزبير ونصها قال وهب (سمعت عبدالله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير قتادة الليثي، حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله، من النبوة حين جاءه جبريل؟ قال عبيد - وأنا أي وهب حاضر أيحَدث عبدالله بن الزبير ومن عنده من الناس، كان رسول الله، يجاور في حراء من كل سنة شهراً. وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية. فكان رسول الله، يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاء من المساكين، فإذا قضى رسول الله، جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به الكعبة قبل ان يدخل بيته فيطوف بها سبعا، أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر.... خرج رسول الله، إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله (هذه المعلومة جديدة ولكنها في الواقع تتضارب مع المعلومات الآتية لاحقاً)، حتى إذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاء جبري بأمر الله، قال رسول الله، (يلاحظ ان الرواية قد ابتدأت بان عبيد بن عمير هو المتحدث لا رسول الله).

فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب (هي جملة غير مترابطة الا في حالة فهمها ان جبريل كان بنمط من ديباج وفي يده كتاب) فقال اقرأ، قال: قلت ما اقرأ؟ قال فغتني (في الرواية

الأولى فغطني وربما يفهم منه فغتني به الا النمط من الديباج، أو الكتاب والأصح الأول) به، .حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال :اقرأ، قال فغتني به، حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال: اقرأ قال، قلت ماذا اقرأ؟ ه، حتى ظننت أنه الموت، ثم ارسلني فقال: إقرأ قال، ماذا اقرأ؟ ما اقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع بيَ فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[1] قال: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي (يلحظ قول الرسول السابق ان هو الا افتداء. . . الخ يشير إلى انه، كان متيقظاً لا نائماً) فكأنما كتبت في قلبي كتاباً، قال: فخرجت، حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء انظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فوقفت انظر إليه فما اتقدم وما أتأخر. وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء قال: فلا انظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فمازلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما ارجع ورائي، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي (الجدير ذكره ان الرواية بدأت - ومعه أهله - أي ان عائلته كانت على علم بخلوته فضلاً عن ان جبريل جاء الرسول ليلاً وهو نائم) فبلغوا اعلى مكه ورجعوا إليها (بمعنى انهم لم يعثروا على رسول الله إذن كيف يتوازن هذا الكلام مع فبعثت خديجة رسلها في طلب الرسول. . . .الخ) وأنا واقف في

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً إلى أهلي، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها فقالت: يا أبا القاسم اين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك، حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا إليَ. ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت أبشر يا ابن عمي وأثبت فو الذي نفس خديجة بيده اني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة (يلاحظ في تعليق السيدة خديجة انها كانت تؤمن بالوحدانية وحدانية الله تعالى وكانت تتوقع ظهور نبي. في حين يقدم تعليق ورقة بانه وحده يعرف ذلك لأنه كان يقرأ في التوراة والانجيل) ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت (فالإشارة تؤكد انها أنطلقت وحدها ولم يكن الرسول برفقتها) إلى ورقة وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله، انه رأى وسمع فقال ورقة قدوس قدوس (وفي مرويات أخرى الناموس الناموس، أو سبَوح سبَوح) والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الأمة. فقولي له، فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله فأخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها (الملاحظ بأنها جملة ليس لها علاقة بالهدف من عودة السيدة خديجة إلى الرسول، غير أنها جملة ستعود إلى مشهد آخر من مشاهد ورقة والرسول الكريم) فلقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة (يلاحظ انه كان نصرانياً ويطوف حول الكعبة ثم انه كان أعمى بحسب الرواية) فقال يا ابن أخي اخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره فقال ورقه والذي نفس ورقة بيده انك لنبي هذه الأمة. ولقد جاء

الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه (ربما يقصد الأمة). ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله إلى منزله[1].

وروى أبو جعفر الطبري رواية وهب بن كيسان عبر محمد بن إسحاق أيضاً وقد ذكرها نصا مع وجود اختلافات طفيفة جداً مثل «ثم انصرف عني» في رواية الطبري وبحسب رواية ابن هشام (فانصرف عني). كذلك وردت عند ابن هشام (فقرأتها) أي الآية الكريمة وبحسب الطبري (فقرأته) ومع كل ذلك فان نص الطبري يتضمن إضافة غير موجودة في نص ابن هشام (ابن إسحاق) تعقب مباشرة جملة «وكأنما كتب في قلبي كتاباً» هي «قال ولم يكن من خلق الله أحداً ابغض إليَ من شاعر، أو مجنون كنت لا أطيق ان انظر إليهما قال، قلت ان الأبعد يعني نفسه لشاعر، أو مجنون لأتحدث بها عني قريش أبداً لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن منه فلأقلنها (الأصح فلأقتلنها) فلأ ستريحن» (هذه الجملة الإضافية في رواية الطبري ربما جاءت في رواية يونس بن بكير راوية سيرة ابن إسحاق الآخر، في حين كانت معلومات الروايات السابقة مأخوذه من رواية راوية السيرة زياد البكائي وهو الذي اعتمد عليه ابن هشام في تهذيب سيرة ابن إسحاق. والجملة في الواقع تفسر بتفسيرين الأول منهما انها تلقي ضوءاً على الاضطرّاب الواقع في رواية الطبري نفسه تلك التي انتهت حلقتها السندية الأخيرة بالنعمان بن

---

(١) ابن هشام، السيرة، جا ص١٥٥ - ١٥٦.

راشد)[1]. فضلاً عن ان مقولة رسول الله تؤكد على حساسية ان يتهمه القريشيون عندما انتشر حديث الوحي بشاعر، أو مجنون، فان كان ذلك صحيحاً فانه تمنى ان يلقي بنفسه من أعالي الجبل لئلا تشمت به قريش. ومن المحتمل ان ما ورد في هذه الرواية بشأن اتهام قريش انه شاعر، أو مجنون ما نقل من قصته تفيد ان الوليد بن المغيرة اجتمع في وليمة بقريش وسألهم عن الرسول فقال بعضهم انه ساحر وقال البعض الآخر انه ليس بساحر انه شاعر، وأخيراً اجمع رأيهم ان الذي يقوله سحر يؤثر. فلما بلغ ذلك النبي حزن حزناً شديداً وقنّعَ رأسه وتدثر فانزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[2] [3] فلعل الرواية التي ذكرها ابن هشام من قول الرسول، «لم يكن من خلق الله أحداً ابغض ليَ من شاعر، أو مجنون. . . . .الخ «تتعلق بهذا المضمون الذي يدل على استمرارية في تسلسل الأحداث. فالرسول بعد عودته من غار حراء وانتشار خبر الوحي اجتمعت قريش للقيام بمحاولة لرد الفعل، فاتخذوا في هذه المرحلة المتقدمة من نزول أول آية السلاح النفسي لاحباط الدعوة وزرع حالة الشك لاسيما بعد فتور الوحي للتشفي من رسول الله فاعلنوا انه ساحر، أو مجنون واسمعوا عبدالله بن عباس قرارهم بغية ان يسمع به الرسول.

وتستمر رواية الطبري عن وهب (قال فخرجت أريد ذلك أو يقصد أعالي الجبل لكي يلقي نفسه من أعلاه -، حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول

---

(١) سورة المدثر، الآية: ١.

(٢) جـ ٢ ص٤٧ وتقارن مع صفحة ٤٩.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت ١٤١٢هـ جـ ٤ ص ٤٧٠.

الله وأنا جبريل قال، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء). والطبري من هنا يتابع رواية ابن هشام حرفياً، حتى يصل إلى نهاية القول عندما قابل رسول الله، ورقة بن نوفل وهو يطوف حول الكعبة كعادته، وان ورقة طمأن الرسول بعدها انصرف إلى منزله. غير ان الطبري يضيف إلى تلك الرواية إضافة غير موجودة في أصل رواية وهب بن كيسان ونصها (وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً وخفَف عنه بعض ما كان فيه من الهَمّ)[1].

وأورد المطهر المقدسي رواية وهب بحسب رواية عبيد بن عمير الليثي بشيء من الاختزال وبعض التحوير في الكلام قال المقدسي (وذكر بعضهم انه قال أتاني رجل وفي يده سمط ديباج (هذا يوضح الغموض الذي اكتنف الرواية التي سقناها تواً) وأنا نائم فركضني برجله (هكذا وليس كما جاء في المرويات فغتني) وقال اقرأ ففعل ذلك مرة، أو مرتين (في المرويات ثلاث مرات) ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق..... إلى آية ما لم يعلم..... ثم قال أبشر فانا جبريل وانت نبي هذه الأمة وصلى به ركعتين (لم ترد هذه العبارة في أصل رواية وهب فيحتمل انها نقلت من راوية آخر لسيرة ابن إسحاق) ويعقب المقدسي ان رواية عبيد بن عمير بن قتادة الليثي وهو الراوية الذي كان عبد الله بن الزبير قد وجه إليه سؤال الوحي وان وهب بن كيسان كان مجرد سامع لحديث عبيد مع عبد الله بن الزبير ونقل ما سمع على شكل رواية قال: «وفي رواية عبيد بن عمير

---

(١) تاريخ جـ ٢ ص٤٨ - ٥٠.

الليثي انه - يعني جبريل - أتاه وهو نائم ولم يذكر انه ركضه برجله قال فاتيت خديجة وقدهالني من رأيت وكأنما كتاب كتب في قلبي (يلاحظ اضطرّاب هذه الجملة موازنة بأصل رواية وهب) وقلت اخشى ان اكون شاعراً، أو مجنوناً، قالت وما ذاك ابن أخي، فقصصت عليها القصة فقالت أبشر فانك تطعم الطعام وتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة لا يصنع الله بك الاخيرا ثم جمعت عليها ثيابها وانطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد. . . . . وكان نصرانياً قد قرأ الكتب، فقَصت عليه الخبر فلما ذكرت جبريل قال قدوس قدوس مالك تذكرين الروح الأمين بهذا الوادي الذي أهله عبدة الأوثان، لئن كنت صدقتني لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران فقولي له فليتثبت واذا جاءه فتحسري بين يديه فان كان شيطاناً ثبت وان كان ملكا لانراه حينئذ، فرجعت خديجة إلى رسول الله «وقالت إذا اتاك صاحبك (يلاحظ عدم وجود هذه المعلومات في رواية وهب بن كيسان الأصلية انما في رواية أحد موالي آل الزبير الآخرين كما سنعرج على ذكره لاحقاً) فنادى بيَ فبينما هو عندها إذ جاءه جبريل فقال النبي هاهو يأخذ بيَ فقالت قم واقعد على فخذي وحسرت عن رأسها وقالت تراه قال لاقالت أبشر فانه والله ملك وماهو شيطان ولو كان شيطاناً ما استحي فامنت به وصدقته»[١].

كذلك اعتمد ابن كثير في السيرة النبوية رواية وهب بن كيسان

---

(١) البدء والتاريخ ص١٤١ - ١٤٢.

واستقاها من المصدر نفسه الذي نقلها وهو محمد بن إسحاق وجاء نصها (سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله قال عبيد أوأنا حاضر أيعني وهب)[1] واقتبس ابن كثير نص رواية ابن إسحاق التي هذَبها ابن هشام حرفياً فيما عدا بعض الاختلافات منها : - عدم وجود كلمة (يتحنث) في رواية ابن إسحاق بينما هي موجودة عند ابن كثير، ووردت كلمة (جاء) عند ابن إسحاق (وجاءه) عند ابن كثير، وجملة فكان أول ما يبدأ به الكعبة عند ابن إسحاق (وكان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة) عند ابن كثير. (فلا انظر في ناحية) عند ابن اسحاق، (فما انظر)عند ابن كثير. (أبشر يا بن عمي) عند ابن إسحاق، (أبشر يا ابن العم) عند ابن كثير. ثم ان ابن إسحاق يعَرف ورقة تعريفاً مفصلاً، بينما لايعَرفه ابن كثير وينتقل من جملة (ثم انطلقت إلى ورقة) إلى جملة (فاخبرته). كذلك أضاف ابن كثير إضافة مهمة في نهاية الرواية ونصها : - «وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير ما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة فكان لا يرى رؤيا الإ جاءت مثل فلق الصبح ويحتمل ان هذا المنام كان بعد ماراَه في اليقظة صبيحة ليلتئذ ويحتمل انه كان بعده يمده والله اعلم)[2] ومداخلة ابن كثير هذه ان هي إلا محاولة للتوفيق بين الروايتين وتدل احتمالاته على فطنة وتنبه لما هو متناقض بين الروايات.

---

(١) السيرة النبوية جا ص٤٠٢، البداية والنهاية ج ٣ ص١٨.

(٢) السيرة جا ص٤٠٤.

والملاحظ ان ابن كثير في كتابه البداية والنهاية اعتمد على نص رواية ابن إسحاق عند ابن هشام حرفياً، لكن الاختلافات التي سبق ذكرها في كتابه (السيرة النبوية) لم تتكرر في (البداية والنهاية)، إذ ان ابن كثير هنا يتابع رواية ابن إسحاق عند ابن هشام ولم يتابع روايتة التي ذكرها في السيرة النبوية فيما عدا التعقيب التوفيقي الأخير بالنسبة إلى ماذكره عبيد بن عمير ونصه «كما ذكرناه كالتوطئة. . . . . الخ»[1].

ونقل ابن سيد الناس الرواية نفسها عن عبيد بن عمير وليس عبر طريق وهب بن كيسان نصا مع وجود اختلافات بسيطة تشير إلى ان ابن كثير قد استقى الرواية في (السيرة النبوية) و(البداية والنهاية) من عبيد بن عمير في رواية وهب مباشرة. فرواية عبيد تذكر «كان أول مايبدأ به إذا انصرف قبل ان يدخل بيته» في الوقت الذي ذكر الرواية ابن هشام كالآتي «كان أول مايبدأ به الكعبة. . . » وكذلك الجملة الاتية»، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة» وهي عند ابن هشام «فبلغوا أعالي مكة». ثم انتهت رواية ابن سيد الناس باللقاء الذي تم بين النبي، وورقة وهما يطوفان حول الكعبة دون التطرق إلى القول «وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتا وخفَف عنه بعض ماكان فيه من الهمَ»[2].

فالرواية التي اسندها محمد بن إسحاق إلى وهب بن كيسان

---

(١) (البداية والنهاية جـ٣ ص٧ ووردت بشكل مختصر عن عبيد بن عمير الليثي مباشرة وليس عن طريق وهب بن كيسان، وصفحة ١٨ - ٢٠.

(٢) عيون الاثر جـ١ ص ١١٥ - ١١٧ ،ووردت عند الطبري جـ٢ ص٥.

مولى آل الزبير في حقيقتها رواية عبيد بن عمير التي وردت أحياناً عند المؤرخين باسمه (عبيد) من دون الإشارة إلى حلقة الوصل وهب بن كيسان. فمن هو عبيد بن عمير وما علاقته بآل الزبير؟ انه عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر الليثي، وهو كعروة بن زبير، أحد كبار التابعين من أهل مكة تولى القضاء في مكة لعبد الله بن الزبير وكان بليغاً وفصيحاً، وكان قاصَ أهل مكة في زمانه، يقول ابن عمر انه كان يجلس إليه فيقول «لله درَ أبي قتادة ماذا يأتي به»، وشهر عدد من أبنائه بالرواية أيضاً لكن احدهم كان ممن يقلب الأسانيد من حيث لا يفهم من سوء حفظه، فلما فحش ذلك منه استحق مجانبته»[1].

وتوفي عبيد سنة ٧٤هـ فالراوية عبيد - إذن - زبيري الولاء والرواية، فضلاً عن أنه من قصاص أهل مكة في القرن الأول الهجري، حقيقة انه روى عن عائشة وغيرها من الصحابة، ولكن حديثه عن الوحي جاء استجابة لطلب عبد الله بن الزبير ولهذا فان الاعتماد على روايته وهو الذي يغلب على أسلوبه طابع القصة والخيال لابد من أن تخضع للنقد الموضوعي من هذا الجانب.

يذكر الذهبي ان عبيدا هو أول من قصَ على عهد عمر بن الخطاب، وتحَدث عطاء قال: «دخلت أنا وعبيد على عائشة فقالت

(١) ابن حبَان البستي. المجروحين ج٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨، وينظر العجلي، الحافظ أحمد بن عبدالله، معرفة الثقات طبعة أولى ١٤٠٥ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ص١١٨، ابن حبّان، الثقات، طبعة أولى، حيدر اياد الركن ١٣٦٣، ج٥ص١٣٢، البكري الدمياطي: اعانة الطالبين طبعة أولى، بيروت ١٤١٨، ج١ص٢٦٦.

له خفَف فان الذكر تقبل _تعني إذا وعظت»[1] فعبيد فضلاً عن كونه قاصاً كان واعضاً ومفسراً.

فالملاحظ عن روايته اتفاقها في الخطوط العامة مع رواية عروة - عائشة، ولكن هناك نقداً موجها لطبيعة الرواية وبنيتها السندية، بالنسبة إلى وهب بن كيسان فقد كان حاضر لحديث عرضي بين عبد الله بن الزبير وعبيد بن عمير وقد سمعهما وهب وهما يتحدثان من دون ان يبدي رأيا، أو أية ملاحظة، أو مداخلة. اما بالنسبة إلى طبيعة الرواية نفسها فهي لا تستند إلى سلسة توصل إلى الحلقة النهائية وهي رسول الله إذ ليس هناك ما يدل على انه سأل رسول الله مثلاً، أو سمعه يقول شيئاً عن الموضوع، أو روى عنه كيف كان بدء الوحي؟ إنما روايته كانت جواباً لسؤال وجهه عبد الله بن الزبير. والواقع انه لمن الغرابة ان يسأل عبد الله بن الزبير عمير عن موضوع طالما كان رسول الله يتحدث به قبل الهجرة وبعدها، وهو أكثر قرباً من حقبة الرسالة ومن أبيه الزبير من صحابة الرسول المعروفين وانه أول مولود في المدينة بعد الهجرة وبقي حياً في المدينة إلى وفاة الرسول، كان في العاشرة، أو أقل، أو أكثر قليلاً. فالرواية تثير استفسارات عدة وملاحظات منها : -

١ - إتساقاً مع رواية عروة أفقد ركّزَ عبيد بن عمير أولاً على موضوع تحنث الرسول في حراء، غير انه ينبه القارئ إلى عادة التحنث بانها عامة وليست عادة خاصة كان الرسول وربما اتباع الحنيفية الموحدين. والقريشيون الوثنيون يمارسونها في الجاهلية،

---

(١) سير أعلام التبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، طبعة تاسعة، بيروت ج ٤ ص١٥٦.

بمعنى كانوا يتعبدون ويمارسون الاعتزال عن مجتمعهم للعبادة والتحنث أمدة شهر من كل سنة كما كان الرسول يمارسها. وقد يقود هذا القول إلى ان عبيد يريد الإشارة إلى أن الرسول كان يقلد ما كانت قريش الوثنية معتادة على ممارسته، وهو أمر لا توافقه المعلومات على اعتزاله عن عادات قريش وتقاليدهم ولم يرد ذكر إلى انهم يتحنثون شهرياً. ولماذا يتحنثون وهم وثنيون، والتحنث تعني العبادة لله؟ فهل كانوا يمارسونها دينياً أم اجتماعياً أم ماذا؟ فعبيد بن عمير لاشك في أنه - وهو من أهالي مكة - يهدف إلى تخفيف ما كان الوثنيون يمارسون من عادات وقيم وموروثات وثنية.

٢ - والرواية تشير إلى عادة خروج رسول الله شهراً بمعية أهله (جميعاً دون تخصيص) وهي معلومة جديدة لم يرد ذكرها في المرويات التاريخية باستثناء هذه الرواية فضلاً عن ان فحواها، إذا ما صدقناها يتضارب ومجريات الأحداث التي وقعت بعد نزول الوحي وبعد عودة الرسول إلى منزله وحديثه مع زوجه.

والروايات السالفة تكرر انها أارسلت في طلبه رسلها حينما تأخر وقد جمعت ثيابها وتوجهت فورا إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تستشيره.

٣ - وهناك حالة يسودها الاضطرّاب والتشوش في الرواية فقد ابتدأ عبيد حديثه مع عبدالله بن الزبير غير انه عندما أخذ يسرد الرواية ظهر وكأن الرسول هو المتحدث، إذ ينتهي قول عبيد بن عمير إلى الحدث المهم - المشكوك فيه أصلا - إذ قال (قال رسول الله فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب)، فكيف توفق الرواية بين كونه نائماً ثم قوله (قال فجاءني جبريل).

٤ - جاء في رواية عبيد بن عمير تعبير (فغتني) ثم تعبير (نمط من الديباج) فكأن المعنى غطاني جبرئيل بهذا النمط وبالفعل فالرواية تذهب إلى القول (فغتني به) أي بنمط الديباج.

٥ - كذلك ورد في الرواية غموض بين مدتين، مدة مجيء الوحي، أو نزول جبرئيل على رسول الله ليلاً وهو نائم وبين خروجه مباشرة بعد ان استيقظ في حراء نهاراً. فضلاً عن وجود حالة انقطاع بين الحدث نفسه وبين خروجه ووصوله وسط الجبل. وهو غموض ربما حسمته وصححته رواية سابقة عند الطبري جاءت بعد تعبير (وكأنما كتب في قلبي كتاباً) قال الرسول (ولم يكن من خلق الله أحداً أبغض إليّ من شاعر، أو مجنون كنت لا أطيق أن انظر إليهما، قال: قلت ان الأبعد يعني نفسه لشاعر، أو مجنون لا تحدث بها عني قريش أبداً لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن منه فلا قلنها أربما يقصد فلأقتلنها - فلأستريحن ولهذا السبب قال: (فخرجت أريد ذلك، حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً)[1].

٦ - فاعتماداً على هذه الرواية فان السيدة خديجة قد أرسلت في طلب الرسول، رسلها، حتى وصلوا وهم يبحثون عنه أعالي مكة وهذه الرواية فيما نرى ليس لها أهمية لاسيما لأن بدايتها تبدأ بكون الرسول كان نائماً ليلاً. فضلاً عن أمر مهم آخر وهو أن السيدة خديجة كانت معتادة على تحنث الرسول في غار حراء خلال شهر من كل سنة ورواية عبيد نفسه تتضمن هذه المعلومة. وعلى وفق هذا يبدو ان عبيد قد نسي إشارته إلى عادة الرسول في التحنث مع أهله.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص٤٩ - ٥٠.

٧ - ويظهر جلَياً في رواية عبيد بن عمير بما يشابهه في رواية عروة التأسيسية المركزية التي دفعت إلى توجيه رواية الوحي نحوها، ألا وهو ورقة بن نوفل وإعطائه الدور الأول بل ربما الأساس في طمأنة رسول الله وشدَّ أزره وتقوية ثباته على تلقي الوحي (فليتثبت)، إلى درجة انه قد خفّف عن الرسول بعض همومه وزاده ثباتا كما تقول الرواية.

ولم تكتف هاتان الروايتان بذلك إنما نُسبت الأولى منهما إلى ورقة أشعارا في الوحدانية ونبوة الرسول، وقد أدخلت روايات من شأنها أن تجعل رسول الله يرى القس (دخل هذا التعبير بدلا من الراهب في مرتين في هذه الرواية إشارة إلى ورقة، وفيها أيضاً إشارة إلى ان هذا القس يطوف حول الكعبة؟) ورقة في الجنة، وقد سألت السيدة خديجة رسول الله عن ورقة بعد موته فأجابها رسول الله: إن القس في الجنة مرتديا ثيابا بيضاء. هذا التوجه في الروايتين ليس له هدف إلا إظهار الوجه المقابل للقس في الجنة بينما كان أبو طالب في الجحيم، انها رواية مقصودة من قاصٍّ أهل مكة عبيد للموازنة بين القس النصراني الأسدي وبين أبي طالب يقول ابن كثير وهو يعرض رواية عروة - عائشة بان رسول الله رأى القس وعليه ثياب بيضاء فسئل (من السائل؟) عن أبي طالب فقال (أخرجته من غمرة من جهنم - بمعنى كان في حالة غرق في نار جهنم - إلى ضحضاح[1] منها - أي انه قلل منها -) في حين انه سئل - بحسب

---

(١) وأخرج مسلم في صحيحه عن حديث أبي سعيد الخدري ان رسول الله، ذكر عنده أبو طالب فقال ينفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي من دماغه، ابن حجر، الإصابة جـ٧ ص٢٠٣.

رواية عروة - عن زيد بن عمرو بن نفيل الذي توفي وهو يبحث عن ديانة يؤمن بها فأجاب، (يبعث يوم القيامة أمة واحدة)[1] فهل يبقى هناك شك في مقاصد الروايتين بل في مدى موثوقيتهما؟

فهذه المرويات المتقنة الصنع أدبياً وقصصياً لا يفهم منها إلا كونها مرويات موضوعة تهدف بوضوح إلى اهداف تنسجم مع الدور الروحاني لرجل نصراني من بني اسد وهو يدعم بل ويثبت رسالة السماء. وللسيد الطباطبائي نكتة لها دلالتها وهو يعلّق على دور ورقة فيقول (والقصة لا تخلو من شيء وأوهن ما فيها من الاشكال شك النبي، في كون ما شاهده وحيا الهيا، واشكل منه سكون نفسه في كونه نبياً إلى قول رجل نصراني مترهب)[2].

٣ - وهناك رواية ذكرها محمد بن إسحاق قال حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية (وقيل ابن حارثة) الثقفي وكان داعية عن بعض أهل العلم «ان رسول الله حين أراد الله كرامته وبتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته ابعد، حتى يحسر البيوت عنه ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمّر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله، قال، فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث، ثم جاءه جبريل بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان»[3]..

---

(١) السيرة النبوية جـ١ ص٣٩٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٢ هـ جـ ٢ ص٣٢٩.

(٣) ابن كثير السيرة النبوية جـ١ ص ١ - ٤ - ٢ - ٤.

واعتمد الثقفي محمد بن إسحاق في رواية أخرى بالسند نفسه أي عن بعض أهل العلم قال: «وكان رسول الله يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسك فيه، كما كان من نسك قريش في الجاهلية ويطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضائه لم يدخل بيته، حتى يطوف بالكعبة وهكذا روي عن وهب بن كيسان»[1].

فرواية عبد الملك التي لم يكشف عن مصدرها عدا إشارته إلى بعض أهل العلم هي رواية عروة بن الزبير تماماً. لذلك بالامكان وضعها ضمن الرواية الزبيرية والمتأثرة لكننا لا نعرف شيئاً عن عبد الملك هذا، أو مدى قربه، أو صلته بآل الزبير، ورواية الثقفي تشتمل على بعض التعبيرات التي لم ترد في الرواية الزبيرية، أو غيرها من روايات الوحي - كان الرسول يخرج إلى حراء (يتنسك فيه) و(كما كان من نسك قريش في الجاهلية) حقيقة انه لا يقصد بالتنسك إلا التحنث ولكن وجود التنسك بمعنّى التعبد والخلوة للتفكير بشؤون الخلق والكون غير صحيح، فضلاً عن ان قريش الوثنية لم يعرف عنها التزامها بالتنسك بمعنى العبادة.

ثانياً:

يضاف إلى الروايتين الزبيريتين السابقتين رواية أخرى زبيرية الولاء اعتمدها مؤرخ السيرة ابن هشام ومصدرها الأساس سيرة محمد بن إسحاق أيضاً اما راوية الرواية فهو إسماعيل بن أبي حكيم

---

(1) م. ن البداية والنهاية ج ٣ ص ٩.

مولى آل الزبير، وقيل هو مولى الزبير بن العوام وإسماعيل مجهول لايعرف عنه شيئاً، ويذكر الذهبي فقط ان محمد إسحاق روى عنه[1]. وملاحظة على هذه الرواية التي من المحتمل ان ابن إسحاق قد قطعها بهدف جعلها تمثل مقطعاً متناسقاً مع الحدث الأساس في هذه الروايات وهو ورقة بن نوفل وليس موضوع الوحي ونزول أول آية على رسول الله. اما من ناحية صيغة الرواية السندية فهي: قال ابن إسحاق وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير انه حّدث عن خديجة انها قالت لرسول الله والرواية تسرد أحداث ما بعد استشارة السيدة خديجة ابن عمها ورقة ثم توصية ورقة لها بمحاولة معرفة فيما إذا كان المتحدث مع رسول الله الذي جاءه بالحق أهو ملك أم شيطان؟ بان تحسر له عن حجابها (علما بان آيات الحجاب لم تنزل على الرسول بعد، انها آيات مدنية لا مكّية (قالت أي أبن عم، أتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ (طبعاً يلاحظ ان السيدة لم تقل للرسول الذي يأتيك في أثناء النوم) قال: نعم، قالت فإذا جاءك فاخبرني به. فجاءه جبريل كما كان يصنع (وهي جملة غامضة فماذا كان جبريل يصنع؟) فقال رسول الله، لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى (المعروف كان رسول الله في هذا الحادث قد بلغ، أو تجاوز الأربعين سنة) قال فقام رسول الله فجلس عليها، قالت: هل تراه قال نعم. قالت فتحول فاجلس على فخذي اليمنى قالت فتحول رسول الله فجلس على فخذها اليمنى، فقالت هل تراه؟

---

(١) تذكرة الحفاظ، مكتبة الحرم المكي ج ١ص١١٩.

قال نعم (يلاحظ ان هذه الحركات تعمل وجبريل مازال واقفا يراقب هذه الحال؟) قالت فتحول فاجلس في حجري، قالت فتحول رسول الله فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال نعم قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها قالت، هل تراه؟ قال لا، قالت، يابن عم أثبت وابشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان»[1]

وقد كرّر الطبري حديث ابن إسحاق عن إسماعيل تماماً كما ورد عند ابن هشام فيما عدا اختلافات طفيفة مثل: - قوله (انه حدَّث عن خديجة.... فيما يثبته فيما اكرمه الله به من نبوته)[2] فهي جملة غير موجودة في نص ابن إسحاق على الرغم من كونه المصدر الذي استقى منه الطبري هذه المعلومة، ولا يعرف لماذا حذفها اللهم الا في حالة كون الطبري قد اعتمد رواية يونس بن بكير لسيرة ابن إسحاق بدلاً من رواية زياد البكائي. كذلك بدلا من قول إسماعيل (كما كان يصنع أي جبريل) فقد ورد عند الطبري (كما كان يأتيه) وهو الأصح. وكرّر ابن الجوزي الرواية نفسها بسند هو «روى ابن إسحاق عن إسماعيل بن حكيم مولى الزبير» وكانت رواية ابن الجوزي متطابقة تماماً مع رواية الطبري[3].

وذكر ابن كثير الرواية ولكنها بصيغة سندية مفصلة وهي «وقال البيهقي حدثنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن إسحاق قال حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير» ورواية ابن كثير أيضاً جاءت متطابقة مع رواية

---

(١) ابن هشام السيرة جـ١ ص١٥٧.
(٢) تاريخ جـ٢ ص٥٠ - ٥١.
(٣) المنتظم جـ ٢ ص٢٥٤.

الطبري خلا بعض الاختلافات منها «قالت، فاجلس إلى شقي الأيسر» وليس فخذي الأيسر، كذلك (شقي الأيمن). واختلاف آخر هو (فتحسرت راسها فشالت خمارها) وفي مقابل هذه الاختلافات هناك إضافة مهمة في رواية ابن كثير ليس لها مشابه عند ابن إسحاق في رواية ابن هشام ويلاحظ ان هذه الاضافة جاءت عن طريق سند يونس بن بكير لازياد البكائي. والإضافة هي «قالت ان هذا لملك يابن عم فأثبت وأبشر ثم آمنت به وشهدت ان ما جاء هو الحق «والمهم في هذه الرواية هو تعقيب البيهقي على ما قامت به خديجة قوله ان الذي صنعته خديجة لانها ارادت ان تستثبت له الامر احتياطا لدينها وتصديقاً، فأما النبي، فقد كان قد وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى[1].

اما ابن سيد الناس فقد ادلى بالرواية ولكن بصيغة سندية أخرى واوصلها إلى محمد بن إسحاق وهي: - وروينا عن أبي بشر حدثنا عبدالله بن عبد الرحيم حدثنا عبد الملك بن هشام عن زياد قال محمد بن إسحاق حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير «[2] وروايته متطابقة تماماً مع رواية ابن هشام الذي اعتمد راوية سيرة ابن إسحاق زياد البكائي.

ورواية محمد بن إسحاق هذه سواء كانت عبر يونس بن بكير الراوية الذي قدّم معلومات إضافية في هذا الحدث وفي احداث كثيرة أخرى تختلف عن تلك التي قدمّها زياد البكائي الذي اعتمده

---

(١) البداية والنهاية جـ ٣ ص٢٢.

(٢) عيون الأثر جـ ١ ص١١٧.

ابن هشام راوية أساس لسيرة ابن إسحاق. وكما سبق ان قدمناه في الفصل الأول ان زيادا قد تجاوز عن ذكر معلومات مهمة في سيرة ابن إسحاق لا لشيء سوى انها لاتتواءم ونظرته، أو ميوله الشخصية.

ومع هذا فالرواية نفسها تؤدي إلى تساؤلات حول درجة أهميتها في سير أحداث الوحي، وبالأخص وبحسب تعبير البيهقي ان الرسول الكريم كان على بينة وثقة بما انزل عليه بواسطة جبرئيل وبكونه رسول هذه الأمة. فهل هي رواية مكملة في ذكر مناقب ورقة بن نوفل وتأثيراته النفسية والروحية على رسول الله؟ وهل الطريقة التي عبّرت عنه الرواية، بأسلوبها القصصي، من تحول الرسول بحسب قول السيدة خديجة يراد بها التقليل من مكانة رسول الله حين نراه ينتقل من الفخذ الأيسر إلى الفخذ الأيمن ثم إلى حجر السيدة بينما كان رجلا بالغا قد تلقى رسالة السماء توا ورأى الملك وتحدّث معه؟ فما كان قصد إسماعيل بن أبي حكيم من هذه الرواية؟ ومن هو إسماعيل بن أبي حكيم بالنسبة إلى السيدة خديجة، أو إلى رسول الله؟ فالرواية لا تعرض الكيفية التي حدَث فيها إسماعيل عن خديجة فهل روى عنها، أو سمعها تقول وهذا أمر مشكوك فيه قطعاً اعتماداً على ان صيغة السند انه حدّث ابن إسحاق ولهذا ربما يرجع إلى منتصف القرن الثاني للهجرة. فروايته بجميعها إرسال يتخلله خيال وزيف وانتحال والعجيب بالنسبة إلى إسماعيل وكذلك بالنسبة إلى وهب بن كيسان انهما مع كونهما بحسبما يبدو من الروايات مقربين أو معاصرين من بعض صحابه الرسول لكنهما لم يؤديا دوراً آخر في مرويات أخرى سوى التي ذكرت. وواقع الحال فان رواية

إسماعيل هي رواية داعمة لتأثير ورقة عمل رسول الله فضلاً عن كونها رواية مضللة تثير كثيراً من الشكوك بالوحي وبنزول جبريل على الرسول لولا تدارك البيهقي. والرواية تظهر رسول الله من جانب آخر بأنه أحاشاه الله - شخصية غير قيادية وغير ذكية وذلك لعدم اتخاذه أي موقف حازم إزاء ورقة، أو غيره يبين فيه مدى ثقته المطلقة بنفسه وبقوة إرادته وبما أوحي إليه من الله تعالى. فمن المحتمل جدا ان ابن إسحاق قد اعتمد إسماعيل في رواية الوحي كاملة لا في هذا الجزء المبتور الوحيد، والعامل الأساس في عدم فهم روايته كاملة ترجع إلى بتر زياد البكائي لرواية إسماعيل بن أبي حكيم.

الفصل الخامس

مرويات الصحابة والتابعين الأنصار

المبحث الأول

رواية الانصار

أولاً: - في الأغلب حينما تروى رواية عروة - عائشة عن الوحي يروي المؤرخون والمفسرون رواية الأنصاري جابر بن عبد الله بن عمر بن حزام، وهو الذي شهد بدراً وثمانية عشر غزوة مع النبي وتوفي سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧، وكان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين أنصارياً، ووصف بأنه فقيه المدينة ومفتيها وقد حمل علماً كثيراً نافعاً عن النبي[١]، كذلك يتدخل بعض العلماء في محاولات للتوفيق بين الروايتين بعلل واحتمالات شتى. فينقلها البخاري في صحيحة بالصيغة السندية الآتية: - قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله الأنصاري «قال وهو يحدث عن مدة الوحي فقال في حديثه بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فانزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر إلى قوله

(١) ابن هشام، السيرة جـ٢ ص ٣١٧؛ الطوسي، رجال الطوسي (تحقيق جوادا لتيومي، قم١٤١٥هـ) ص٣١، العجلي، معرفة الثقاب (طبعة أولى ١٤٠٥) جـ١ ص ٢٦٤؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، جـ ١ ص٤٣ - ٤٤.

والرجز فاهجر فحمى الوحي وتتابع»[١].

وكّرر مسلم الصيغة السندية نفسها والرواية تماماً عدا انه أضاف تعريفاً إلى جابر بقوله وكان من أصحاب رسول الله وبدلاً من قول البخاري «فحمى الوحي وتتابع» قال مسلم والرجز فاهجر وهي الأوثان قال ثم تتابع الوحي»[٢].

الغريب ان ابن إسحاق (ابن هشام) وابن سعد وربما شيخه الواقدي لايأتون على ذكر رواية جابر الأنصاري. وانهم يروون بعد رواية عروة رواية وهب بن كيسان وإسماعيل ابن أبي حكيم وهما من موالي آل الزبير كما أسلفنا.

ويذكر الرواية محمد بن سلمان الكوفي القاضي (كان حياً سنة ٣٠٠ هـ) في كتابه مناقب الإمام أمير المؤمنين ولكن بصيغة سنديه تشتمل على أسماء جدد يقول: - حدثنا محمد بن عثمان بن سعيد قال حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح قال حدثني الليث قال حدثني عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة ابن عبد الرحمن يقول (أخبرني جابر إنه سمع رسول الله يقول: ثم فتر الوحي عني مدّة فبينما إنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري إلى السماء فإذا الملك الذي جاءني بغار حراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فحدت منه فرقا، حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فزملوني فانزل الله عزوجل عليّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[٣] قال أبو سلمة، الرجز الأوثان، قال ثم حمي الوحي

---

(١) صحيح جـ١ ص ٤.
(٢) صحيح جـ١ ص ٩٨.
(٣) سورة المدثر، الآية: ١.

وتتابع)[1]. واعتمد الطبري الرواية في تاريخه وتفسيره وبسلسة سند مختلفة إلا أنها عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وسنده:

حدثنا ابن المثنى قال حدثنا عثمان بن عمر بن فارس قال حدثنا علي بن المبارك عن يحيى يعني بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة أي القرآن انزل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فقلت يقول (اقرأ) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله أي القرآن انزل أول فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فقلت اقر باسم ربك الذي خلق فقال لا أخبرك الا ما حدثنا النبي، قال جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت عن يميني وعن شمالي وخلفي وقدامي فلم أر شيئاً فنظرت فوق رأسي فإذا هو جالس على عرش (يلاحظ في هذه الرواية إضافات وتعبيرات لم تستعمل في رواية البخاري ومسلم) بين السماء والأرض فخشيت (في الروايات السابقة فرعبت، فحدت منه) قال ابن المثنى هكذا قال عثمان بن عمرو انما هو فجئثت منه فلقيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا عليّ ماء وانزل عليَّ يا أيها المدثر» ويعيد الطبري رواية أبي سلمة ولكن عن طريق أبي كريب قال حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير ثم يدخل سؤال يحيى إلى الرواية الأساس «فقال سألت جابر بن عبد الله فقال لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله قال جاورت...... الخ «ثم يقول: «فأتيت خديجة - في الرواية السالفة فلقيت - كذلك (فصبوا عليّ ماء بارداً فنزلت يا أيها المدثر[2] ويعيد الطبري الرواية

(١) مناقب الإمام، طبعة أولى، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي جـ١ ص٣٢.
(٢) تاريخ الطبري جـ٢ ص٥١.

ثالثة عن طريق يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال اخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ان جابر بن عبد الله الأنصاري، قال، قال رسول الله وهو يحدث عن مدة الوحي بينما أنا أمشي.... الخ». وتستمر الرواية إلى ان يقول: «فجئثت منه فرقاً وجئت فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ...﴾ قال ثم تتابع الوحي[١] وهي رواية تتطابق مع الأولى لكنها تختلف عنها في بعض الكلمات كما هو واضح.

وفي جامع البيان يكرر الطبري الراويات فيجعل رواية حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يونس (يعني بن بكير) عن ابن شهاب قال اخبرني أبو سلمه بن عبد الرحمن ان جابراً: قال: - والرواية تتطابق تماماً مع الرواية الثالثة السابقة عدا إنه استعمل هنا (فجئثت بدلاً من فجثت) وكذلك استعمل هنا (فجئثت بدلاً من فجئثت وكذلك استعمل وجئت أهلي بدلاً من وجئت فقلت[٢]. وأعقب الطبري هذه الرواية برواية ابن المثني عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير ثم يسرد الرواية نصاً كما يذكر في تاريخه. ويقدم الرواية الثالثة عن أبي كريب عن وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير كما أسلفت ذكره في التاريخ[٣].

فالطبري اذن يعرض ثلاث روايات عن نزول الوحي وعن أول آية نزلت على رسول الله بثلاثة أسانيد حلقتها الأخيرة جابر بن عبد

---

(١) تاريخ جـ٢ ص ٥٢.
(٢) جامع البيان جـ ٢٩ ص ١٧٨ - ١٧٩.
(٣) جامع البيان جـ ٢٩ ص، ١٧٩.

الله، وجميعها في طابعها العام متطابقة عدا وجود بعض الاختلافات في التعبيرات، ومن المحتمل ان بعضها مثل (فجئثت، أو فجئثت (وجئت بدلاً وجئت أهلي) راجع اما إلى الناسخ، أو إلى خطأ في الطبع).

والرواية في صحيح ابن حّبان جاءت عن طريق ابن المثنى أحمد بن علي عن هدبة بن خالد عن أبان بن يزيد العطار عن يحيى بن أبي كثير انه سأل أبا سلمة عن أول آية نزلت على رسول الله. والرواية متطابقة مع الرواية الثانية عن يحيى عند ابن جرير الطبري في جامع البيان مع اختلاف طفيف هو (فانطلقت إلى خديجة بدلاً فأتيت خديجة. وكذلك كررت رواية ابن حّبان دثروني بدلاً مما ورد في رواية الطبري مرة واحدة[1].

والمهم ان ابن حّبان حاول ان يوفق بين رواية عروة - عائشة ورواية جابر معتمداً على أبي حاتم إذ قال في خبر جابر ما يلي: «ان أول ما انزل من القرآن يا ايها المدثر وفي خبر عائشة اقرأ باسم ربك وليس بين هذين الخبرين تضاد ان الله عَزَّوَجَلَّ أنزل على رسول اقرا باسم ربك وهو في الغار فلما رجع إلى بيته دثرته خديجة وصبت عليه الماء البارد وأنزل عليه في بيت خديجة يا أيها المدثر قم فانذر من غير ان يكون بين الخبرين تهاتر، أو تضاد»[2].

كذلك الحال بالنسبة إلى الطبري في مجمع البيان فإنه يقدم رواية جابر عن طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير وهو يسأل أبا

(١) ينظر صحيح ابن حّبان جا ص٢٢٠؛ جامع البيان ج٢٩ ص ١٧٩.
(٢) صحيح ابن حّبان حا ص٢٢٠.

سلمة. ونص الرواية متطابق مع رواية الطبري وابن حّبان. والشيخ الطبرسي لعله قارن بين الروايات عن جابر فعقب «وفي رواية فحييت منه فرقاً، حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي «بدلاً من الرواية التي ذكرها إذ سقطت هذه الجملة[(١)].

واعتمد القرطبي رواية مسلم في صحيحه، لكنه الغى ذكر سلسلة السند، وابتدأ قوله: «وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وهو من أصحاب رسول الله كان يحدّث (في أصل الروايات السابقة جميعاً عدا صحيح مسلم ان أبا سلمة سأل جابر عن الموضوع فأجابه) عن مدّة الوحي، قال في حديثه - فبينما أنا أمشي... الخ». ورواية القرطبي متطابقة مع رواية مسلم[(٢)].

أما ابن كثير في التفسير فقد استقى رواية البخاري عن يحيى بن أبي كثير انه سأل أبا سلمه عن أول آية. والمعلوم ان الرواية عند البخاري لم يكن مصدرها يحيى بن أبي كثير إنما «ابن شهاب الزهري قال وأخبرني أبو سلمة أن جابر بن عبد الله قال وهو يحدّث»، فقد توهم ابن كثير فنقل رواية يحيى بن أبي كثير التي تبدأ: «قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري... الخ»[(٣)].

أما في كتبه الأخرى (السيرة النبوية والبداية والنهاية) فأنه يعرض رواية البخاري عن ابن شهاب قوله: «واخبري أبو سلمة ان جابر قال

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، طبعة أولى ١٤٠٥، بيروت، جـ ١ ص ١٧٣.

(٢) الجامع لاحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ، ج١٩ ص٥٩ - ٦٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت١٤١٢ هـ. جزء ٤ ص ٤٦٩.

وهو يحدثّ عن مدّة الوحي. . . الخ» وهي رواية متطابقة تماماً مع ما أورده البخاري في صحيحه[١].

ونقل ابن الجوزي في المنتظم رواية جابر من البخاري بحديث يحيى بن أبي كثير، عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال اخبرني أبو سلمة. . الخ» وهي بالفعل متطابقة مع رواية البخاري التي اكتفى سندها بذكر (أبي شهاب واخبرني أبو سلمة) دون ان يذكر يحيى بن أبي كثير. غير ان ابن الجوزي ذكر تعبير (رعباً) بدلاً من فرعبت في أصل رواية البخاري. ثم هناك نقطة مهمة أثارها ابن الجوزي بقوله «هذا حديث متفق على صحته والذي قبله» ويقصد بالذي قبله حديث عروة - عائشة[٢].

ولإبن كثير في البداية والنهاية مداخلة حاول فيها التوفيق بين روايتي عروة وجابر فيقول في أعقاب حديث جابر الأنصاري مانصّه «وقد ثبت عن جابر ان أول ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ واللائق حمل كلامه ما أمكن على ماقلناه فان في سياق كلامه مايدل على تقدم مجيء الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه أولا إليه، ثم قوله يحدّث عن مدّة الوحي دليل على ماتقدم الوحي على هذا الإيحاء والله أعالم»[٣]. والواقع ان رواية جابر لا تشير ابداً إلى ان الرسول عندما قال: «فاذا الملك الذي جاءني بحراء «قد أنزل عليه آية (اقرأ) لذلك لا يمكن أخذ مناقشة ابن كثير وتأييده بان هناك آية قد سبقت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ لان جابر كان ينوه عن أن أول آية هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾

---

(١) السيرة النبوية جـ١ ص ٣٨٧ البداية والنهاية جـ٣ ص ٦.

(٢) المنتظم جـ٢ ص٢٥٢.

(٣) البداية والنهاية جـ٣ص ٢٤.

وابن سيد الناس أخذ رواية جابر عن أبي بكر الشافعي الذي اعتمد محمد ابن يونس بن موسى، عن عثمان بن عمر بن فارس عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال: «سألت جابر. . . الخ» والرواية تتطابق بالفعل مع رواية يحيى بن أبي كثير وليس مع رواية البخاري. وهو ينوه بأن هذا مارواه مسلم عن ابن مثنى عن عثمان. ثم يأتي بعدها برواية عروة - عائشة[1].

والطباطبائي في الميزان فضّل رواية البخاري عن الزهري عن أبي سلمة الواردة في صحيح البخاري على رواية يحيى بن أبي كثير التي اعتمدت في صحيح مسلم[2]. وهي رواية متطابقة تماماً.

الخلاصة لعله من المهم الإشارة إلى ان رواية جابر الأنصاري قد حازت على رضى وقبول عام من المفسرين والمؤرخين في إعطائها الدور الأساس للعلاقة الروحانية بين الملك والرسول، وهي ربما أقرب الروايات إلى حقيقة الحدث. وهناك ملاحظات على الرواية منها: -

١ - هي رواية ناقصة إذ تبدأ ربما بعد خروج الرسول من غار حراء، علما أنها ابتدأت بالقول ونقلاً عن رسول الله (قال جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستنبطت الوادي) وحسب رواية الزهري (فبينما أنا أمشي يوماً إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء) فالروايتان لاتشيران إلى نزول أول آية من الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل في هذا الحدث فان كان ذلك قد وقع لما اغفل

---

(١) عيون الأثر جـ١ ص١١٤.
(٢) الميزان في تفسير القرآن جـ ٢٠ ص ٣٢٨.

الرسول - حاشاه الله - عن القول بأنه قد أنزل عليه آيات من سورة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[1]، في الوقت الذي نصّت الروايتان على نزول آيات من سورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[2]. وقد انتبه عدد من العلماء إلى ماقد يثيره هذا التضارب والاختلاف من تساؤلات فعمدوا إلى إيجاد حلول توفيقية وتعليلات غير قاطعة للجدل والغموض.

٢ - أغفلت رواية جابر نهائياً الدور المركزي للمرويات الزبيرية عن ورقة بن نوفل بدلاً من الوحي والرسول. فقد ركّزت رواية جابر على العلاقة السماوية بين الملك والنبي ولم تعط أي اهتمام لورقة. ومما لاشك فيه ان هذا الإغفال لم يكن عفوياً إنما واقعياً وهو يشير إلى تحجيم دور ورقة، أو إلغاءه نهائياً. في حين كان هناك مجال للإشارة إلى ورقة إن كان له دور فبعد عودة رسول الله إلى منزله وحديثه مع زوجه بأن تدثره، ثم صّبت عليه الماء البارد فلم تستمر الرواية لتذكر ان السيدة خديجة انطلقت بعد أن رأت النبي على هذه الحال إلى ورقة لاستشارته لكنها لم تفعل ذلك.

والاكثر أهمية ان رواية جابر قد قلّلت من أهمية رواية الزهري بشأن فتور الوحي والمعاناة التي حلّت برسول الله نتيجة لانقطاع الوحي، إذ قال الزهري في رواية عن معمر «فتر الوحي عن رسول الله مدّة فحزن حزناً شديداً جعل يغدو إلى رؤوس شواهق الجبال ليتردى منها فكلما أوفى بذوره جبل تبدى له جبريل فيقول انك نبي الله فيسكن لذلك جأشه وترجع إليه نفسه»[3]. فرواية جابر استمرت

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١.

(٣) الطبري، تاريخ جـ ٢ ص ٥٢.

في تسلسلها بعد نزول الوحي بآيات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ فتقول «بان الوحي حمى وتتابع» فليس هناك ما يؤكد قول الزهري، لذلك علينا إعادة قراءة الرواية التي أدلى بها الزهري تلك التي تعكس تردد الرسول وخوفه ومحاولاته إلقاء نفسه من اعإلى الجبال الشواهق؛ فضلاً عن إعادة قراءة الرواية الزبيرية التي انتهت بلقاء ورقة الرسول وهو يطوف حول الكعبة وتقبيله يافوخه وتمنياته بأنه إن بقي حياً لينصرن رسول الله، فالرواية الزبيرية تنتهي مباشرة إلى نص هذا القول: «ثم لم ينشب ورقة إلى ان توفي وفتر الوحي»[1] وكأن موت ورقة كان بداية لانقطاع الوحي، وهذا شأن غير صحيح.

٣ - إشتملت رواية جابر على تعبيرات تشير إلى خوف الرسول حينما رأى الملك منها: فخشيت منه، أو فجئثت منه فرقاً، حتى هويت إلى الأرض، أو فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني. وهذه التعبيرات تدل على عدم ثقة الرسول بنفسه وعلى خوفه والرعب الذي حلّ به حينما رأى الملك، غير ان الرواية قد ناقضت نفسها في القول ما نصه «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي.. الخ» كذلك جاء في الراوية الثانية قوله (ص): «فنوديت فنظرت فوقي فإذا أنا به (بمعنى أنه كان معتاداً على رؤية الملك). قاعد على العرش بين السماء والأرض» لهذا نعتقد بان تعبيرات الخوف والهلع لاتتوافق والأقوال التي جّربها رسول الله بنفسه مع الملك، ويحتمل ان أقرب تعبير لرد فعل رسول الله هو (فخشيت منه).

---

(١) صحيح البخاري جـ١ ص ٤.

ثانياً: -

يتوقع المتتبع ان يكون لبقية الصحابة الأنصار روايات عن الوحي مؤيدة، أو مخالفة للروايات السابقة؛ وذلك لأن المدينة هي مدينة رسول الله، وانه كان يمتدح الدور الذي اقدم عليه الأنصار بشجاعة وثبات في العقبات الأولى والثانية، فضلاً عن قربهم الروحي القوي مع رسول الله. مع ذلك فرواية جابر تعّد هي الرواية الأنصارية الوحيدة المتسلسلة عن نزول أول آيات الذكر الحكيم على رسول الله تلك التي اختلفت اختلافاً جوهرياً مع الرواية القريشية الزبيرية.

والصحابي أنس بن مالك واحد من الصحابة المقربين إلى رسول الله وظل حيا إلى سنة ٩١هـ/ ٧٠٩ قد قّدم معلومات متفرقة عن مبعث رسول الله لكنها لا تشكل رواية موضوعية حول تحنث الرسول ونزول الوحي عليه فمن مروياته: -

أ - حديث عن قول رسول الله كيف انطلق الملائكة وجبرئيل خاصة بالنبي إلى زمزم فشرح عن صدره وغسل بماء زمزم. يقول أنس في حديث صيغته السندية :حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك ان رسول الله أتاه جبرئل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس وقد كنت أرى اثر ذلك المخيط في

صدره»[١]. ووردت هذه الرواية ثانية ولكن عن طريق محمد بن المثنى عن ابن عدي بن سعيد عن قتاده عن أنس بن مالك «لعله قال عن مالك بن صعصعة رجل من قومه قال قال نبي الله بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بي فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا قال قتاده فقلت للذي معي ما يعني قال إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيمانا وحكمة ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البراق. . . الخ حديث الإسراء»[٢].

فعلى الرغم من أن الروايتين تشيران إلى مدد زمنية مختلفة من حياة الرسول، الأولى في أثناء طفولته، والثانية بعد مبعثه واسرائه إلى أعالي السماء، فانهما لا يعرضان أمراً مباشراً عن الوحي ونزول آيات من القرآن الكريم. كذلك الحال بالنسبة إلى روايات قدمها أبن سعد عن أنس بن مالك حول مبعث الرسول على إثر ثمانية الآف نبي[٣] ورواية عن قتادة عن أنس حول سؤال أهل مكة عن آية (فأنشق القمر)[٤]. ومؤلف دلائل النبوة قّدم أيضاً حديثا كون الرسول كان يلعب مع الغلمان فاتاه جبرئيل فصرعه، فشق عن قلبه، وقدّمها بالصيغة السندية نفسها التي أوردها مسلم في صحيحة. وأورد أيضاً

(١) صحيح مسلم جا ص ١٠١.
(٢) صحيح مسلم جا ص ١٠٣ - ١٠٤.
(٣) طبقات جا ص١٩٢.
(٤) الاصبهاني، إسماعيل، دلائل النبوة ص٣٢.

حديث الإسراء نفسه السابق[١]. كان رأي أنس قطعياً حول عمر الرسول حينما بُعث إذ كان عمره أربعين سنة وقبض على رأس الستين[٢]

ثالثاً: -

وهناك رواية ذكرها عبادة بن الصامت الأنصاري تتناول من قريب نزول الوحي على رسول الله ويرجع سندها إلى عفّان بن مسلم عن حمّاد بن سلمة عن قتادة وحميد عن الحسن عن حّطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة قوله: «إن النبي كان إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربد وجهه»[٣] وهي رواية أراد بها ابن سعد أن يؤكد ما يعانيه رسول الله من الوحي في رواية عروة بشكل خاص. وليس هناك رواية أخرى لعبادة عن هذا الموضوع.

رابعاً: -

ومن الأنصار المعروفين في التدوين التأريخي للسيرة والمغازي عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المديني، وصف بأنه كان كثير الأحاديث ورجل صدق وثقة روى عن أنس بن مالك وعن عروة وعمرة والزهري وتوفى سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٢م. ومن المؤسف ان عبد الله بن أبي بكر لم يسهم في رواية موضوعية

---

(١) دلائل ص ٣٢.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم ج ٢ ص ٢٥٢ ابن سيد الناس، عيون ج١ ص١١٠.
(٣) طبقات ابن اسعد ج ١ ص١٩٧.

ومتسلسلة عن نزول الوحي على رسول الله فيما عدا هذه الرواية التي وردت عن طريق ابن أخيه أبي الطاهر عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن حزم عن عمه عبد الله بن أبي بكر قوله دون الإشارة إلى الحلقة التي اوصلته إلى الخبر ونصها «كان من بدء أمر رسول الله انه رأى في المنام رؤيا فشق ذلك عليه فذكر ذلك لصاحبته خديجة بنت خويلد فقالت له أبشر فان الله لايصنع بك إلا خيراً فذكر لها انه رأى ان بطنه أخرج فطّهر وغسل ثم أعيد كما كان، قالت هذا خير فأبشر ثم استعلن به جبريل فاجلسه على ماشاء الله ان يجسله عليه، وبشره برسالة ربه، حتى أطمأن ثم قال، اقرأ قال: كيف أقرأ قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾[1]، فقبل رسول الله رسالة ربه واتبع الذي جاء به جبريل من عند الله وانصرف إلى أهله فلما دخل على خديجة قال: أرأيتك الذي كنت أحدثك ورأيته في المنام فأنه جبريل استعلن فاخبرها بالذي جاءه من الله عَزَّوَجَلَّ وسمع، فقالت: أبشر فو الله لايفعل الله بك الا خيراً (والجملة كما هو ملاحظ في أصل الرواية جملة مكررة.)، فأقبل الذي أتاك الله وأبشر فانك رسول الله حقا»[2]، ولولا ذكر ابن سيد الناس لهذه الرواية لما أدركنا لعبد الله بن أبي بكر رواية حول الوحي مع العلم انها رواية سعيد بن المسيب التي رواها عنه ابن شهاب الزهري وقد أشرنا إلى عبدالله بن أبي بكر انه قد روى عن الزهري. وهناك اختلافات كثيرة في التعبيرات وفي

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١، ٤.

(٢) ابن سيد الناس، عيون الأثر جـ١ ص ١١٠.

الحذف والاضافة في هذه الرواية منها: -

إن رواية سعيد أوردت «فذكرها لامرأته خديجة» بينما وردت في رواية عبد لله بن أبي بكر «فذكر ذلك لصاحبته» ولم يذكر «فعصمها الله من التكذيب وشرح صدرها للتصديق «بل اكتفى بتعريف اسمها «خديجة بنت خويلد» التي لم يرد في نص رواية ابن المسيب. ورواية ابن المسيب تذكر انه (ص) خرج من عندها ثم عاد إليها فأخبرها بخبر شق بطنه، لكن رواية عبد الله لم تشر إلى خروجه وعودته، انما قوله: «إنه رأى أن بطنه أخرج (وليس شقّ) ثم غسل وطهر» كذلك حذفت رواية عبد الله قول سعيد: «ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة»، وحذفت رواية عبد الله قول سعيد «فاجلسه على مجلس كريم معجب، كان النبي يقول أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ. كذلك حذف عبد الله قول ابن المسيب «فلما انصرف منقلباً إلى بيته جعل لا يمّر على شجر، أو حجر إلا سّلم عليه، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً» وعبد الله حذف أيضاً جميع المعلومة التي لها علاقة باستشارة السيدة خديجة لعدّاس، أو لورقة بن نوفل التي فصّلها ابن المسيب في روايته. ولعل السبب في هذه الانقطاعات يرجع إلى ان عبد الله بن أبي بكر لم يكرر رواية الزهري عن سعيد بن المسيب ولم يأخذها منه مباشرة إنما عن طريق آخر، أو لعل الحلقة السندية الأولى وهي أبو بشر الدولأبي قد اختصر في الرواية وحذف ماحذف من أصلها كما أوردها سعيد بن المسيب.

المبحث الثاني: -

رواية الصحابة والتابعين والمهاجرين من غير آل الزبير

لعل ابن الجوزي يريد أن يعرض رأيا بالنسبة لرواية عروة - عائشة سواء كانت تلك التي وردت عن طريق الحارث بن هشام أم رواية السيدة عاشة مباشرة قولها حول كيفية نزول الوحي على رسول الله. فهو يذكر مباشرة بعد سرده لهاتين الروايتين، رواية عبد الله بن عباس وكأنه جعلها رداً على الروايتين السابقتين، إذ يقول مانصه»بينما كان الرسول بفناء الكعبة مرَّ به عثمان بن مظعون فقال له الرسول الا تجلس فجلس وبينما يتحدث معه شخص رسول الله ببصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره وضعه على يمينه في الأرض فتحّرف رسول الله عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره ينفض رأسه كأنه يستفقه مايقول له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما له شخص بصر رسول الله إلى السماء كما أول مرة فاتبعه بصره، حتى توارى فاقبل عثمان بجلسته الأولى فقال يامحمد. . . قال وفطنت ذلك قال عثمان نعم قال آتاني رسول الله وقال: ان الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. . .»[1] فالملك في هذه الرواية يأتي الرسول في اليقظة وانه

---

(١) المنتظم جـ٢ ص ٢٥٤.

كان يراه ويتابعه ببصره ويتكلم معه، هكذا كانت رواية عبد الله بن عباس.

كذلك أورد ابن سعد رواية ابن عباس بخصوص الوحي مباشرة بعد رواية عروة - عائشة، وقد اعتمد ابن سعد شيخه الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة (مولى ابن عباس) عن ابن عباس قال (فبينما رسول الله على ذلك وهو بأجياد إذ رأى ملكاً واضعاً أحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح يامحمد أنا جبريل يامحمد أنا جبريل فذعر رسول الله من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه فرجع سريعا إلى خديجة فاخبرها خبره وقال ياخديجة والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ولا الكّهان وإني لأخشى أن اكون كاهنا، قالت كلا يابن عم لا تقل ذلك فان الله لايفعل ذلك بك ابداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وإن خلقك لكريم ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل وهي أول مرة أتته فاخبرته ما أخبرها به رسول الله فقال ورقة والله ان ابن عمك لصادق وإن هذا لبدء نبوة وإنه ليأتيه الناموس الأكبر فمريه أن لا يجعل في نفسه إلا خيراً»[1]. . فالرواية هنا أيضاً تؤكد رؤية الرسول للملك في الغار، وهي تخلو من العبارات التي تدل على خوف الرسول وخشيته من الملك وحالة الرعب التي حلّت به. كما ان دور ورقة هنا هو دور ضعيف وربما اقحم في الرواية بدليل ذكر عبارة «وهي أول مرة أتته - يعني السيدة خديجة».

ولابن عباس رواية مكملة لتلك الرواية ذكرها أيضاً محمد بن

---

(١) ابن سعد، طبقات جا ص ١٩٤ - ١٩٥.

عمر الواقدي عن إبراهيم بن محمد عن داود بن الحصين، عن أبي غطفان بن طريف عن ابن عباس قوله: «ان رسول الله لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لايرى جبريل فحزن حزناً شديداً، حتى كان يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء مرة يريد ان يلقي نفسه منه فبينما رسول الله، كذلك عامدا لبعض الجبال إلى ان سمع صوتاً من السماء فوقف رسول الله صعقاً للصوت، ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض متربعا عليه يقول يامحمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل قال فانصرف رسول الله وقد أَقَر الله عينه وربط جأشه، ثم تتابع الوحي بعد وحمي»[1] فالملاحظ في هذه الرواية انها خلطت بين مواضيع عدة منها: -

١ - ان الرسول بعد تلقيه الوحي وخروجه من حراء سمع صوت الملك ورآه جالسا على كرسي، أو على العرش يناديه بأنه رسول الله.

٢ - وهذا الحادث لم يأت ذكره بعد فتور الوحي كما تشير رواية ابن عباس.

٣ - تكرار مسألة الخوف في الرؤية الثانية، فقالت رواية الواقدي انه صعق للصوت بينما لم يحدث مثل ذلك في روايات أخرى.

٤ - نعتقد أن رواية الزهري في مسألة فتور الوحي قد اختلطت في هذه الرواية التي مصدرها الواقدي - ابن سعد. إذ أورد البخاري رواية عن ابن شهاب الزهري قوله: «وفتر الوحي مدّة، حتى حزن

---

(١) ابن سعد، طبقات جا ص ١٩٦.

رسول الله فيما - بلغنا - حزناً غدا منه مرار كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبّدى له جبريل فقال: يامحمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه مدّة الوحي غدا لمثل ذلك. قال فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فيسكن لذلك جأشه)[1]. وكما هو بيّن اضطرّاب رواية الزهري وتكرار بعض العبارات، فضلاً عن ان المتعارف عليه أن فتور الوحي اما ليلة، أو ليلتين، أو ثلاثة وقيل لسنتين، أو سنتين ونصف[2] وليس هناك ما يؤشر إلى تكرار الفتور في نزول الوحي وإلى تكرار معاناة الرسول في الالقاء بنفسه من أعالي الجبال. ولكن يبدو ان الرواية، أو بعض ماجاء فيها قد دخل في رواية ابن عباس. وتأييداً لرواية ابن عباس التي تؤكد رؤية الرسول للملك رواية نقلها أحمد بن حنبل عن عفاّن عن حمّاد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قوله: «أقام النبي بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه»[3]. كذلك روايته التي رواها ابن عباس عن النبي قال (كان من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون نبياً بذلك وان جبرئيل يأتيني فيكلمني كما يأتي أحدكم صاحبه فيكلمه)[4].

إذن فرواية عبد الله بن عباس الذي لم يشر إلى الكيفية التي نقل فيها (الرواية)، أو حديث الوحي عن رسول الله؛ ذلك لأنه كان في

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية جـ ٣ ص ٦.
(٢) م. ن جـ٣ ص٢٤.
(٣) م. ن، جـ٣ ص٨.
(٤) ابن سيد الناس، عيون جـ١ ص ١١٨.

أثناء حياة الرسول في المدينة صغير السن فهو قد ولد قبل ثلاث سنوات من الهجرة. ومن المحتمل انه سمعها عن والده العباس بن عبد المطلب، أو عن أحد الصحابة في المدينة. وروايته، كما لاحظنا، تتضمن جوانب لها علاقة مباشرة بالوحي وهي تقلل من أهمية الدور الذي أداه ورقة بن نوفل، كما ان روايته لم تتوجه إلى ورقة وكأنه مركز رواية الوحي، آخذين بنظر الاعتبار احتمالات كونها، أي الرواية، قد تعرضت إلى تعديل، أو إضافة ونشير هنا بخاصة إلى المعلومات التي أوردها الزهري فقط عن فتور الوحي والايحاء عند قراءة رواية فتور الوحي إلى ان هذا الفتور قد تكرر وفي الوقت نفسه قد تكررت معاناة الرسول ومحاولاته القاء نفسه من شواهق الجبال.

وهناك تابعي مدني آخر أسهم في هذا الميدان وهو سعيد بن المسبب بن حزن السلمي، قيل انه ولد بعد اربع سنوات من خلافة عمر وقيل انه ولد بعد سنتين من وفاة الخليفة، لذلك وضعت سنة وفاته اما في سنة ٧٢هـ/ ٦٩١، أو في سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣ والمهم ان سعيدا كان على المستوى العلمي نفسه الذي حازه عروة بن الزبير، وقد أخذ علمه عن ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت، وإنه دخل، ليتفقه، على أزواج النبي عائشة وأم سلمة. وعرف في المدينة بأنه فقيه الفقهاء، أو عالم العلماء(١).

والظاهر ان محمد بن عمر الواقدي وتلميذه محمد بن سعد لم يعتمدا روايته عن الوحي، أو، حتى عن مبعث الرسول فسعيد بن

---

(١) ابن سعد، الطبقات جـ٥ ص١١٩/ ١٢٠/ ١٢١.

المسيب هو صاحب الرواية التي وردت عبر ابن المثنى وعبد الوهاب عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيداً يقول: «أنزل على رسول الله وهو أبن ثلاث وأربعين سنة»[1]، وهو موضوع عارضه الواقدي على اعتبار ان الرسول كان برفقة إسرافيل مدة ثلاث سنين وبرفقة جبرئيل لمدة عشر سنين في مكة، كما أسلفنا - وابن كثير هو المؤرخ الذي أدلى برواية سعيد بصيغة سندية واحدة نصّها: - قال موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسبب قوله: «وكان بلغنا أول ما رأى يعني رسول الله أراه رؤيا في المنام فشق ذلك عليه فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب وشرح صدرها للتصديق فقالت: أبشر فان الله لم يصنع بك إلا خيراً. ثم انه خرج من عندها ثم رجع إليها، فأخبرها انه رأى بطنه شق ثم غسل وطهر ثم اعيد كما كان. قالت هذا والله خير فابشر. ثم استعلن له جبريل وهو باعلى مكة فاجلسه على مجس كريم معجب، كان النبي يقول: أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ، فبشره برسالة الله عزوجل، حتى اطمأن رسول الله فقال له جبريل أقرأ، فقال: كيف أقرأ؟ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[2] قال: ويزعم ناس ان ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[3] هي أول سورة نزلت عليه والله أعلم، قال: فقبل رسول الله رسالة ربه وأتبع ما جاءه به جبريل من عند الله، فلما انصرف منقلباً إلى بيته جعل لايمّر على شجر ولا حجر ألا سّلم

---

(١) الطبري، تاريخ ج٢ ص ٤٣.

(٢) سورة العلق، الآيات: ١، ٥.

(٣) سورة المدثر، الآية: ١.

عليه، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً انه قد رأى أمراً عظيماً فلما دخل على خديجة قال: أرأيتك التي - الاصح الذي - حدثتك أني رأيته في المنام؟ فإنه جبريل استعلن إليّ، أرسله إليّ ربي عزوجل وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه، فقالت: ابشر فو الله لا يفعل بك الإ خيراً، وأقبل الذي جاءك من أمر الله فأنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقاً، ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعتبة ابن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى، يقال له عدّاس، فقالت له: ياعّداس أذكرك بالله، إلا ما أخبرتني، هل عندك علم من جبريل، فقال: قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض (في رواية عروة ان القائل هو ورقة وليس عّداسا، وبدلا من هذه الأرض قال ورقة في هذا الوادي.). التي أهلها أهل أوثان فقالت، أخبرني بعلمك فيه، قال فإنه أمين الله (يلاحظ أن هذا القول نسب إلى ورقة في رواية عروة). بينه وبين النبيين، وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام. فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل (دون التعريف به كما عرفته وركزت عليه رواية عروة). فذكرت له ما كان من أمر النبي وما القاه إليه جبريل فقال لها ورقة: يابنية أخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وأقسم بالله لئن كان إياه ثم أظهر دعواه وأنا حيّ لأبلين الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر، فمات ورقة رحمه الله»[1].

وكما هو واضح وجلّي فإنها رواية متسلسلة لم تغفل أمراً،

---

(١) البداية والنهاية ج٣ ص ١٩ - ٢٠، السيرة النبوية ج ١ ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

فضلاً عن كونها هادئة في عرضها فلم تدخل الرعب والخوف في نفس النبي وهو يتلقى الوحي، فاستخدمت الرواية تعبير (فشق ذلك عليه ليس إلا) دون الإشارة إلى انه صعق وسقط على الأرض وغيرها من الأوصاف.

حقيقة ان رواية سعيد بن المسيب ابتدأت بذكر الوحي على انه رؤيا وكان الرسول يراها في المنام غير انها لم تدعم رواية عروة - عائشة لأن سعيد بن المسيب من الذين دعموا رواية الثلاث سنوات التي كان النبي يرى فيها ويسمع قبل نزول الملك عليه في غار حراء.

كذلك فقد شخّصت الرواية مسألة جديدة لم تذكرها الروايات السابقة إلا وهي ظهور شخصية نصرانية أخرى غير ورقة، فعّداس من أهل نينوى هو الذي عّرف جبرئيل عندما سألته خديجة لكن المفارقة التي لاتفهم هي ان عّداسا كان غلاماً مملوكاً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية وقد أدرك الإسلام وكان طاغياً قاتل المسلمين في بدر قتالاً شديداً وقتل على يد الإمام علي، فكيف نوفق بين كونه نصرانياً موحداً وغلاماً لأحد كبار كفار قريش وقوله للسيدة خديجة «ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان» في الوقت الذي كان هو فيه غلاماً في بيت عتبة بن ربيعة؟.

ويبدو ان دور ورقة في هذه الرواية مقحماً وللزهري دور في هذا لكي تنسجم مع الروايات السابقة، على الرغم من كونه دوراً باهتاً وغير مؤثر في نفسية الرسول الكريم وفي طمأنته. الذي قاله ورقة بالفعل معروف في التاريخ على ان إليهود والنصارى كانوا يترقبون ظهور نبي اسمه أحمد، فما ذكره ورقة لا يخرج عن هذا الإطار التاريخي في التوراة والانجيل.

ولأول مرة عكست رواية سعيد بن المسيب اللقاء بين الملك والنبي بأنه لقاء ايجابي، وان الملك أجلس الرسول على بساط الياقوت والجوهر. وكان الرسول متلقياً هادئاً للوحي ولمرة واحدة قال فيها كيف أقرأ، وليس كما ورد في الروايات السابقة على ان الملك غطّة، أو نحته ثلاث مرات إلى ان قرأ آيات من ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾.

فضلاً عن إبعاد الرواية ما حدث بعد خروج الرسول من غار حراء ورؤيته الملك وهو جالس على كرسي، أو عرش بين السماء والأرض.

فراوية سعيد اذن لاتوافق الروايات السابقة في العديد من النقاط المهمة في مبعث الرسول، وفي بدء الوحي ونزول جبرئيل عليه.

رواية عمرو بن شرحبيل

أفردنا لرواية عمرو بن شرحبيل الهمداني، ثم الوادعي المعروف بأبي ميسرة الكوفي، هذا العنوان المستقل. كان عمرو أمام مسجد بني وادعة في الكوفة، وشهد معركة صفين إلى جانب الإمام علي ووصف بأنه تابعي ثقة روى عن عمربن الخطاب وابن مسعود وعلي وراويته المعروف هو أبو إسحاق السبيعي الهمداني. مات أبو ميسرة في سنة ٦٣ هـ/ ٦٦٢[١].

الرواية التي أدلى بها عمرو بن شرحبيل تمثل اتجاها خاصاً في كيفية تعديل الرواية أو الإضافة إليها، أو انتحال معلومات غير واردة في مرويات السيرة عموما. على الرغم من ان الرجل تابعي ووصف بالتقوى والورع. فقد أورد الرواية ابن عساكر وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة والبيهقي في دلائل النبوة أيضاً وهي من حديث يونس بن بكير الراوية المشهور الآخر لرواية السيرة النبوية لمحمد بن إسحاق عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل قال: «ان رسول الله، قال لخديجة: -

إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد خشيت والله ان يكون

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد جـ٦ ص ١٠٦، البسستي، ابن حّبان، من مشاهير علماء الأمصار ص ١٦٨، الرازي، الجرح والتعديل، طبعة دار المعارف العثمانية جـ٦ ص ٢٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٢٣٠.

لهذا أمر، قالت، معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك، فو الله انك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله، ثم ذكرت خديجة له (أو في رواية أخرى له خديجة) فقالت: ياعتيق اذهب مع محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله، [يلاحظ نقطة الانقطاع والإضافة، أن الرسول كان في المنزل وهو يحّدث خديجة عن حالته وإجابة السيدة خديجة له، لكن الراوية مباشرة تغفل ذلك فتجعله وكأنه خارج المنزل] أخذ أبو بكر بيده وقال انطلق بنا إلى ورقة قال [وفي رواية أخرى فقال) ومن أخبرك، قال خديجة فانطلقا إليه فقصّا (بمعنى الرسول وأبو بكر) عليه فقال [وفي رواية فقال رسول الله] اني إذا خلوت وحدي سمعت نداء من خلفي (، أو خلفي فقط). يامحمد يامحمد فانطلق هارباً في الأرض، فقال له (يقصد ورقة) لا تفعل. إذا أتاك فأثبت، حتى تسمع ما يقول لك، ثم ائتني فاخبرني. فلما خلا (هنا يختفي دور أبي بكر بشكل مفاجئ). ناداه يامحمد يامحمد (وفي رواية يامحمد لمرة واحدة). قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾[1] ، حتى بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قل لا إله الا الله، فأتى ورقة فذكر له ذلك، فقال له ورقة، أبشر (وفي رواية أخرى أثبت) ثم ابشر، فانا اشهد انك الذي بشرته (اوبك) ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وإنك نبي مرسل، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك، فلما

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

توفي قال رسول الله لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لانه آمن بّي وصدقني يعني ورقة»[1].

والغريب ان هذه الرواية التي خلطت بين الروايات المتقدمة لم يذكرها مؤرخوا السيرة النبوية، وعلماء الصحاح فيما عدا ابن كثير في السيرة والتاريخ وابن سيد الناس، وهما قد نقلاها عن كتاب الأصفهاني والبيهقي في كتابيهما (دلائل النبوة)، والأكثر غرابة التعقيب الذي عقّبه أبن كثير بشأن قول ورقة، أو بشأن الرواية برمتها قال: «هذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول مانزل»[2]. [وعقب ان عساكر ان البيهقي والأصفهاني قالا هذا منقطع فان كان محفوظاً فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعدما نزلت (إقرأ)].

فرواية عمرو بن شرحبيل قد جمعت بين أجزاء من روايات الوحي، لتخرج في نهاية الامر بمسألة جديدة لم تذكر الا وهي أول آية نزلت على رسول الله، فهي ليست (أقرأ) ولا (يا أيها المدّثر) بل (سورة الحمد). وعلى هذا فان هناك تعليقات على فحوى هذه الرواية منها: -

١ - بدأت الرواية بحديث للنبي مع خديجة بأنه كان عند خلوته يسمع نداءً، وهي بداية تلغي تماماً حقيقة تحنث الرسول ورؤيته

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج ٦٣ ص٧ ابن كثير، السيرة النبوية ج١ ص٣٩٨ - ٣٩٩؛ البداية والنهاية ج٣ص ١٥؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر ص ١١٣.

(٢) السيرة النبوية ج١ ص ٣٩٩، البداية والنهاية ج٣ ص١٥ ابن عساكر تاريخ ج ٦٣ ص ٧.

جبريل سواء في اليقظة أم في المنام. فعمرو بن شرحبيل أخذ من الرواية الزبيرية شيئاً، ومن الرواية التي ذهبت إلى ان الرسول كان خلال ثلاث سنوات يسمع الصوت ويرى. ثم ادخلت الرواية بأنه خشى ان يكون قد تعرض لعارض نفسي فجاء إلى زوجه ليحدثها.

٢ - استعارت الرواية من الرواية الزبيرية جواب السيدة خديجة لحديث الرسول بأنه كان يتصف بصفات حميدة، وان الله عزّ وجلّ لا يمكن ان يؤذيه.

٣ - أقحمت الرواية لسبب من الأسباب وجود أبي بكر المستمر في منزل الرسول وبمعرفته ورقة وكونه هو الذي أسهم أولاً في دعم وتأييد الرسول وذلك بأخذه إلى ورقة وعرضه ما كان رسول الله يمّر به من تجربة روحية. وقد أسدلت الرواية الستار على دور أبي بكر حال وصولهما - الرسول وأبو بكر - إلى ورقة. هنا علينا القول بأننا نجهل مصدر هذا الاقحام والتعديل في رواية الوحي هل كان عمرو بن شرحبيل، أم هو ابن أخيه الذي روى عنه الرواية أم يونس بن بكيرراوية سيرة ابن إسحاق؟ ومهما يكن فالرواية هي رواية عمروبن شرحبيل.

٤ - وعلى نسق رواية عروة بن الزبير فان مركزية وهدف الرواية يشيران إلى ورقة بن نوفل ودوره المشرف والراعي والداعم لرسالة السماء، وهو الذي بعد موته دخل الجنة وعليه ثياب الحرير.

٥ - وأخيراً فالرواية ينقصها الموثوقية والمصداقية في المصدر الذي اعتمده عمرو بن شرحبيل فإنه تابعي لذلك يصعب أخذها عن الرسول مباشرة، فمن أي من الرواة أخذها. فعدم ذكره الحلقة السندية الأساس يجعل الرواية ضعيفة ومفككة ويتخللها قدر من الشك.

المبحث الثالث:

روايات متفرقة أخرى لصحابة وتابعين

ما تقدم ذكره من روايات الوحي ونزول آيات من الذكر الحكيم على رسول الله، هي روايات شائعة رواها عدد من الصحابة والتابعين المشهورين في رواية الحديث الشريف. وهناك روايات مفردة بعضها يتسم بالموضوعية والتسلسل في رواية الوحي وبعضها الآخر يتناول فقرات منها. فعلى سبيل المثال رواية جابر بن سمرة بن جنادة وقيل ابن جندب السوائي العامري أبو عبد الله. أمه بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص. وهو صحابي حليف بني هرة نزل الكوفة ومات فيها سنة ٧٤هـ و٧٥هـ/ ٦٩٣ أو ٦٩٤. وأهمية رواية جابر بن سمرة انه، في مناسبات عدة كان يرافق والده سمرة في لقائه مع رسول الله، وظل حياً، حتى خلافة عبد الملك بن مروان إذ توفي في أولها. روى جابر بن سمرة عن النبي وعن أبيه وعن خاله سعد بن أبي وقاص[(١)]. ورواية جابر في صحيح مسلم جاءت عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن بكير عن إبراهيم بن طهمان عن سّماك بن حرب عن جابر عنه «ان رسول الله قال: -

---

(١) ينظر الشيخ الطوسي، الخلاف طبعة أولى قم ١٤١٧ ص٦٥٧. ابن حجر العسقلاني، الإصابة جـ ١ ص٥٤٢ - ٥٤٣.

أني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن». وقال أبو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ، عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة: ان رسول الله قال:

(إن بمكة لحجراً كان يسّلم عليّ قبل ليالي بعثت. إني لأعرفه إذا مررت عليه)[1]، وهذه الرواية تبين ان الرسول بعد نزول الوحي ومغادرته غار حراء موقنا مستبشراً بلقاء الملك كان لايمّر على حجر، أو شجر إلا وسلّم على رسول الله، فعاد إلى منزله مسروراً.

٢ - اما بخصوص رواية عامر بن شرحبيل بن عبد الشعبي المتوفى في الكوفة سنة ١٠٤ هـ/ ٧٢٢ م فكانت قضيته تدور حول مسألة عمر الرسول، عندما بعثة الله تعالى. فقد وردت روايته عند الإمام أحمد بن حنبل عن طريق محمد بن عدي، ثم عن تلميذ الشعبي داود بن أبي هند عن عامر قوله: «ان رسول الله نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينّزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة»[2] ويعلّق ابن كثير على مدى صحة رواية الشعبي فيقول: «فهذا اسناد صحيح إلى الشعبي»[3].

٣ - رواية جعفر ولعله جعفر بن أبي طالب، ذكرها محمد بن سليمان الكوفي عبر سلسلة سندية هي: محمد بن سليمان عن خضر

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ج٣ ص٢٢ - ٢٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ج٣ ص ٧، السيرة النبوية ج ١ ص ٣٨٨.

(٣) البداية ج ٣ ص٨؛ السيرة ج١ ص٣٨٨.

بن أبان عن سيّار قال: حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني «قال رسول الله: بينما أنا مع أصحابي إذ أتاني جبريل فنكث بين كتفي فاتبعته فإذا سدرة لاطية بالأرض فيها مثل وكري الطير فجلس جبريل في أحدهما وجلست في الأخرى ثم ان السدرة سمت طولاً فذهبت غصونها يمينا وشمالاً، حتى سَدّت ما بين الخافقين فجعلت اقلب بصري ففتح باب السماء فإذا النور يتدلى، حتى إذا دنى لطّ دون الباب فاوحى الله إليّ ما شاء ان يوحي إليّ، ثم خيرني ربي بين أن أكون عبداً نبياً، أو نبياً ملكاً. وكان جبريل قد عهد إليّ انه إذا عرض عليك ربك شيئاً فاستأمرني فيه، فالتفت إلى جبريل فإذا هو كالحلس الملقى أميت من الفرق فعرضت فضله عليّ في العلم - قال فأومى بيده إليّ: ان تواضع فقلت نبياً عبداً فسارت السدرة إلى وكرها الأول ثم لم ارها قبل ذلك ولا بعده»[1]. فالمعلومات التي قدمتها هذه الرواية عن الوحي تختلف اختلافاً ملحوظاً عن جميع الروايات السابقة إذ اختفى غار حراء وتحنث الرسول شهراً من كل سنة، فضلاً عن اختفاء المعلومات التي تتعلق بنزول الوحي وعلاقة الملك بالنبي. غير ان الأهم من ذلك اننا لانعرف المصدر الذي استقى منه أبو عمران الجوني، وما علاقته، أو مدى قربه واتصاله برسول الله؟ والرواية لم تذكر في أي مصدر آخر سوى المناقب التي كان مؤلفها الكوفي القاضي حيا في سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢، فإنه يمثّل الحلقة الأولى في نقل الرواية إلى بقية اطراف السند، فمن أي المصادر استقاها محمد بن سليمان؟

---

(١) محمد بن سليمان الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين ج ١ ص ٣٣.

رواية الحافظ سليمان بن طرخان التيمي البصري

نفرد لهذه الرواية كما هو الحال في رواية عمرو بن شرحبيل عنواناً مستقلاً، لأنها أطول رواية وأكثرها تفصيلاً، وهي تحتوي على معلومات بعضها يذكر لأول مرة والكثير منها عبارة عن عملية ادماج وجمع وتوحيد لروايات الوحي بصيغة واحدة فيها موضوعية وتسلسل بشكل واضح. وقد قدّم الحافظ ابن عساكر الرواية بتفصيل أكثر مما أورده ابن كثير، إذ امتدت روايته من صفحة ١٧، حتى صفحة ٢٠، وذكر سند الرواية مفصلاً وهو: - أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن أحمد حدثنا أبو محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الخلاّل حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان حدثنا إبراهيم بن عبد الله الزبيبي بعسكر مكرم قرئ عليه الاسناد وبعض المتن وأنا أسمع وأجاز لنا باقي الحديث حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني حدثنا المعتمر بن سليمان حدثني أبي قال: - فحديث سليمان عند الحافظ ابن عساكر قد نقل عن طريق المعتمر وهو ابن سليمان التيمي البصري. في حين نقلت الرواية في البداية والنهاية لابن كثير على الصيغة الآتية «وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي» دون ان يذكر ابن كثير إبنه المعتمر كحلقة موصلة إلى سليمان التيمي. ولما كنا قد ذكرنا ان سليمان التيمي يرجع إلى حوالي منتصف القرن الثاني للهجرة إذ توفي سنة ١٤٣ هـ وهذا يثير تساؤلا عن مصدر سليمان،

مع انه تابعي وثقة ومن عّباد أهل البصرة وصالحيهم وقد عدّه ابن قتيبة في معارفه من رجال الشيعة. واحتج به أصحاب الصحاح وغيرهم وروى عنه في الصحيحين. قيل إنه صلى لمدة أربعين سنة صلاة الصبح والعشاء بوضوء واحد. وسليمان التيمي مولى لبني مرّة وسمع من أنس بن مالك. توفي سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠[1].

وراوية الحافظ سليمان التيمي تحتوي على معلومة عامة بشأن مبعث النبي، ووصف رؤيته الملك. وذكر الحافظ ابن عساكر خلال ترجمته ورقة بن نوفل اعتماد على سليمان في رواية رفع ابن عساكر سندها إلى سليمان التيمي مباشرة مفادها «قال - يعني سليمان - بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقصّ ذلك على زوجه خديجة بنت خويلد فقالت له: أبشر فو الله لا يفعل الله بك إلا خيراً فبينما هو ذات يوم في حراء وكان يفرّ إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله مخافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كتفيه. فقال: اللهم احطط وزره واشرح صدره وطهر قلبه، يامحمد أبشر فانك نبي هذه الأمة. اقرأ فقال له نبي الله، وهو خائف يرعد ما قرأت كتاباً قط، ولا أحسنه وما اكتب وما أقرأ فاخذه جبريل فغتّه غتاً شديداً ثم

---

(١) ينظر ابن حيّان، مشاهير علماء الامصار ص ١٥١؛ العجلي، معرفة الثقات ج١ ص٤٣٠ - ٤٣١؛ السيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، طبعة ثانية، تحقيق حسين الراضي، الجمعية الإسلامية ١٩٨٢، ص١٣١؛ الشيخ عبد الحسين الأميني، الغدير، طبعة رابعة، دارالكتاب العربي، بيروت ج٥ ص ٣١.

تركه، ثم قال له اقرأ فاعاد عليه مثله فاجلسه على بساط كهيئة الدرنوك فرأى فيه من صفائه وحسنه كهيئة اللؤلؤ والياقوت وقال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[1] الآيات، ثم قال له لا تخف يا محمد انك رسول الله ثم انصرف واقبل على رسول الله همه فقال كيف أصنع وكيف أقول لقومي ثم قام رسول الله وهو خائف فأتاه جبريل من أمامه وهو في صعرته فرأى رسول الله أمرا عظيماً ملأ صدره فقال له جبريل لا تخف يامحمد، جبريل رسول الله، جبريل رسول الله إلى أنبيائه ورسله فايقن بكرامة الله فانك رسول الله فرجع رسول الله لا يمرّ على شجر ولا حجر إلا هو ساجد يقول السلام عليك بارسول الله، فأطمأنت نفسه وعرف كرامة الله إياه فلما انتهى إلى زوجه خديجة أبصرت مابوجهه من تغير لونها فافزعها ذلك، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول لعلك لبعض ماكنت ترى وتسمع قبل اليوم. فقال ياخديجة أرايت الذي كنت أرى منه فأنه جبريل قد استعلن لي وكلمني واقرأني كلاما فزعت منه ثم عاد إلي فاخبرني اني نبي هذه الأمة فاقبلت راجعا فاقبلت عليّ شجر وحجارة فقلن السلام عليك يارسول الله، فقالت خديجة: أبشر فو الله لقد كنت أعلم ان الله لن يعمل بك إلا خيراً وأشهد انك نبي هذه الامة الذي تنتظره إليهود، قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرة الراهب، وأمرني أن اتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة، فلم تزل برسول الله، حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها قال: مالك

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

ياسيدة نساء قريش؟ فقالت: أقبلت اليك لتخبرني عن جبريل؟ فقال: سبحان الله ربنا القدوس ما بال جبريل يذكر في هذه البلاد التي يعبد أهلها الأوثان (وقد سبقت الإشارة إلى ان هذا ما قاله ورقة ثم تكرر باسم عدّاس والان يتكرر ولكن من قبل راهب لم يذكر اسمه) جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى، فعرفت كرامة الله لمحمد ثم أتت عبداً لعتبة بن ربيعة يقال له عدّاس فسألته فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد قال: جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه، وكان معه حين كلّمه الله على الطور وهو صاحب عيسى بن مريم الذي أيده الله، ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسألته عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سألها ما الخبر فاحلفته ان يكتم ماتقول له فحلف لها فقالت له ان ابن عبد الله ذكر لي وهو صادق أحلف بالله ماكذب، ولا كذب انه نزل عليه جبريل بحراء. وانه اخبره انه نبي هذه الأمة، وأقرأه آيات ارسل بها قال: فذعر ورقة لذلك وقال لئن كان جبريل قد استقرت قدماه على الأرض لقد نزل على خير أهل البلاد، وما نزل إلا على نبي وهو صاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم، وقد صدقتك، فأرسلي إلي ابن عبد الله اسأله وأسمع من قوله وأحدثه فاني أخاف أن يكون غير جبريل فان بعض الشياطين يتشبه له ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلها مجنونا. فقامت من عنده وهي واثقة بالله ان لايفعل بصاحبها الا خيراً فرجعت إلى رسول الله فاخبرته بما قال ورقة فانزل الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾[1] الآيات، فقال

(١) سورة القلم، الآيتان: ١، ٢.

لها كلا والله انه لجبريل فقالت له أحب ان تأتيه فتخبره لعل الله ان يهديه فجاءه رسول الله فقال له ورقة هذا الذي جاءك جاءك في نور، أو ظلمة؟ فاخبره رسول الله صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه. فقال ورقة: أشهد ان هذا جبريل وان هذا كلام الله فقد أمرك بشيء تبلغه قومك وانه لأمر نبوة فان أدرك زمانك أتبعك ثم قال، أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به. وذاع قول ورقة وتصديقة لرسول الله فشق ذلك على الملا من قومه قال وفتر الوحي. فقالوا لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله قلاه فانزل الله (والضحى) و(الم نشرح) بكمالهما»[1].

والقاء نظرة دقيقة على رواية سليمان التيمي المهمة والمفصلة، فضلاً عن كونها رواية تحتوي على الكثير من النقاط الجديدة التي لم ترد في المرويات المذكورة آنفاً، الأمر الذي يثير تساؤلا عن مدى موثوقية المعلومات هذه وما هي الموارد التي اعتمدها في تدوين رواية متكاملة وشاملة عن الوحي، لم يذكر مثلها أحد من مؤرخي السيرة وعلماء الصحاح؟ مع العلم بان هناك أموراً فيها لابد من ان تصحح، حقيقة ان سليمان التيمي قد روى عن الصحابي أنس بن مالك، لكن المعروف ان أنساً لم يترك رواية شاملة ومتسلسلة عن الوحي ونزول أول آيات الذكر الحكيم خلا ما سبق ذكره من رواية بشأن مبعث الرسول الكريم. فهل كانت له رواية مفصلة عن الموضوع وهو أمر غير مستبعد لاسيما وأنه عاش مدّة صباه مع رسول الله، لكنها مع الأسف لم تصلنا؟ لذلك نعتقد بأن سليمان

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق جـ ٦٣ ص ١٧ - ١٨.

التيمي وهو من علماء القرن الثاني الهجري قد وضع أمامه روايات عدة عن الصحابة رضوان الله عليهم وأخذ ينسج رواية واحدة. فرجال سنده متنوعون وبعضهم ليسوا من البصرة بل من عسكر مكرم القريب من المدينة في أقليم الاهواز، ولعل هذه الرواية، قد مرّت عبر هذه السلسلة السندية، وكانت تقرأ. ومن بين الروايات التي اعتمدها سليمان: -

أ - رواية عروة - عائشة لاسيما بخصوص بداية الوحي فانه عبارة عن رؤية كان، يراها. فضلاً عن دور ورقة المركزي.

ب - هناك أمور متشابهة قد وردت في رواية التابعي المدني سعيد من المسيب التي رواها موسى بن عقبة اعتماداً على الزهري لاسيما في بداية الوحي، والمجلس الذي أجلس جبريل النبي، وأول آيات نزلت على رسول الله هي (- اقرأ)، وتحيات الشجر والحجر على رسول الله بعد انصرافه من الغار، ثم دور عدّاس وورقة.

جـ - وهناك تشابه مع رواية عبد الله بن أبي بكر بن حزم. ويبدو ان سليمان أضاف إضافات من عنده لتكون روايته أكثر تماسكاً، ومحبوكة بشكل جديد.

وفي الرواية عناصر بعضها أصبح مألوفاً في المرويات السابقة والبعض الآخر حريّ بالتعقيب والتوضيح منها: -

١ - الرواية تؤكد أن بداية الوحي رؤيا في المنام وكان يقصّ رؤياه على زوجه. ويفهم من ذلك انها رؤيا قد مّرت على رسول الله خلال مدّة وليس ضمن ليلة واحدة.

٢ - رواية سليمان فيها تشدد غير قليل على حال رسول الله النفسية عندما دنا منه جبريل فاستعمل تعبير (فخافه مخافة شديدة) وقد أعطت الرواية إلى ما قام به الملك من تطمين الرسول وإبعاد الخوف عنه أهمية ملحوظة عنه، فأستعار سليمان من آيات الذكر الحكيم (احطط وزره واشرح صدره وطّهر قلبه) ومع ما في هذه الآيات من أثر على حال الرسول النفسية، فان سليمان تغافلها فعاد ثانية حينما قال الملك للرسول (إقرأ) ليقول عاد الخوف إلى الرسول وأخذ يرعد، أو يرتعد خوفاً. وثالثة كرّرت الرواية عامل الخوف في قول الملك للرسول «لا تخف يامحمد». ومرة رابعة عند منصرف الرسول من الغار «وهو خائف «وبعدها مباشرة (فاتاه جبريل. . وهو في صعرته» ومرة أخرى قال له جبريل (لا تخف يا محمد) وأخرى عندما عاد إلى منزله «أبصرت خديجة ما بوجهه من تغير لونها فافزعها ذلك «وهكذا تسيطر على الرواية تعبيرات الخوف والفزع وهول النبي وفزعه. . . الخ.

وأدخل سليمان التيمي في هذه الرواية ما يتلاءم والخوف والفزع قوله ان رسول الله بعد انصراف الملك عاد إليه همّه وبدى متردداً قلقاً بشأن قومه الوثنيين فقال «كيف أصنع وكيف أقول لقومي. . . ثم قام وهو خائف»[1]، وهذه إضافات غير صحيحة.

٣ - ركّزت هذه الرواية بشكل ملفت على أهمية الرهبان النصارى بدءاً بيحيرا وناصح والراهب سر جيوس الذي لم يذكر سليمان التيمي اسمه وراهب آخر يقطن خارج مكة استشارته السيدة

---

(١) ابن كثير: البداية جـ٣ ص ٢٠ - ٢١.

خديجة، وقد ميّزها هذا الراهب بقوله: «مالك ياسيدة نساء قريش؟ «فكيف حدث ذلك وكأنه يعرفها؟ ثم غلام نصراني عبد لعتبة بن ربيعة ثم ورقة بن نوفل، فاحتلت آراء ومواقف هؤلاء الرهبان حوالي ٦٠ ٪ من الرواية، مما يفتح المجال واسعاً أمام من يريد ان يفسر أثر النصرانية، أو الرهبان النصارى على النبي والإسلام، وهذا غير صحيح. اما عن موقف ورقة المتشكك في ان الملك الذي رآه الرسول هو ليس جبرئيل، فلما أخبرت خديجة الرسول عن تشكك ورقة بأنه مجنون ونزول سورة ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1] كان ردّ الرسول على قولها (وقال لها نبي الله، كلا والذي اختصني بالنبوة مأبي جنون وانه لجبريل آتاني)[2]. وردّ الرسول الكريم يبطل جميع المعلومة الخاصة بتفسيرات الرهبان وتعليلاتهم. فضلاً عن ان الدراسات الإسلامية والتأريخية تشكك بأثر بحيرا الراهب بل تشكك بوجوده.

---

(١) سورة القلم، الآية: ١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ٦٣ ص ١٩ - ٢٠.

مرويات الشيعة عن الوحي
ونزول أول آيات القرآن الكريم

الملفت للنظر ان المرويات السابقة جميعها قد غيبت رواية، أو أحاديث من هو قريب جداً من رسول الله واول رجل آمن برسالة السماء وأول رجل صلى الصلاة بعد ان علّمها الملك جبرئيل لرسول الله. فالمتفق عليه ان رسول الله وخديجة وعلي صلوا الصلاة ركعتين ركعتين، ذلك هو الإمام علي الذي ارتبط برسول الله إرتباطاً أخوياً وثيقاً ضمن عائلته، وخلال جميع مسيرة الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة، وأسهم في جميع أعمال وغزوات الرسول، عدا واحدة، وكان كاتب الوحي وواحد من أهل الفتيا والفقه. وكان شاهدا على كثير من أحوال نزول الوحي، وقربه الروحي والشخصي؛ لأنه زوج فاطمة الزهراء وأم الحسن والحسين وكان رسول الله يسميهما (بأبنيّ) ابناه اللذين عدهما وهناك الكثير من الخصائص، والخصال التي تؤهله لأن يروي رواية موضوعية، وموثوقة عن مبعث الرسول، والوحي، ونزول القرآن. لكن شيئاً من هذا لم يترك أثراً، عدا ما اورده أبّان بن عثمان البجلي الأحمر، من أصحاب الإمام الصادق وقوله إن أول ما نزل من القرآن آية من سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[1]، وقد اكتفى القرطبي بعدم أخذه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١، القرطبي الأنصاري، الجامع لاحكام القرآن جـ٢ ص١١٧.

بقول الإمام إذ عقب (الصحيح الأول» أي (أقرأ). وقوله في رواية للبيهقي في (دلائل النبوة) سندها الآتي: - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو محمد بن أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا يوسف بن موسى قال حدثنا عبّاد بن يعقوب قال حدثنا يوسف بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن عبد الله عن علي قال (كنا مع رسول الله بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له: السلام عليك يارسول الله[1].

ورواية أخرى عن طريق أبي الحسن بن بشران عن محمد بن جعفر بن محمد ابن نصير بن العلاء عن محمد بن عبدالله بن سليمان عن محمد عن السري عن عبّاد قال (سمعت علياً (يقول لقد رأيتني أدخل معه - يعني النبي - الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يارسول الله، وأنا اسمعه)[2]، فهذه الأحاديث القليلة قد استخدمت في كتاب دلأئل النبوة حول موضوع واحد لكنه مهم إذ انه أعقب عملية نزول الوحي وتقبل رسول الله رسالة الباري عزوجل في غار حراء فإنه على إثر منصرفه عائداً إلى منزله لاحظ أن الحجر والشجر كانوا يحيونه بتحية السلام عليك يارسول الله. فمن المؤكد أن الإمام قد نقل رواية الوحي كما حّدثه بها رسول الله شخصياً، غير انها لم تصلنا. ولعل ما اتخذه حكام الدولة الأموية وأولئك الذين لم يشجعوا تدوين الحديث من تغييّب رواية الإمام علي عن الوحي شأنها في ذلك شأن الروايات والأحاديث الأخرى التي عمل معاوية وولاته في الأفاق على حجبها بل الأصح على قبرها في مهدها خوفاً

(١) عند الشيخ الطبرسي، أعلام الورى بأعلام الهدى جـ١ ص ١٠٤.
(٢) اعلام الورى بأعلام الهدى جـ١ ص ١٠٤.

من حقيقة الأحداث وخشية على نفوذهم وتسلطهم، لذلك لم يعد بالامكان معرفة رواية الإمام بغية وضعها موضع الموازنة والتدقيق مع الروايات المذكورة آنفاً. ولابد من الإشارة إلى انه اعتماداً على عدد قليل من المرويات الشيعية تتوضح الأهمية البالغة في التعرف والبحث عن مضامين هذه الرواية إذ أنها تعرض معلومة تتأبين وأحياناً تتعارض مع الروايات التي ذكرناها بخوص نزول الوحي وعلاقته بالملك جبرئيل. فاليعقوبي المتوفى ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ مؤرخ عرف في التدوين التاريخي الإسلامي بأنه علوي، أو يميل إلى العلويين روى رواية الوحي مباشرة بعد أشارته إلى أقوال المنجمين والفكليين بشأن سنة مبعث رسول الله وأنها كانت سنة قران في الدلو، فيقول ما نصه: «وكان جبريل يظهر له فيكلمه، وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعرمن ذلك رسول الله، ثم قال له: ان ربك يأمرك ان تتجنب الرجس من الأوثان، فكان أول أمره. فكان رسول الله يأتي خديجة ابنة خويلد فيقول لها ما سمع وتكلم به. فتقول له: استر يا ابن عم فوالله إني لأرجو ان يصنع الله بك خيراً. وأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الاحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين. وقال بعضهم يوم الخميس، وقال من رواه عن أبي جعفر بن محمد يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين. وعلى جبريل جبة سندس وأخرج له درنوكاً من درانيك الجنة فأجلسه عليه وأعلمه أنه رسول الله وبلّغه من الله وعلّمه: إقرأ باسم ربك الذي خلق. وأتاه من غد وهو متدثر فقال: ياأيها المدثر قم فأنذر، وقال رسول الله: أول ما نهاني عنه جبريل بعد عبادة الأصنام ملاحاة الرجال. وروى بعضهم ان إسرافيل وكّل

به ثلاث سنين وان جبريل وكل به عشرين سنة، وقال آخرون مازال جبريل موكلاً به. وقد كان ورقة بن نوفل قال لخديجة بنت خويلد أسأليه من هذا الذي يأتيه؟ فان كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين، وإن كان جبريل فقد أتاه بالقتل والسبي (يلاحظ هنا ما ينسب إلى ورقة بأنه كان عارفاً بعلوم ما بعد الطبيعة وصفات الملائكة)، فسألته، فقال: جبريل، فضربت خديجة جبهتها. وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر...»[1] فالرواية تشتمل على معلومات موجودة في الروايات السابقة، غير ان الأسلوب العام لها منذ بداية الوحي إلى تعليم جبريل الرسول وارشاده إلى ضرورة تجنب الرجس من الأوثان يختلف عن ما سبق في الروايات. فالتركيز فيها على العلاقة الروحية بين الملك والرسول ولم تعط ورقة دوراً مركزياً، فضلاً عن احتمالية ادخال الجملة الوصفية للملكين ميكائيل وجبرئيل في أصل الرواية إذ لم يذكرها أحد من مؤرخي السيرة وهي ربما تهدف إلى توجيه الانظار إلى حالة العنف والقسوة التي توجهت به رسالة الوحي عن طريق الملك جبرئيل. فجبرئيلملك القتل والسبي وهما ملاحظتان ربما تشيران إلى علاقة الرسول بيهود المدينة، بمعنى ضرورة الالتفات إلى خطورة هذه الإضافة إلى مجمل الرواية وابعادها، لاسيما وان التعديل والإضافة في الرواية قد عبّرت عنه السيدة خديجة وهي تضرب جبهتها وكأنها تعترض على العلاقة مع جبرئيل الذي سيقود الرسول إلى القتل وإلى سبيّ الناس - حاشاه الله تعالى من ذلك - كما تهدف إليه الرواية.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت جـ٢ ص ٢٢ - ٢٣.

ورواية اليعقوبي التي نجهل مصدرها تذكر لمرة واحدة حال النبي النفسية حينما ناداه جبرئيل من الشجر، أو الجبل إذ تذهب «فيذعر من ذلك». وهي حالة طبيعية لا تشير إلى أحوال الخوف والهلع والرعب وغيرها من تعبيرات قد كررتها الروايات السابقة.

اما الرواية الثانية فقد ذكرها عبد الله بن شداد الليثي من بني ليث، وكان من خواص أمير المؤمنين ومن كبار التابعين وثقاتهم، روى أحاديث عدة عن أمهات المؤمنين مثل: - ميمونة وعائشة، وتوفي سنة ٨٢هـ/ ٧٠١[1].

أورد رواية عبد الله ابن شداد الطبري في كتأبيه التاريخ والتفسير. وفي كل منهما فانها وردت عبر السلسلة السندية الآتية: - حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب عن عبد الواحد بن زياد عن سليمان الشيباني قال حدثنا عبد الله بن شداد. اما الرواية التي استشهد بها المرحوم مرتضى العسكري فكانت عبر السند المباشر عن عبد الله شداد عن عائشة. تنصّ الرواية على الآتي: -

«أتى جبريل محمدا فقال، يامحمد، إقرأ فقال، ما فقال، فغمه (وفي رواية أخرى فضمه) ثم قال، يامحمد، اقرأ قال، وما اقرأ قال اقرأ باسم ربك، حتى بلغ علّم الانسان مالم يعلم قال، فجاء إلى خديجة فقال، ياخديجة ما أراني الا قد عرض لي قالت، كلا

---

(١) ينظر الشريف المرتضى، رسائل، تحقيق السيد مهدي رجائي قم ١٤٠٥، جـ ٢ ص ٢٤٠؛ العلامة الحلي: منتهى الطلب، طبعة أولى منقحة، مشهد ١٤١٥ جـ ٤ ص١٥٨؛ العسكري مرتضى، أحاديث أم المؤمنين عائشة، جـ ٢ ص ٢٥٠، وحول أحاديث أم المؤمنين ميمونة ينظر الشافعي، الأم جـ ١ ص ١١٠.

والله ما كان ربك يفعل ذلك بك ما أتيت فاحشة قط، قال فأتت خديجة ورقة بن نوفل فأخبرته الخبر فقال، لئن كنت صادقة إن زوجك لنبي (هنا يلاحظ من الرواية عدم تعريفها لورقة وعدم ذكرها ابن عبد الله، أو ابن عبد المطلب إشارة إلى رسول الله انما اكتفت بقول ورقة زوجك). وليلقين من أمته شدة ولئن أدركه لأؤمنن به، قال، ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت خديحة، ما أرى ربك الا قد قلاك قال، فانزل الله عزوجل : ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[1] [2] وعلى الرغم من كون رواية ابن شداد قد اختزلت رواية الوحي لكنها كانت مترابطة ومتسلسلة. وابن شداد عند الطبري يمثل الحلقة النهائية المتصلة بخبر الوحي لكنه لم يفصح عن الطريقة التي وصلت إليه الرواية بحديث الرسول، فهو قد استمر على استعمال تعبير (قال) مشيراً إليه شخصياً بضمنها الرواية التي انتهى سندها بأم المؤمنين فان ابن شداد لم يذكر (قالت) انما تعبير (قال)؛ ولهذا فالسؤال يبقى ماثلا بشأن الجهة، أو المرجعية التي ترجع إليها روايته: -

والرواية سلطت الضوء على الآتي: -

١. الاتصال الذي حدث بين الملك والرسول كان في البداية رؤيا كما حّدثت به السيدة عائشة.

٢. توجه الرسول بعد تلقيه رسالة الله تعالى مباشرة إلى خديجة من دون الإشارة إلى ماحدث بعد خروج الرسول من غار حراء

---

(١) سورة الضحى، الآيات: ١، ٣.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٧ – ٤٨، جامع البيان ج ٣٠ ص ٣١٩.

وسماعه صوت الملك ورؤيتة إياه جالس على العرش العظيم بين السماء والأرض.

٣. لم يؤد ورقة بن نوفل في الرواية دوراً مركزياً، ويبدو ان جملة «ليلقين من أمته شّدة» جملة مضافة ودخيلة لانها خارج سياق فحوى تنبئة ان محمداً نبي.

٤. وتختلف الرواية عن جميع الروايات السابقة بشأن فتور الوحي، فهي تذهب إلى أون جبرئيل قد (ابطأ على الرسول والبطء لايفهم منه على انه فتور بالصيغة التي تعكسها رواية فتور الوحي (التي رواها الزهري). كذلك تذكر الرواية أن السيدة خديجة هي التي قالت للرسول «ما أرى ربك إلا قد قلاك». ولم تذكر الرواية السابقة جميعاً هذا الموقف.

٥. وفي هذا الجانب تلغي الرواية المعاناة التي عاناها الرسول في رواية الزهري عن فتور الوحي وكيف انه حاول، لمرات عدة، القاء نفسه من على شواهق الجبال.

٦. وهي رواية فريدة في نزول الآية بعد آيات (اقرأ) فهي تذهب إلى إنه بعد قول خديجة السابق انزل الله تعالى آيات سورة (الضحى) في حين ذكرت المرويات السابقة انها آيات من سورة (يا أيها المدثر).

٧. الملاحظ ان رواية ابن شداد قد ألغت ذكر جميع التعبيرات الدالة على أثارة ظهور جبرئيل الخوف والرعب في نفس الرسول، وهي تعبيرات دأبت الروايات السابقة على ذكرها والتشديد عليها.

وكما يظهر فإن رواية اليعقوبي التي أسندها إلى من رواها عن

الإمام جعفر بن محمد دون ان يذكر اسمه، ولكنه كان أبان بن عثمان البجلي الأحمر المتوفى في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة هو راوية الخبر. وإبّان هذا كان من رواة أحاديث الأئمة ولاسيما الصادق فكان من أصحابه ونقل الكثير من الروايات عنه إما مباشرة، أو من خلال شيوخه الآخرين[1]. وكان من بين اشهر شيوخه زرارة بن أعين وأبان بن تغلب وبشير النبّال والفضيل بن يسار ومعاوية بن عّمار وإسحاق بن عّمار. اما من بين من روى عنه ابن أبي عمير ومحمد بن زياد البيّاع والحسن بن فضّال ومحمد بن زياد الأزدي وغيرهم. وقد أورد نصّ رواية أبان بن عثمان صاحب كتاب تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب بالإسناد الآتي: أبان بن عثمان عن محمد بن مروان الذهلي عن محمد بن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن علي (قال، ترآى لرسول الله جبرئيل بأعلى الوادي وعليه جبّة من سندس، فأخرج له درنوكاً من درانيك الجنة، فأجلسه عليه، ثم أخبره انه رسول الله إليه وأمره بما أراد ان يأمره به، فلما أراد جبرئيل ان يقوم، أخذ رسول الله بطرف ثوبه.

---

(١) ينظر الشيخ الطوسي، الأمالي طبعة أولى، مطبعة دار الثقافة رقم ١٤١٤هـ، الفهرست طبعة أولى ١٤١٧ مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٥٩، العلامة الحلي: خلاصة الاقوال، طبعة ثانية ١٣٨١، المطبعة الحيدرية النجف ص ٧٤؛ د. جعفريان، رسول: سيرة سيد الانبياء والمرسلين، نقله إلى العربية علي هاشم الاسدي، مشهد، ص ٩٢ - ٩٣؛ وله أيضاً (إعداد) المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة لأبان بن عثمان الاحمر، طبعة أولى، مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي، قم ١٤١٧، ص ١٠، ٤٢ - ٤٣. وقد اعتمد جعفريان على كتاب تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب ص ٢٦.

قال: ما اسمك؟ قال: جبرئيل، فقام رسول الله فلحق بالغنم، فما مرّ بشجرة وما مرّ (يلاحظ ان جميع الروايات تذكر شجر وحجر). الا سلّمت عليه وقالت: السلام عليك يا رسول الله. وكان يرعى غنماً لأبي طالب عمه)[1] وأول ما نلحظ في هذهِ الرواية انها رواية الإمام علي وهي تتضمن معلومة واحدة بسيطة وموضوعية عن بدء الوحي تختلف اختلافاً جوهرياً عن المرويات السابقة المفصلة. انها الرواية نفسها التي أوردها اليعقوبي، الذي عرّف مصدرها قائلاً: «قال من رواه عن جعفر بن محمد - وهو بقصد أبان بن عثمان»[2]. وروى أبان اعتماداً على كثير النواء عن أبي عبد الله قوله: «في اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوة على رسول الله»[3] هاتان الروايتان القصيرتان تؤكدان أن هناك المزيد من الروايات الجديدة المختلفة عن الروايات المذكورة آنفاً التي قدمّها أبان بن عثمان في كتابه الضائع (المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة) الذي سبقت الإشارة إلى مدى اهميته وبالأخص كتابه الموسوم (المبعث) الذي يعتقد بأنه كان يضم معلومات غنية عن الوحي ونزول أول ايات على الرسول الكريم ومبعثه، لكن ليس بالامكان التحدث أكثر عن الكتاب لفقدانه، وقد قدّم الدكتور الشيخ جعفريان خدمة علمية في جمعه نصوص الكتاب ونشرها.

اما الرواية الشيعية الأخرى فهي رواية علي بن إبراهيم بن هاشم. وقد وثّقه علماء رجال الشيعة بقولهم إنه ثقة في الحديث ثبت

---

(١) نقلاً عن د. جعفريان، تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص ٢٦.
(٢) تاريخ، دار صادر جـ٢ ص ٢٢ - ٢٣.
(٣) الشيخ الطوسي: الأمالي ص ٤٥.

ومعتمد وصحيح المذهب وقد سمع فأكثر. ويعدُّ «من أجل رواة أصحابنا» كان معاصراً لعصر الإمام العسكري وتوفي سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩. أكثر الكليني الرواية عنه في كتابه (الكافي). وصنّف علي بن إبراهيم مؤلفات كثيرة من بينها كتابه (المغازي) وكتابه الآخر (الانبياء). واكثر ما رواه من المرويات جاءت عن أبيه إبراهيم بن هاشم[1] روى في تفسيره رواية الوحي تحت عنوان (في مبدأ المبعث) ونصّها « ان النبي لما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن آتياً أتاه فيقول: يا رسول الله، فينكر ذلك. فلما طال عليه الأمر وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب نظر إلى شخص يقول له (يا رسول الله) فقال له (من أنت) قال جبرئيل ارسلني الله اليك ليتخذك رسولاً. فأخبر رسول الله خديجة بذلك، وكانت خديجة قد انتهى إليها خبر إليهودي وخبر بحيراء وما حدّثت به آمنة أمه. فقالت يا محمد اني لأرجو ان تكون كذلك، وكان رسول الله يكتم ذلك فنزل عليه جبرئيل وانزل عليه ماء من السماء فقال (يا محمد قم توضأ للصلاة) فعلّمه جبرئيل الوضوء على الوجه واليدين. . . »[2]. فبحسب هذه الرواية التي لا تختلف كثيراً عن الرواية التي رواها الإمام علي يتبين بان الرواية الشيعية لم تعطِ اهتماماً إلى التفصيلات

---

(١) ينظر القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، طبعة ثالثة، تصحيح السيد طيب الجزائري قم ١٤٠٤هـ ص٨؛ الشيخ الطبرسي إعلام الورى بأعلام الهدى الشيخ الطوسي، الفهرست ص ١٥٢، القمي، الشيخ عباس، الكنى والألقاب جـ ٣ ص ٨٤.

(٢) الشيخ الطبرسي، إعلام الورى جـ ١ ص ١٠٢، القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي جـ ٢ ص ٤٣٠.

(ربما القصصية) التي دأبت على ذكرها الروايات التأسيسية. فضلاً عن أنها روايات تلغي تماماً دور ورقة بن نوفل والرهبان النصارى، وتلغي أيضاً رواية الزهري في فتور الوحى، كذلك فإنها لا تقف على موضوع خوف الرسول عند سماعه جبرئيل، أو عند رؤيته إياه. فانه كان ببساطة يرعى الغنم بين الجبال فاتاه الملك. والملاحظ في الروايات الشيعية تلك إنها لا تقف على مسألة تحنث الرسول في غار حراء، أو ان هذه العادة (التحنث) كانت عادة يتبعها أهل الجاهلية. في مقابل ذلك فهي توضح أن الرسول كان يرعى الغنم في أعلى الوادي، أو بين الجبال. فهل يمكن القول بان الروايات التأسيسية قد أقحمت التحنث وتحنث قريش في رواية الوحي بهدف جعل الرسول الكريم وكأنه كان متبعاً ومقلداً لتقاليد قومه؟

وعليه فمن المفيد إعادة الفكرة على ان الرواية الشيعية، تقف موقفاً بعيداً ومتبايناً مع الروايات السابقة في رواية المبعث وبدء الوحي.

ثبت المصادر
مرتبة حسب سني وفيات مؤلفيها

* القرآن الكريم.
* المصادر.
* مجاهد المخزومي؛ مجاهد بن جبير التابعي المكي (١٠٤/ ٧١٩).

تفسير مجاهد (تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي إسلام آباد، الدكن، مجلدان).

* الواقدي؛ أبو عبد الله محكد بن عمر بن واقد الأسلمي (توفي -٢٠٧/ ٨٢٢).

كتاب المغازي (تحقيق مارستن جونسن، بيروت، ١٣٨٦/ ١٩٦٦).

* أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى (٢١١/ ٨٢٦).

كتاب أيام العرب قبل الإسلام (تحقيق الدكتور عادل البياتي، دار الحرية بغداد/ ١٩٧٦.

* ابن هشام؛ أبو محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨ / ٨٣٣).

السيرة النبوية لأبن هشام (تحقيق مصطفى السقا وآخرون)، بيروت.

٢٠٠٠)؛ أيضاً تحقيق محمد محيي الدين عبد الجميد (طبعة ١٣٨٣).

وكذلك طبعة القاهرة، تقديم طه عبد الرحمن د.ت.

* ابن سعد؛ أبو عبد الله محمد بن سعد الصري (٢٣٠/ ٨٤٤).

١ - الطبقات الكبرى (تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٥٦)؛ أيضاً طبعة دار صادر، بيروت.

٢ - القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم (تحقيق زياد محمد منصور، الطبعة الثانية، المدينة المنورة ١٤٠٩/١٩٨٨).

* ابن معين؛ أبو زكريا يحيى (٢٣٣ / ٨٤٧).

تاريخ أبن معين (رواية الدرمي) تحقيق أحمد محمد نور سيف، دمشق ١٤٠٠ / ١٩٧٩.

* المديني؛ علي أبو عبد الله بن عبدالله (توفي ٢٣٤/٨٤٨).

علل المديني (تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت ١٩٨٠.

* خليفة بن خياط؛ أبو عمرو العصفري (توفي ٢٤٠ / ٨٥٤) تاريخ خليفة بن خياط (رواية بقي بن مخلد) تحقيق د. أكرم العمري بغداد ١٩٦٧.

* ابن حنبل؛ أحمد بن محمد أبو عبد الله الشيباني (توفي ٢٤١ / ٨٥٥).

مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت دون تاريخ).

العلل ومعرفة الرجال (تحقيق وصي الله بن محمد بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨).

* محمد بن حبيب؛ أبو جعفر (توفي ٢٤٥/٨٥٩).

المحبّر (تحقيق أليزا اليختن، حيدر آباد الهند ١٣٦١/ ١٩٤٢) المنمق.

الجاحظ؛ أبو عثمان بحر بن عمرو (توفي ٢٥٥/ ٨٦٨).

البيان والتبين (تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٧٥.

* البخاري؛ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (توفي ٢٥٦/ ٨٦٩.

التاريخ الصغير (تحقيق محمود إبراهيم زايد، حلب، القاهرة ١٩٧٧.

التاريخ الكبير (حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٥٩/ ١٩٤٠)؛ أيضاً نسخة دار الفكر، بيروت من دون تاريخ.

صحيح البخاري (مطبعة العامرة، إسطنبول، دار الفكر، بيروت) ١٤٠١/ ١٩٨٠).

الضعفاء الصغير (تحقيق محمود إبراهيم زايد؛ حلب ١٣٩٦/ ١٩٧٩).

* الزبير بن بكّار؛ أبو عبد الله القرشي (٢٥٧/ ٨٧٠).
الأخبار الموفقيات (تحقيق د. سامي مكي العاني)، بغداد ١٣٩٢/ ١٩٧٢.
* الجوزجاني؛ أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب (٢٥٩/ ٨٧٢).
أحوال الرجال (تحقيق صبحي السامرائي)، بيروت ١٤٠٥/ ١٩٨٤).
* الأزدي النيسأبوري؛ الفضل بن شاذان (٢٦٠/ ٨٧٣).
الإيضاح (تحقيق السيد جلال الدين الحسيني) المحدث.
* العجلي؛ الحافظ أبو الحسن أحمد بن عبد الله الكوفي (٢٦١/ ٨٧٤).
معرفة الثقات (تحقيق عبد العليم البستوي)، المدينة المنورة ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
* مسلم، أبو الحسين الحجاج بن مسلم (٢٦١/ ٨٤٧).
صحيح مسلم (طبعة ثانية، بيروت ١٤١٩/ ١٩٩٨).
الكنى والأسماء (تحقيق عبد الرحيم بن محمد بن أحمد القشقري). المدينة المنورة ١٤٠٤/ ١٩٨٣.
* إبن قتيبة الدينوري؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم (توفي ٢٧٦/ ٨٨٩).
الإمامة والسياسة (تحقيق المعارف، بيروت، ١٤٠٧/ ١٩٨٧).
* البلاذري؛ أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩/ ٨٩٢).
كتاب جمل من أنساب الأشراف (تحقيق د. سهيل زكّار و. رياض).
زركلي، دار الفكر، بيروت ١٤١٧/ ١٩٩٦.
فتوح البلدان (تحقيق صلاح المنجد القاهرة ١٣٧٦/ ١٩٥٦).
* الدينوري؛ أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢/ ٨٩٥).
الأخبار الطوال (مطبعة عبد الحميد حنفي، مصر، من دون تاريخ.
* الثقفي؛ إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (٢٨٣/ ٨٩٦).
كتاب الغارات (تحقيق جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن، مجلدان).

* الكوفي القاضي؛ محمد بن سليمان (كان حيّاً سنة ٣٠٠/ ٩١٢).
مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (طبعة أولى، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، ١٤١٦).
* اليعقوبي؛ أحمد بن أبي يعقوب (٢٩٢ / ٩٠٤).
تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩/ ١٩٩٩؛ أيضاً طبعة دار صادر بيروت د.ت.
* البرديجي؛ أبو بكر أحمد بن هارون (٣٠١/ ٩١٣).
طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث.
(تحقيق عبدة علي كوشك، دمشق ١٤١٠/ ١٩٨٩).
* الطبري؛ محمد بن جريربن رستم الطبري الإمامي (أوائل القرن الرابع للهجرة المسترشد في إمامة أمير المؤمنين (تحقيق الشيخ أحمد المحمودي، مطبعة قم سلمان الفارسي).
* النسائي؛ أبو عبد الرحمن أحمدبن شعيب (توفي ٣٠٣/ ٩١٥).
الضعفاء والمتروكين (تحقيق محمود إبراهيم زايد، حلب، ١٣٩٦/ ١٩٧٦).
مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح (دار الفكر بيروت).
* وكيع؛ أبو بكر محمد بن خلف (توفي ٣٠٦/ ٩١٨).
أخبار القضاة (بيروت من دون تاريخ).
* الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير (توفي ٣١٠/ ٩٢٣).
تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف القاهرة ١٤٠٨ / ١٩٨٧).
جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ضبط صدقي جميل العطار، دار الفكر بيروت ١٤١٥).
* السجستاني؛ أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث (٣١٦/ ٩٢٩).
مسند عائشة (تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين، طبعة أولى مكتبة الأقصى، الكويت ١٤٠٥).

* العقيلي؛ أبو جعفر محمد بن عمر (٣٢٢/ ٩٣٣).
ضعفاء العقيلي (تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤/ ١٩٨٤).
* ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد (٣٢٧/ ٩٣٨).
الجرح والتعيل (دار إحياء التراث العربي، بيروت١ ١٣٧/ ١٩٥٢).
* ابن عبد ربّه؛ أبو سعيد أحمد (٣٢٨/ ٩٣٩).
العقد الفريد (تحقيق محمد سعيد العيان، دار الفكر، بيروت من دون تاريخ).
* القمي؛ أبو الحسن علي بن إبراهيم (٣٢٩/ ٩٤٠).
تفسير القمي (مصحح السيد طيب الجزائري، مؤسسة دار الكتب، النجف ١٤٠٤).
* فرات الكوفي؛ أبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي (٣٥٢/ ٩٦٣).
تفسير فرات الكوفي (تحقيق محمد الكاظم، مطبعة تابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ١٤١٠).
* المسعودي؛ أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦/ ٩٥٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق يوسف أسعد داغر، طبعة سادسة، بيروت ١٤٠٥/ ١٩٨٤).
* ابن حبّان البستي؛ أبو حاتم (٣٥٤/ ٩٦٥).
كتاب الثقات (تحقيق إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان مصطفى، بيروت ١٤١٩/ ١٩٩٨)؛ أيضاً طبعة حيدر آباد الدكن طبعة أولى ١٣٦٣)
المجروحين (تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب من دون تاريخ).
مشاهير علماء الأمصار (تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشورى، بيروت ١٤١٦/ ١٩٩٥).
صحيح ابن حبّان.

* أبو الفرج الأصفهاني؛ علي بن الحسين (٣٥٦/ ٩٦٧).
كتاب الأغاني (تحقيق علي السباعي وعبد الكريم.
العزباوي (دار الكتب المصرية، بيروت).
مقاتل الطالبيين (تحقيق كاظم المظفر الطبعة الثانية).
* القاضي النعمان التميمي المغربي.
شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار(تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي).
* الطبراني؛ أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠/ ٩٧١).
المعجم الكبير (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي الموصل.
١٤٠٤/ ١٩٨٣).
المعجم الصغير (تحقيق محمد شكور محمود محمود، دار عمار.
بيروت أعمان ١٤٠٥/ ١٩٨٤).
* الجرجاني؛ ابن عدي أبو محمد أحمد (٣٦٥/ ٩٧٥) الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت ١٤٠٩/ ١٩٨٨).
* ابن قولويه القمي؛ الشيخ جعفر بن محمد (٣٦٨/ ٩٧٨).
كامل الزيارات (تحقيق جواد القيومي الطبعة الولى مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٧).
* المقدسي؛ الطاهر بن مطهر (حوالي ٣٧٥/ ٩٨٥).
البدء والتاريخ (وهو منسوب الى أبي زيد البلخي) مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٣).
* الشيخ الصدوق القمي؛ إبن بأبويه (٣٨١/ ٩٩١).
عيون أخبار الرضا (تحقيق الشيخ حسين الأعلمي طبعة أولى، بيروت) ١٤٠٤.
* الدارقطني؛ أبو الحسن علي (٣٨٥/ ٩٩٥).
سؤالات البرقاني (تحقيق عبد الرحيم القشقري، باكستان ١٤٠٤/ ١٩٨٣).

* إبن شاهين؛ أبو حفص عمر بن أحمد (٣٨٥/ ٩٩٥).
تاريخ أسماء الثقات (تحقيق صبحي السامرائي، بيروت ١٤٠٤/ ١٩٨٤.
* أبن النديم؛ أبو الفرج محمد بن إسحاق (توفي بعد سنة ٤٠٠/ ١٠٠٩.
الفهرست (تحقيق رضا أتجدد).
* أبو نصر الكلاباذي؛ أحمد بن محمد البخاري (٣٩٨/ ١٠٠٧) رجال صحيح البخاري (تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة بيروت١٤٠٧ / ١٩٨٦).
* الحاكم النيسابوري؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٤٠٥/ ١٠١٤).
المدخل الى الصحيح (تحقيق د. ربيع هادي عمير، بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٤/ ١٩٨٣).
* مسكويه؛ أبو علي أحمد (٤٢١/ ١٠٣٦) تجارب الأمم (طبعة أوربية).
* أبو نعيم الأصفهاني؛ أحمد بن عبد الله (٤٣٠/ ١٠٣٨).
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت ١٣٨٧/ ١٩٦٧.
كتاب الضعفاء (تحقيق فاروق حمادة الدارالبيضاء ١٤٠٥/ ١٩٨٤).
* الشريف المرتضى؛ علي بن الحسين (٤٣٦/ ١٠٤٤).
آمالي المرتضى (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٣٨٧/ ١٩٨٧).
رسائل الشريف المرتضى (تحقيق السيد مهدي رجائي قم ١٤٠٥) الناصريات.
* أبو يعلى؛ الخليل بن عبد الله بن أحمد (٤٤٦/ ١٠٥٤) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (تحقيق محمد سعيد عمر إدريس، الرياض ١٤٠٩/ ١٩٨٨).
* النجاشي؛ أبو العباس أحمد بن علي الأسدي (٤٥٠/ ١٠٥٨).
رجال النجاشي (تحقيق السيد موسى الشبيري الزنجاني (قم ١٤١٦/ ١٩٩٥).
* الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠/) ١٠٦٧ رجال الطوسي (تحقيق جواد القيومي الأصبهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٥/ ١٩٩٤). الخلاف (طبعة أولى قم ١٤١٧ هـ).

آمالي الطوسي الخطيب البغدادي؛ أبو بكر أحمد بن علي (٤٦٣/ ١٠٧٠).
تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت د.ت.
كتاب الكفاية في علم الرواية (تحقيق أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي، المدينة المنورة).

* أبن عبد البر؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله (٤٦٣/ ١٠٧٠).
الأستيعاب في معرفة الأصحاب، على هامش كتاب الإصابة.
في تمييز الصحابة، مطبعة دار السعادة، مصر ١٩١٠.

* أبو الوليد الباجي؛ سليمان بن خلف (٤٧٤/ ١٠٨١).
التعديل والجرح (تحقيق أبو لبابة حسين، الرياض ١٩٨٦.

* النيسابوري؛ محمد بن الفتّال (٥٠٨/ ١٠٥٧).
روضة الواعظين (تحقيق محمد مهدي السيد حسن الخرسان. قم، إيران).

* الأصبهاني؛ إسماعيل.
دلائل النبوة.

* الطبرسي؛ أحمد بن علي (٥٦٠/ ١١٦٤).
الإحتجاج (تحقيق محمد باقر الخرسان).
مجمع البيان في تفسير القرآن (تحقيق لجنة من العلماء والمحققين.
الطبعة الأولى، ١٤١٥/ ١٩٩٤).
السمعاني؛ أبو سعد عبد الكريم (٥٦٢/ ١١٦٦.
الأنساب (تقديم وتعليق عبد الله عمر الياوردي (طبعة أولى بيروت ١٤٠٨).

* ابن عساكر؛ أبو القاسم علي بن الحسين (٥٧١/ ١١٧٥) تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤).

* الراوندي؛ السيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله علي الحسني (٥٧١/ ١١٧٥).
كتاب النوادر (تحقيق سعيد رضا العسكري، طبعة أولى ١٤٠٧).

* المديني الأصبهاني؛ أبو موسى محمد بن عمر (٥٨١/ ١١٨٥).
نزهة الحفاظ (تحقيق عبد الضا محمد عبد المحسن بيروت١٤٠٦/ ١٩٨٥).
* ابن شهراشوب (٥٨٨/ ١١٩٢).
مناقب آل أبي طالب (تحقيق مجموعة من أساتذة النجف مطبعة الحيدرية النجف ١٣٧٦).
* ابن الجوزي؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧/)١٢٠٠).
المنتظم في تواريخ الملوك والأمم (تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر، طبعة أولى دار الكتب العلمية ١٩٩٢).
* ابن البطريق؛ الأسدي الحلي (المتوفى حوالي ٦٠٠/ ١٢٠٣).
العمدة (مطبعة قم، جامعة المدرسين ١٤٠٦/ ١٩٨٦).
* ياقوت الحموي؛ أبو عبد الله شهاب الدين (٦٢٦/ ١٢٢٨).
معجم البلدان، دار صادر، ١٤١٦/ ١٩٩٥).
* ابن الأثير؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم (٦٣٠/ ١٣٣٢).
الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٧).
* إبن أبي الحديد؛ (٦٥٦/ ١٢٥٨).
شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب.
* الأنصاري القرطبي؛ أبو عبد الله محمد أحمد (٦٧١/ ١٢٧٢).
الجامع لأحكام القرآن (دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥/ ١٩٨٥).
* أبن خلكان؛ أبو العباس شمس الدين (٦٨١/ ١٢٨٢).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر، بيروت ١٩٩٤).
* ابن داود؛ تقي الدين الحلي(٧٠٧/ ١٣٠٧).
رجال أبن داود، المطبعة الحيدرية، النجف١٣٩٢/ ١٩٧٢).
* الطبري؛ أحمد بن عبد الله (٦٩٤/ ١٢٩٤).

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (عن نسخة مصورة في دار الكتب المصرية في مجلد واحد).

* بن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد (٧١١/ ١٣١١).

لسان العرب (تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦).

* ابن سيد الناس (٧٣٤/ ١٣٣٣).

عيون الأثر (مؤسسة عز الدين ١٤٠٦/ ١٩٨٥).

* المزي؛ أبو الحجاج يوسف بن زكي (٧٤٢/ ١٣٤١).

تهذيب الكمال في أسماء الرجال (تحقيق الدكتور بشار معروف، بيروت ١٤٠٠/ ١٩٨٠).

* الذهبي؛ شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨/ ١٣٤٧).

كتاب تذكرة الحفاظ (تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣)؛ أيضاً نسخة مكتبة الحرم المكي.

سيّر أعلام النبلاء (تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرسوقي مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨).

الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب (محمد إبراهيم الموصلي، دار البشائر، بيروت١٩٩٣).

ميزان الإعتدال في نقد الرجال (تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد دار الكتب العلمية ١٩٩٥.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهيروالأعلام (تحقيق الدكتور عبد السلام التدمري، بيروت ٢٠٠٣).

* ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر(٧٧٤/ ١٣٧٢).

البداية والنهاية، بيروت.

السيرة النبوية (تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت ١٣٩٦/ ١٩٧١).

تفسير القران العظيم، دار المعرفة، بيروت ١٤١٢هـ.
* الهيثمي؛ نور الدين (٨٠٧/ ١٤٠٥).
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمبة، بيروت ١٩٨٨).
* ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (٨٠٨/ ١٤٠٦).
تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم.
والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء.
التراث العربي، مؤسسة الأعلمي، بيروت الطبعة الرابعة). ابن حجر العسقلاني؛ أبو الفضل أحمد بن علي (٨٥٢/ ١٤٤٨).
تهذيب التهذيب (دار الفكر، بيروت ١٤٠٤/ ١٩٨٤).
لسان الميزان (دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن مؤسسة الأعلمي ١٣٧٦/ ١٩٥٦).
الإصابة في تمييز الصحابة (نسخة مصورة عن طبعة دار السعادة مصر ١٣٢٨/ ١٩١٠).
تقريب التهذيب (تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا ١٤٠٧/ ١٩٨٦).
طبقات المدلسين (تحقيق الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي عمان ١٤٠٣/ ١٩٨٣).
مقدمة فتح الباري في شرح صحيص البخاري (الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت الزبيدي؛ تاج العروس، بيروت مكتبة الحياة.
* السيوطي؛ جلال الدين أبو الفضل (٩١١/ ١٥٠٥).
طبقات الحفاظ (دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢).
* حاجي خليفة؛ مصطفى بن عبد الله (١٠٦٧/ ١٦٥٦).
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت ١٤٠٣/ ١٩٨٢).
* المازندراني؛ محمد صالح (توفي ١٠٨١/ ١٥٦٠).
شرح أصول الكافي؛ إثنى عشرة مجلداً).

المجلسي؛ محمد باقر (١١١١/ ١٤٩٠).

بحار الأنوار الطبعة الثانية، مصححة ١٤٠٣/ ١٩٨٣).

* الطباطبائي؛ السيد محمد حسين (١٤٠٢).

الميزان في تفسير القرآن (مؤسسة الشر الإسلامي قم المقدسة) (١٤٠٢).

* الحر العاملي؛ وسائل الشيعة.

تفصيل وسائل الشيعة (تحقيق مؤسسة آل البت، قم الطبعة الثانية ١٤١٤/ ١٩٩٤).

المصادر الإجنبية:

1 - Caetani, L.: Annali dell Islam (Milano 1905 - 26).

2 - Caetani, L. Chronographic Islaimica.

3 - Friedlander, l. "Abdallah ibn Saba und seine judiche Ursprung" in ZA (XXIII / XXIV).

4 - goldziher, l.: Muhammedanische Studien.

5 - goldziher, l.: Richtunger der Islamischen Koranuslegung. (Leiden 1920.

6 - Hodgson, M.C.S. "How did the early Shia become sectarian". in JAOS (1955).

7 - Lammens, H., Etudes sur le regne du calif Omayade Moawia.
Ier (Beyrouth 1908).

8 - Madelung, W. "The Hashimiyat of al - Kumayt and Hashimi. Shi,ism" in SI (1980).

9 - Madelung, W. (Shi,a) in EI.

10 - Montgomery Watt, W: (al - Abbas ibn Abd al - Mutaleb). In E.I. (2).

11 - Noldeke, th. "Zur tendentosen gestaltung der Urgeschichte. Islam" in ZDMG (1898).

12 - Petersen, E.L. Ali and Mu,awiyain early Arabic Tradition. (Copenhagen 1964).

13 - Sharon, M. Black banners from the East (1982) القدس.

14 - Sprenger, A. Das leben und lehre des Mohammed (Berlin. 1860).

15 - Vaglieri, L. Veccia: "IL conflitto Ali - Mu,awiya e La. Secessions Kharigita riesaminali alla luce eli fonte ibadite" in AIQUN (1952).

16 - Vaglievi, L. Veccia: (Abd allah b. Abbas) in E.I.

17 - Wellhausen, J: Die religios - politischen oppostionsparteien. In alten Islam (Berlin 1901).

وقد تُرجم إلى العربية.

18 - Wellhausen, J. Das arabische Reich (Berlin 1902).

وقد تُرجم إلى الإنجليزية والعربية.

الفهرس

الفصل الثاني
العباس بن عبد المطلب وإبنه عبد الله عند المستشرقين

الفصل الثالث
الرواية الزبيرية أنموذجاً

الفصل الرابع
دراسة تطبيقية للرواية الزبيرية (رواية المبعث والوحي)

الفصل الخامس
مرويات الصحابة والتابعين الأنصار